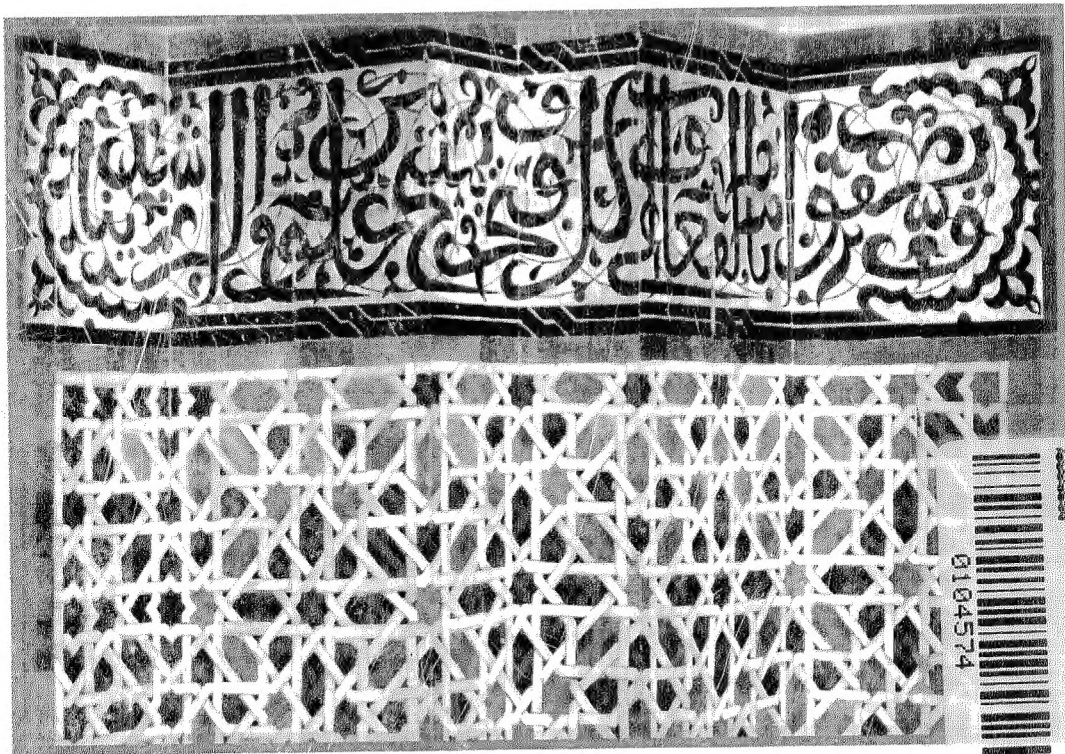


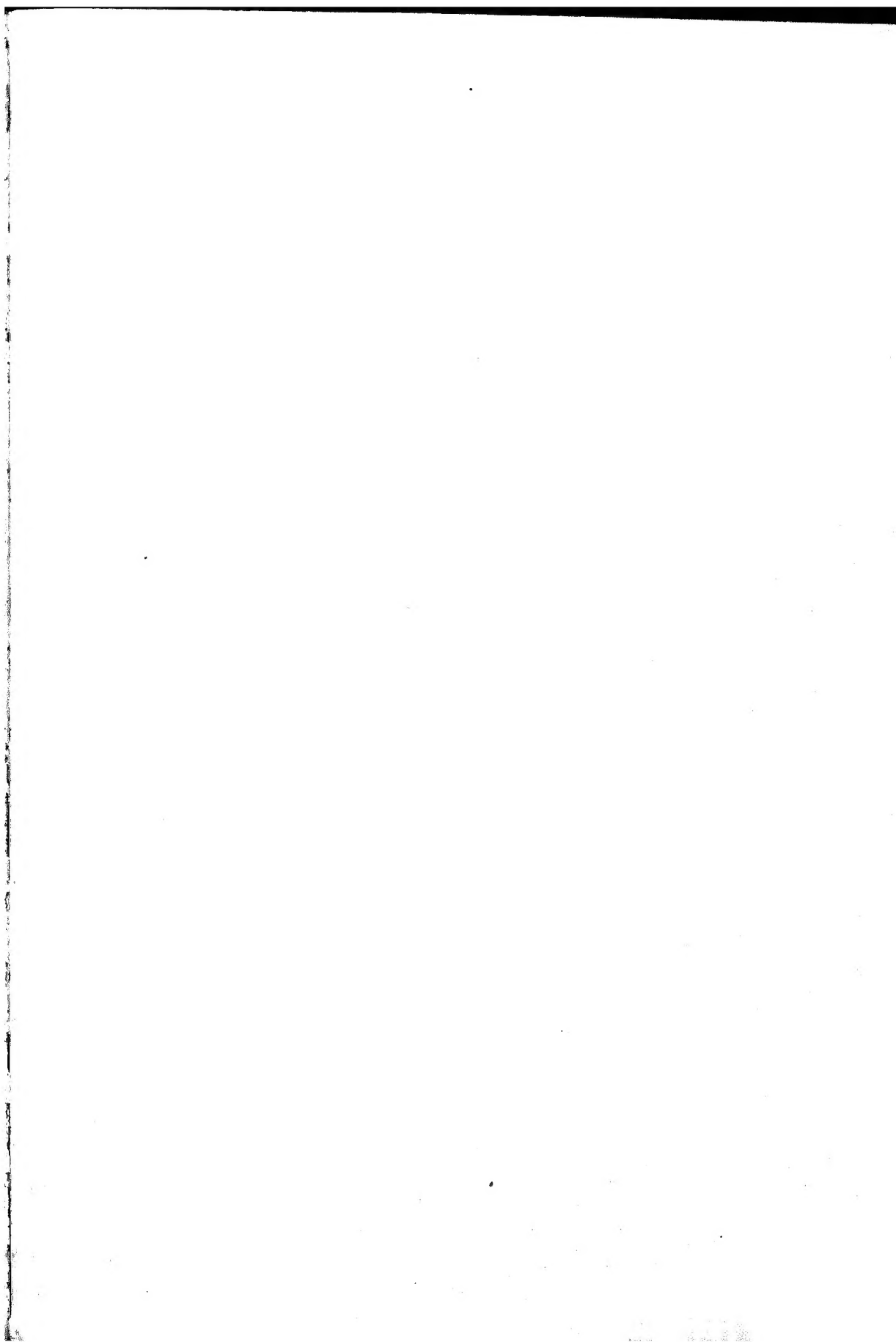


د. سامية مصطفى مسعد



Bibliotheca Alexandrina

العلاقات بين المغرب والآنديلس في عصر الخلافة الأموية



١٩٧٤٥

٩٥٩.٥٩٣

٩٥٢٧٥١

٤٣٤

ع

العلاقات بين المغرب والاتدلس فى عصر الخلافة الأئمية

(٣٠٠ - ٣٩٩ هـ / ٩١٢ - ١٠٠٨ م)



Govern...ization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie

تاليف

د. سامية مصطفى مسعد

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
٩٥٩.٥٩٣٧٥١	رقم المصنف
٤٣٤	رقم التسجيل

الطبعة الأولى

م. ٢٠٠٠



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقي عبد القوى حبيب

د . على السيد على

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون - فاكس ٣٨٧١٦٩٣

ص . ب ٦٥ خالد بن الوليد بالهرم - رمز بريدى ١٢٥٦٧

Publisher: EYN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Alharam - A.R.E. Tel : 3871693

P. B 65 Khalid Ben - Alwalid - Alharam P. C. 12567

فهرس الموضوعات

صفحة

المقدمة	٧
الفصل الأول :	
الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب والأندلس فى عصر الخلافة الأموية	١٣
أولا : الأوضاع الداخلية فى الأندلس	١٤
- أحوال الأندلس قبل ظهور عبد الرحمن	١٤
- عبد الرحمن بن محمد الأمير	١٩
- القضاء على الفتن والثورات	٢٠
- إعلان الخلافة الأموية فى الأندلس	٢٥
- الأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن	٣٠
- الحكم المستنصر وسياسته الداخلية والخارجية	٣٤
- خلافة هشام المؤيد وحجابه المنصور	٣٧
- سياسة المنصور الداخلية	٣٩
- سياسة المنصور الخارجية	٤٠
- خلفاء الحاجب المنصور	٤٢
- سقوط الخلافة الأموية وأسبابه	٤٣
ثانيا : الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب	٥٧
- قيام الخلافة الفاطمية	٥٨
- مرحلة الصدام المسلح	٦١
- خروج المهدي	٦٣
- توطيد سلطان الخلافة	٦٤
- نشوب الثورات	٦٧

- ٧٢ امتداد النفوذ الفاطمي
- ٧٤ المغرب في ظل بني زيري

الفصل الثاني:

- ٧٩ العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب في عصر الخلافة
- ٧٩ محاولات الفاطميين نشر مذهبهم في الأندلس
- ٨٢ فتح أبواب المهديّة والقيروان أمام اللاتين الأندلسيين
- ٨٣ تشجيع الثوار في الأندلس ومساندتهم
- ٨٣ الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى
- ٨٥ ✓ التوسع الفاطمي في المغرب الأقصى
- ٨٩ ✓ العلاقات في عهد المعز لدين الله
- ٩١ ✓ رد الفعل الأموي ضد مطامع الفاطميين في بلاد المغرب والأندلس
- ٩٣ مقاومة المالكية للفاطميين في بلاد المغرب
- ٩٣ استقبال الأندلس للاتين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين
- ٩٥ تأييد اللاتين على الفاطميين في بلاد المغرب
- ٩٥ الصراع البحري
- ٩٩ الحكم المستنصر
- ١٠٧ سياسة المنصور بن أبي عامر تجاه المغرب
- ١١٢ المهاجرون من القطرين وأثرهم في الأحداث السياسية

الفصل الثالث :

- ١٢٧ أهم المراكز التجارية في بلاد الأندلس
- ١٣٨ أهم المراكز التجارية في بلاد المغرب
- ١٥٠ الطرق التجارية في الأندلس والمغرب
- ١٥٢ التجارة الداخلية في الأندلس والمغرب

١٦٨ التجارة الخارجية المتبادلة بين الأندلس والمغرب

١٦٨ الطرق التجارية بين الأندلس والمغرب

الفصل الرابع :

١٧٥ العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب فى عصر الخلافة

١٧٥ أ- العوامل المؤثرة فى العلاقات الثقافية

١٧٦ الرحلات المتبادلة بين القطرين

١٨٨ الحواضر الثقافية والتبادل الفكرى بينهما

٢٠١ ب- تفاصيل عن العلاقات الثقافية بين القطرين

٢٠٢ - الفقه

٢٠٥ - المذهب الشيعى

٢٠٨ - الدراسات اللغوية والأدبية

٢١٣ - العلوم

٢١٥ الخاتمة

٢٢١ ثبت المراجع

مقدمة

إن من أمتع الدراسات المتعلقة بالحضارة الإسلامية أن ندرس العلاقات بين الأمصار الإسلامية لنعرف كيف كان الأخذ والعطاء ، فعن طريق هذا الأخذ والعطاء تكامل بناء الحضارة الإسلامية حتى صارت صرحاً شامخاً .

هذه العلاقات ظهرت بصورة واضحة بين القطرين المتجاورين المتكاملين المغرب والأندلس اللذين كونا فى تاريخ الفكر الإسلامى بيئة خاصة متميزة واضحة المعالم.

ولهذا حرصت على أن أستقصى هذه العلاقات الحضارية المتبادلة بين المغرب والأندلس لأتتبع قصة هذا التكامل الحضارى، كما تخبرت عصراً خاصاً توثقت فيه هذه الصلات وازدهر فيه التبادل الفكرى، ونضجت الحضارة الإسلامية ، وهو عصر الخلافة الأموية (٣١٦هـ- ٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م) .

ولكى أخدم هذه الدراسة خدمة علمية حققة قسمت الموضوع إلى أربعة فصول أفردت الفصل الأول لدراسة الأوضاع الداخلية فى القطرين الشقيقين ، الخلافة الأموية فى الأندلس والفاطمية فى المغرب، بل اضطررتى السياق التاريخى إلى أن أتناول تاريخ الخلافة حتى سقوطها فى عام ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م وعرضت بالمقابل لتاريخ المغرب بعد رحيل الفاطميين وقيام الإمارات المغربية المستقلة التى نكبت بغارات عرب بنى هلال.

أما الفصل الثانى فقد خصصته لدراسة العلاقات السياسية بين البلدين، فتحدثت عن محاولات الفاطميين غزو الأندلس، وذلك عن طريق نشر المذهب الشيعى داخل بلاد الأندلس وإرسال دعائهم لنشر ذلك المذهب وتشجيعهم للشائرين فى الأندلس وفتح أبواب المهديّة والقيروان أمام اللاجئين السياسيين الأندلسيين، ثم الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى حتى رحل الفاطميون إلى مصر .

ثم تحدثت عن رد الفعل الأموى ضد مطامع الفاطميين فى بلاد الأندلس والمغرب، وذلك بإرسال دعائهم وجواسيسهم إلى بلاد المغرب لتزويد حكومة قرطبة بأخبار ما يدبره لهم الفاطميون فى المغرب.

ثم مقاومة المالكية للفاطميين فى المغرب واستقبال الأندلس للاجئين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين وتشجيع وتأبيد الثائرين على الفاطميين فى بلاد المغرب.

ثم تحدثت عن الصراع البحرى بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس.

وفى فترة الحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر تتبعت سياسة الأمويين فى بلاد المغرب خاصة بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام الفتنة البربرية .

وفى نهاية هذا الفصل تعرضت لموضوع المهاجرين من القطرين وأثرها فى الأحداث السياسية.

وفى الفصل الثالث عرضت للعلاقات الاقتصادية فتناولت الموضوعات الآتية : أهم المراكز التجارية فى كل من المغرب والأندلس ، ثم تعرضت للطرق التجارية فى كل من المغرب والأندلس ، فالتجارة الداخلية فى الأندلس والمغرب أيضا ، ثم تطرقت إلى الأسواق والفنادق والأسعار ، ثم الإشراف على هذه الأسواق فأشرت إلى وظيفة المحتسب وأهميتها ثم وسائل المعاملات داخل هذه الأسواق من عملات أو سفاتج أو صكوك ، ثم الموازين والمكاييل ، ثم تعرضت لموضوع التجارة الخارجية بين الأندلس والمغرب ، فذكرت أهم الطرق التجارية وخاصة الطرق البحرية التى ربطت بين البلدين ، ثم أشرت إلى السلع المتبادلة بينهما .

فى حين خصصت الفصل الرابع للعلاقات الثقافية فتحدثت عن العوامل المؤثرة فى هذه العلاقات من صلات جغرافية ورحلات متبادلة وحواضر ثقافية ثم أشرت إلى تفاصيل هذه العلاقات فتحدثت عن الفقه والمذهب الشيعى والدراسات اللغوية والأدبية والعلوم وبيئت كيف أن عصر الخلافة قد قدح زناد الفكر فأظلت البلدين نهضة فكرية حقيقية.

هذا وقد اعتمدت فى كتابة البحث على المصادر العربية القديمة بالدرجة الأولى ، ثم المراجع العربية الحديثة والأجنبية والمقالات المنشورة فى الدوريات .

ومن المراجع العربية القديمة التى أعانتنى على كتابة هذا البحث مخطوط المجالس والمسائرات لأبى حنيفة النعمان المغربى المتوفى سنة ٣٦٣هـ / ٩٦٤م . وقد أفدت منه فى دراسة تاريخ الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب وعلاقاتها بالأمويين فى الأندلس خاصة الصراع البحرى فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وكتاب المقتبس فى أخبار بلد الأندلس تأليف أبى مروان بن حيان القرطبى ٤٦٩هـ ويعتبر من أعظم مؤرخى أسبانيا الإسلامية فى العصور

الوسطى . وقد امتازت روايته بالدقة والعمق والنظرة التحليلية الصائبة ، كما أمتازت عباراته بالقدرة والمرونة حتى لقب بشيخ الأدب والمؤرخين فى الأندلس .

هذا وقد كتب ابن حيان مؤلفات كثيرة تبلغ الخمسين ، ضاعت كلها تقريبا ولم يبق منها إلا أجزاء يسيرة نذكر منها كتابه المعروف باسم المقتبس فى أخبار بلد الأندلس وتتناول هذا الكتاب تاريخ الأندلس من الفتح العربى حتى أواخر القرن الرابع الهجرى .

هذا وقد وصل إلينا من كتاب المقتبس أربع قطع منفصلة ، القطعة الأولى وتتناول عصر الحكم الرضى وجزء من عصر عبد الرحمن الأوسط وقد نشرها الدكتور محمود على مكى .

والقطعة الثانية وتتناول عهد الأمير عبدالله الأموى ونشرها الراهب الأسباني ملشور انطونيا ، أما القطعة الثالثة ، فهى تتناول معظم عهد عبد الرحمن الناصر ، وقد اكتشفت حديثا فى خزانة القصر الملكى بالرباط وهى لاتزال مخطوطة .

هذا وقد أفدت من القطعة الثانية من هذا الكتاب فى دراسة أحوال الأندلس الداخلية ، والثورات التى انتشرت بها قبيل ظهور عبد الرحمن بن محمد وقيام الخلافة الأموية فى الأندلس .

أما القطعة الرابعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر فقد أفدت منها إفادة كبيرة ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس فى فترة خلافة الحكم المستنصر وسيطرة الأمويين على المغرب الأقصى بعد رحيل الفاطميين إلى مصر .

كما اعتمدت كذلك على كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشى (القرن السابع الهجرى) وهذا الكتاب يقع فى أربعة أجزاء الجزء الأول يتحدث عن فتح الفاطميين لأفريقية فى حكم المعز لدين الله الفاطمى وانتقاله إلى مصر .

أما الجزء الثانى فيعالج تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى حتى وفاة المنصور بن أبى عامر .

وقد أفدت من هذا الكتاب إفادة كبيرة فى إلقاء الضوء على تاريخ المغرب والأندلس ، وعلاقة كل منهما بالآخر ، كما أفادنى هذا الكتاب فى التأريخ لأحداث سقوط الخلافة والفتنة البربرية . ويؤخذ على هذا الكتاب أنه ملئ بالأخطاء التاريخية ومع هذا فقد أفدت منه فى التأريخ لمدينة فاس خاصة وتاريخ المغرب الأقصى عامة .

وعلى رأس الكتب المغربية التى أفدت منها كتاب سيرة الأستاذ جوزر وتوقيعات الأئمة

الفاطمين لأبى المنصور العزيزى الجوزرى (عاش فى القرن الرابع الهجرى) وكان من المقربين للخلفاء الفاطميين ، ومن هنا تظهر أهمية المؤلف كشاهد عيان ولذا فقد أمدنى ببعض المعلومات الهامة عن تاريخ الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب . ومن الكتب التى أفادتنى فى دراسة الجوانب الثقافية والتاريخية أيضا كتاب المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٨٥هـ ويقع فى جزئين .

ومن الكتب الأدبية التاريخية أيضا كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسلام الشنترينى نسبة إلى شنترين فى غرب البرتغال ، (ت ٤٥٢هـ ويعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية أفدت منه إفادة كبيرة.

ولايفوتنى هنا أن أشير لبعض كتب التراجم التى أفادتنى فى التأريخ لعلماء المغرب والأندلس وإلقاء الضوء على العلاقات الثقافية التى ربطت بين بلاد المغرب والأندلس عبر الرحلات المتبادلة بين أبناء القطرين الشقيقين .

ومن أهم هذه الكتب كتاب تاريخ علماء الأندلس للمؤرخ القرطبى أبى الوليد ابن محمد الأزدى المعروف بابن الفرضى، المتوفى سنة ٤٠٣هـ قتله البربر فى فتنة الأمويين فى قرطبة.

وكتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال المتوفى فى القرن السادس الهجرى. وكتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية لمحمد بن الحارث الحشنى المتوفى سنة ٣٦١هـ ، وكتاب جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس للحميدى المتوفى سنة ٤٤٨هـ.

أفدت أيضا من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد المقرئ (ت ١٠٤١هـ) وهو مؤرخ مغربى من مدينة مقرة من أعمال قسنطينة ، طاف ببلاد المغرب ورحل إلى المشرق، كان المقرئ من المعجبين بشخصية المؤرخ الفرناطى لسان الدين بن الخطيب حتى أنه ألف كتاباً تناول فيه تاريخ ابن الخطيب وحياته وإنتاجه العلمى والأدبى من نظم وشعر وتاريخ ، فخرج هذا الكتاب على شكل موسوعة كبيرة عن الأندلس ، نصفها الأول يتضمن التعريف بابن الخطيب .

ويعاب على هذا الكتاب أنه غير منظم فى سرد معلوماته ، وقد يرجع ذلك إلى أن المقرئ ألفه بعيداً عن وطنه اعتماداً على مكتبته التى تركها بالمغرب على حد قوله ، على أن هذا الكتاب يعتبر مصدراً أساسياً لجميع الباحثين فى تاريخ المغرب والأندلس .

كذلك استعنت بكتاب الحلة السيرا ، تأليف ابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ وهذا الكتاب يتناول أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى إلى منتصف القرن السابع الهجرى .

وأفدت من كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مينة فاس لأبى العباس أحمد بن أبى زرع والكتاب يتناول تاريخ المغرب الأقصى من سنة ١٤٥هـ إلى ٧٢٦هـ أى أنه يشتمل على تاريخ الدول الخمس التى تداولت حكم المغرب فى هذه الفترة : وهى دولة الأدارسة ، ودولة زناتة من مفاوة وبنى يفرن ، ثم دولتا المرابطين والموحدين وأخيرا دولة بنى عبد الحق أو بنى مرين .

وكانت المؤلفات الجغرافية وكتب الرحالة خير عون لى فى القاء الضوء على صور العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب والأندلس بما تضمنته من معلومات قيمة عن النشاط الزراعى والصناعى والتجارى ، وأهم المراكز التجارية فى كل من المغرب والأندلس وما اشتهرت به من منتجات زراعية وصناعية .

كما أمدتنى هذه الكتب بمعلومات وافية عن طرق جباية الضرائب والايادات المالية فى كل من المغرب والأندلس وعن نظم المعاملات داخل هذه الأسواق .

ومن الكتب التى أفدت منها افادة كبيرة كتاب صورة الأرض لابن حوقل المتوفى سنة ٣٨٠هـ ، وكتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدس المتوفى سنة ٣٨٧هـ .

ومن المصادر الجغرافية القيمة التى استعنت بها أيضا كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبى عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ .

ومن كتب الحسبة التى رجعت إليها كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لعبد الرحمن بن نصر الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٩هـ وكتاب ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب .

وقد أفادتنى كتب الحسبة هذه فى القاء الضوء على وسائل المعاملات المختلفة من عملات وصكوك وسفاتج وموازين ومكايل ودراسة نشأة الحسبة ووظيفة المحتسب داخل أسواق المغرب والأندلس .

كما أفدت من بعض المراجع العربية الحديثة ومنها كتب أستاذنا الدكتور محمد جمال الدين سرور عن قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب وسياسة الفاطميين الخارجية . وكذلك كتاب دولة الإسلام فى الأندلس تأليف الأستاذ محمد عبدالله عنان وفيه يتحدث عن تاريخ الأندلس الإسلامية من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف .

كما أفدت أيضا من كتابى قيام دولة المرابطين وكتاب الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا للأستاذ الدكتور حسن أحمد محمود . كما أفدت كذلك من كتب الدكتور أحمد مختار العبادى ومن أهمها كتاب الصقالبة فى إسبانيا وكتاب دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . كما أفدت من كتب الدكتور عبد العزيز سالم مثل كتاب تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس وهو يتحدث فيه عن الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية وكتاب قرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الأندلس.

وقد أفدت من عدد من المراجع الأجنبية أثبتها فى قائمة المصادر والمراجع واطلعت كذلك على كثير من المقالات المنشورة فى الدوريات وأفدت منها الكثير وقد راعيت فى البحث كتابة أسماء المراجع التى اعتمدت عليها فى هامش كل صفحة ثم رتبها فى قائمة واحدة حسب الحروف الأبجدية ووضعتها فى نهاية البحث.

الفصل الأول

الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب والأندلس فى عصر الخلافة

١- الأوضاع الداخلية فى بلاد الأندلس

- أحوال الأندلس قبيل ظهور عبد الرحمن - عبد الرحمن بن محمد
الأمير - القضاء على الفتن والثورات - إعلان الخلافة الأموية فى
الأندلس - الأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن - الحكم المستنصر
وسياسته الداخلية والخارجية - خلافة هشام المزيدي وحجابه المنصور
- سياسة المنصور الداخلية والخارجية - خلفاء الحاجب المنصور -
سقوط الخلافة الأموية وأسبابه

٢- الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب

- قيام الخلافة الفاطمية - الدعوة - مرحلة الصدام المسلح - خروج
المهدى - توطيد سلطان الخلافة - نشوب الثورات - امتداد النفوذ
الفاطمى

الأوضاع الداخلية فى عصر الخلافة

النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى من أهم الفترات فى تاريخ الأندلس والمغرب، فقد
ضعفت الإمارة الأموية فى الأندلس واشتد عدوان النصارى وكادت أمور المسلمين أن تتفرق
سدى، إلى أن قبض الله للأندلس عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأمير الذى خلصها من
الضعف وحقق لها الوحدة.

وفى المغرب ضعفت دولة الأغالبة كما ضعفت دولة الأدارسة أيضا، واضطربت أحوال البلاد
بالكثير من الفتن والثورات، ثم قدر للمغرب أن تقوم الدولة الفاطمية فيه وأن يشتد أمر
عبيد الله المهدى وخلفائه من بعده، وأن يوحدا البلاد حتى المحيط الأطلنطى وأن يحققوا لها
الأمن والرخاء والاستقرار.

بل فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى، يمر القطران بتطور مشابه أيضا، فقد
سقطت الخلافة الأموية فى الأندلس، ورحل الفاطميون إلى مصر، واشتد الصراع بين الإمارات
المغربية التى قامت بعد رحيلها إلى أن ابتليت البلاد بإغارات العرب الهلالية والذين عاثوا
فيها فسادا.

وسوف نبدأ بدراسة أحوال الأندلس الداخلية أولا ثم أحوال المغرب الداخلية لنرى ما بينهما
من أوجه شبه أو اختلاف.

الأوضاع الداخلية فى بلاد الأندلس

أحوال الأندلس قبل ظهور عبد الرحمن

شهدت الأندلس مرحلة نمو وازدهار حضارى طوال عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وخلفائه من بعده حتى وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ، ٨٢١-٨٥٢م) حاول بها استعادة ما فقدته آباءه فى المشرق، فقد أحيا اسم الدولة الأموية على شكل إمارة^(١)، بعد انتزاع الأندلس من الولاة الذين تعاقبوا على حكم هذه البلاد^(٢)، تعرضت البلاد بعدها لكثير من مظاهر الفوضى والاضطراب والفتن والثورات الداخلية، واستغرقت هذه الفتن نحواً من اثنين وسبعين عاماً وهى الفترة التى تعاقب فيها على حكم الأندلس ثلاثة من أمراء البيت الأموى وهم محمد الأول والمنذر وعبدالله^(٣).

وخلف المنذر أخوه عبدالله بن محمد سنة ٢٧٥هـ^(٤) / ٨٨٨م وقد بدأ الأمير عبدالله بن محمد حكمه فى ظروف قاسية تمزقت خلالها وحدة الأندلس السياسية بسبب الفتن والثورات التى اجتاحت مدن البلاد، واشتدت هذه الثورات «حتى صار فى كل جهة متغلب، ولم تزل كذلك طول ولايته»^(٥)، فقد فشلى أمر الثوار حتى صار فى كل جهة متغلب، ولم تزل كذلك طول ولايته، فقد شق الثوار عصا الطاعة واستقلوا بحكم المناطق التى ثاروا فيها، وأمسى النفوذ الأموى لا يتعدى قرطبة وضواحيها.

ولقد تنوعت عناصر الثورة وأجناسها، فمن العرب ثار إبراهيم بن حجاج^(٦) فى أشبيلية^(٧)

١- عن قيام الامارة الأموية فى الأندلس تفصيلاً «راجع أخبار مجموعة ص ٨٦، ص ٩٠.

٢- الضبى بغية الملتبس ص ١٢.

٣- ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ص ١٥٧.

٤- الحميدى، جذوة المقتبس، ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٠.

٥- ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٤٥.

٦- بنو حجاج من الأسر العربية فى أشبيلية وهم لحميون ينتسبون عن طريق الأمومة إلى القوط، انظر (عنان دولة الإسلام فى الأندلس ج ١، العصر الأول ص ٣٣١).

٧- مدينة بالأندلس ليس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام «انظر (الحميرى الروض المعطار ص ١٨)» =

وقرمونة^(١)، وكان من زعماء أشبيلية أيضا، بنو خلدون^(٢) وبنو أبي عبده، وخلعت أشبيلية طاعة الأمويين، إذ كان زعماءها لا يرجعون فى شيء إلى صاحب الدعوة مروانية، على حد قول ابن الخطيب^(٣). وغدت أشبيلية منافسا خطيرا لقرطبة^(٤). فأرسل الأمير عبد الله جيشا إلى أشبيلية سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) بقيادة ابنه المطرف، ونشبت بين جيش الإمارة بقيادة المطرف بن عبد الله وبين زعماء أشبيلية معركة انتهت بانتصار جيش الإمارة. وفى هذه الموقعة أسر إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون، ولكن تم إطلاق سراحهما بعد استسلام المدينة لجيوش الأمير عبد الله، ودخل كل من كريب بن خلدون وإبراهيم بن حجاج فى طاعة الأمير عبد الله، وتم الاتفاق على إشراك كل من الزعيمين فى حكم أشبيلية^(٥).

ولقد تمكن إبراهيم بن حجاج من الانفراد بحكم أشبيلية سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥م بعد أن دبر مقتل كريب بن خلدون^(٦)، وأصبح سيد أشبيلية بلامنازع، ولم يلبث أن خلع طاعة الأمويين وتحالف مع الثائر عمرو بن حفصون بسبب عدم تلبية الأمير عبد الله لرغبة إبراهيم بن حجاج فى الإفراج عن ولده عبد الرحمن المعتقل فى قرطبة^(٧). ولما أفرج عنه عاد إلى الدخول فى طاعة الأمير عبد الله من جديد والاستمرار فى دفع الأتواة، فهدأت الثورة فى أشبيلية واستطاع الأمير عبد الله أن يقضى على عناصر الفتنة بها واستقرت أوضاعها إلى حين^(٨).

= العنبرى، ترجيع الأخبار وتنويع الآثار ص ٩٥، ابن غالب فرحة الأنفس ص ٢٩٥، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٩٧، الادريسى، صفة المغرب ص ١٧٨، البكرى، جغرافية الأندلس وأوروبا ص ١١٢-١١٣).

١- مدينة بالأندلس ليس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام انظر الحميرى الروض المعطار ص ١٨.

٢- ابن خلدون العبر ج ٧ ص ٣٨٠-٣٨١.

٣- ابن الخطيب أعمال الاعلام نشر ليفى بروفنسال ص ٣٩.

٤- ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٦.

٥- ابن حيان، المقتبس ج ١ ص ١١.

٦- ابن حيان، المقتبس ج ١ ص ٨٤.

٧- ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ١٢٩.

٨- ابن حيان، المقتبس ص ١٣١.

لم تكن أشبيلية المدينة الوحيدة التى اندلعت بها نيران الثورة بل عمت الفتن والثورات أنحاء الأندلس كلها، فقد أعلن ولاية «لورقة»^(١) وسرقسطة^(٢) «استقلالهما» ، أما بطليوس^(٣) وماردة^(٤) فقد ثار فيها عبد الرحمن بن مروان الجليقى^(٥) ، وقد أرسل الأمير عبدالله وزيره هاشم بن عبدالعزيز على رأس جيش لاختماد نيران الثورة هناك، غير أن هذا الوزير وجنوده قد أساءوا معاملة الأهالى، إذ يقال أنه أهان عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، سبه بقوله «الكلب خير منك»^(٦) فأخذ أسيرا ثم افتداه الأمير عبدالله بأموال طائلة^(٧) ، غير أن خطر هذه الثورة استمر حتى عهد عبد الرحمن الناصر^(٨).

١- لورقة Lorea تقع فى كورة مرية . وتدمير Tudmer الاسم القديم لكورة مرسية تقع شرق الأندلس شمال المرية، انظر الحميرى الروض المعطار ص ٦٢ ، البكرى ، جغرافية الاندلس ص ١٢٧ .

٢- سرقسطة «تقع سرقسطة فى شرق الأندلس وهى المدينة البيضاء ، أعظم مداين ثغر الأندلس» (تاريخ الاندلس ووصفه لابن الشباط «نصان جديان» تحقيق أحمد مختار العبادى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ١٥٠) .

٣- تقع مدينة بطليوس على الحدود الشرقية للبرتغال (انظر الحميرى الروض المعطار ص ٤٦) .

٤- تقع مدينة ماردة Merda فى جنوب غرب الأندلس (المصدر السابق ص ١٢٧ الحميرى الروض المعطار ص ١٧٥) .

٥- ينتمى إلى أسرة من المولدين أصلها من ولاية جليقة فى شمال البرتغال استطاع أن يفر من قرطبة مع نفر من صحبة ، تولى أبوه مروان بن بونس الجليقى حكم ماردة أيام الأمير عبد الرحمن الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢م ٨٥٢م) ، وكان ولده عبد الرحمن طموحا لا يشعر بالولاء نحو حكومة قرطبة ، فانتظم فى سلك الخوارج واشترك فى الثورة ضد الأمير محمد فلما أخمدت الثورة وتم اخضاع ماردة فى ٢٥٤هـ / ٨٦٨م قبض الأمير على عبد الرحمن الجليقى ونقله مع باقى الثوار إلى قرطبة ، ثم فر من قرطبة فى ٢٦١م ٨٧٥م حيث غادر قرطبة خفية واستولى على قلعة الحنيش (Alange) تقع على بعد ٢٠ كم جنوب شرق ماردة (البكرى المغرب ص ١٢٥ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس ص ٣٠٤) .

٦- ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ١٠٣-١٠٤ .

٧- ابن الخطيب ، اعمال الإعلام ص ٢٢- ٣٣ .

٨- ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ص ٥٢ تحقيق شوقى ضيف .

وكان أشد أولئك الشوار خطرا وأكثرهم عنادا «ابن حفصون» وهو من سلالة بعض أمراء القوط الغربيين واعتنق الاسلام لكنه كان يبطن النصرانية^(١)، دخل فى خدمة الأمراء الأمويين مدة ثم لم يلبث أن ثار فى قلعة ببشتر^(٢) واستغرقت فتنته اثنين وخمسين عاما من ٢٦٧-٣١٦هـ / ٨٨٠-٩٢١م ودانت له خلالها البلاد الواقعة بين ربة^(٣) والجزيرة^(٤) الخضراء^(٥) والبيرة^(٦) وضواحي قرطبة واشتدت شوكته واستفحل خطره ولم يستطع الأمير عبدالله القضاء عليه، بل قتل قائده عبد الملك بن مسلمة.

وانتهز عمرو بن حفصون الخلاف الذى نشب بين الأمير عبدالله وبين بنى حجاج فى أشبيلية^(٧)، واتصل بهم ليكونوا حلفا ضد الأمير عبدالله بن محمد كما اتصل بالفاطميين^(٨). هذا وقد حشد الشاعر عمرو بن حفصون قوات كبيرة فى حصنه المنيع بلال قرب قبره^(٩) (Cabra) للإغارة منها على المدن الأندلسية القريبة من قرطبة، وقد بلغت قوات الشاعر عمرو بن حفصون حوالى ثلاثين ألفا فى حين بلغت القوات الأموية حوالى أربعة عشر ألفا^(١٠) بالإضافة إلى أربعة آلاف من موالى الأمير عبدالله^(١١).

١- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ١٦٥ .

٢- حصن بالأندلس بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا (الحميرى) الروض المعطار ص ٣٧ .

٣- كورة من كور الأندلس فى قبلى قرطبة ، نزلها جند الأردن من العرب وهى كثيرة الخيرات (الحميرى، الروض المعطار ص ٧٩) .

٤- الجزيرة الخضراء تقع جنوب أسبانيا ، العلوى ص ١١٧-١٢٠ .

٥- البكرى، جغرافية الأندلس وأورها ص ٢١٧ .

٦- تقع البيرة Elvira شمال غرب غرناطة (البكرى، جغرافية الأندلس ص ١٢٦ ، الحميرى ، نفس المصدر ص ٢٩) .

٧- ابن حيان ، المقتبس ص ١٢٩ .

٨- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٣٦ .

٩- قبرة «مدينة بالأندلس تقع إلى الجنوب اشرقى من قرطبة على بعد ثلاثين ميلا من قرطبة (الحميرى، الروض المعطار ص ١٤٩ ، البكرى ، جغرافية الأندلس ص ١٢٧) .

١٠- ابن حيان ، المقتبس ص ١٠٤ .

١١- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٢ ص ٤٩٨ .

ونشبت بين الفريقين موقعة عند بلای^(١) سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م انتهت بانتصار قوات الإمارة بقيادة القائد عبيد الله بن محمد بن أبی عبده بعد أن فر عمرو بن حفصون وارتدت قواته وتمكنت القوات الأموية من الاستيلاء على أستجة^(٢) التي سبق أن دخلت في طاعة الثائر عمرو بن حفصون^(٣).

غير أنه تمكن من استردادها مرة أخرى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م^(٤)، وعلى الرغم من نجاح قوات الأمير عبدالله في تتبع أثر ابن حفصون ومحاولة القضاء عليه ونجاح الإمارة الأموية في مناهضة هذا الثائر إلا أن الأمير عبدالله لم يفلح في القضاء على تلك الثورة قضاء نهائيا .

وكان من أثر هذه الفتن والثورات المتلاحقة على بلاد الأندلس أن انتشرت الفوضى في ربوعها ، فخلت الأسواق من الأثوات وارتفعت الأسعار ونفدت خزائن الدولة من الأموال وطمع نصارى الشمال في استرداد ملكهم .

ولم يستطع الأمير عبدالله أن يتغلب على ما حل بالبلاد من بلاء، وقد أشرفت دولة الأمويين في عهده على الزوال وامتلات الأندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلب^(٥).

١- انظر ابن حبان ، المقتبس ص ٩٥ ، ص ١٠٥ ، ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ١٢٦-١٢٧ .

٢- أستجة : Estiggi وتقع جنوب غرب قرطبة ، (ابن الكردوبوس ص ١٤٠ ، الحميري الروض المعطار ص ١٤ ، ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ١٣٧) .

٣- Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne Vol. II, pp. 68-73 .

٤- ابن حبان ، المقتبس ص ١٠٩ .

٥- الحميري ، الجذوة ص ١٢ ؛ عن الثورات والفتن الداخلية في أواخر عصر الإمارة انظر (ابن حبان : المقتبس ص ٨ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٧ ، ١١٢ ، ابن الأبار الحلة السيرا ، ج ١ ص ١٤٧ ، ١٥٤ ، ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٢ ، ١٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٢٥ ، ٢٩ ، ابن خلدون العبر ج ٤ ص ١٣٢ ، ١٣٧) .

R. Dozy : Spanish Islam pp. 316 ; 445 .

عبد الرحمن بن محمد الأمير :

توفى الأمير عبدالله سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وخلفه حفيده عبد الرحمن بن محمد^(١) (٣٠٠-٣٥٠ هـ / ٩١٢-٩٦١ م) وكان يكنى أبا المطرف وأمه أم ولد اسمها^(٢) مزنة ، توفى والده محمد وهو ابن عشرين يوماً^(٣). ونشأ عبد الرحمن يتيماً فى كفالة جده الأمير عبدالله الذى شمله بالرعاية والعناية بعد وفاة والده الأمير محمد^(٤) قبيل أخيه المطرف^(٥) ، وقام جده بتعليمه وتربيته فدرس القرآن والسنة، كما درس الشعر والتاريخ والنحو، وكان الأمير عبدالله « يرشحه لمختلف المهام ويندبه للجلوس مكانه فى أيام الأعياد لتسلم الجند عليه وحينما اشتد عليه المرض برىء إليه بخاقه إشارة منه باستخلافه »^(٦)، « فكان أول من بايعه أعمامه أبان والعاص ومحمد وتلاههم أخوه جده »^(٧)، واستمرت البيعة بضعة أيام، « فتتابع الفقهاء

١- الحميدى، الجذوة ص ١٢ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ج ١ ص ١٩٧ ص ١٩٨ ، الضبى، البغية ص ١٧ ، المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الاقصى ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن عذارى البيان ج ٢ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ٢٨ ، ٣٠ ، ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ١٣٧ ص ١٣٨ ، المقرئ، نفع الطيب ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٢- ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ١٥٦ .

٣- المراكشى: المعجب ص ٥٤ ، ٥٥ .

٤- الحميدى: الجذوة ، ص ١٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٣٧ .

٥- كان محمد بن عبدالله أكبر أبناء الأمير عبدالله وولى عهده، فحقد عليه أخوه الأصغر المطرف حيث كان يرى أنه أحق بولاية العهد منه فأخذ المطرف يدس لأخيه ويوغر صدر أبيه عليه فقد اتهمه المطرف بأنه يتصل بالشوار وخاصة الثائر عمرو بن حفصون فتوجس الأمير عبدالله منه شراً وأمر باعتقاله وعندما عزم الأمير عبدالله على العفو عنه وإطلاق سراحه بعد أن ثبتت براءته ، قام المطرف بقتله داخل السجن . « عن قتل المطرف لأخيه الأمير محمد انظر (ابن عذارى- البيان ج ٢ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ابن خلدون العبر ج ٤ ص ١٣٧) .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٢٩ .

Levi- Provencal ; Una Cronica Anonima de Abd Al Rahman III Al - Nassir Madrid pp. 29-30 .

٧- ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٣ ، ابن عذارى، نفس المصدر ج ٢ ص ١٥٨ .

Levi - Provencal Hist. de Musul . T. p. 30 .

والأعيان ورؤساء البيوتات، كما أخرج عبد الرحمن بن محمد الأمناء إلى البلاد لأخذ البيعة، فتتابعت الردود لانحيازها من جميع النواحي»^(١).

كانت الأندلس عند ولاية عبد الرحمن بن محمد ٣٠٠هـ / ٩١٢م تعاني الأوضاع التي أشرنا إليها، وكان على الأمير الجديد أن يتجه إلى تنظيم شئون البلاد الداخلية والخارجية وأن يواجه جميع الأخطار التي تتعرض لها الأندلس في الداخل والخارج. وقد أثبتت الأحداث أن عبد الرحمن كان جديراً بحمل هذا العبء^(٢) فقد استطاع أن يعيد إلى الأندلس استقرارها ووحدةها الداخلية^(٣).

القضاء على الفتن والثورات :

وقد نجح عبد الرحمن في استخلاص قلعة رباح^(٤) التي ثار بها الفتح بن موسى بن ذى النون من زعماء البربر، بعد معركة بين قوات الأمير عبد الرحمن وبين الشائر ابن ذى النون وأتباعه في شهر ربيع الآخر ٣٠٠هـ / ٩١٢م، كما استولت جيوش الأمير عبدالرحمن بقيادة بدر الحجاب^(٥) على قلعة أستجة في نفس تلك السنة، وكانت هذه القلعة من أمنع قلاع الشائر عمرو بن حفصون حيث قامت جيوش عبد الرحمن بعد الاستيلاء عليها بهدم سورها «فألقوا أعاليها بأسفلها»^(٦).

١- نفس المصادر السابقة ونفس الصفحات .

٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٩ .

M. Lafuente , Historia Genral de Espana I. L. pp. 217-230 .

٣- ابن عذاري ، البيان ج ٢ ص ١٥٧ ، ص ٢٠٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ص ٣٢-٤٠ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ص ١٣٧-١٤٣ .

٤- «قلعة بالأندلس من أعمال بجان وهي بين قرطبة وطليطلة وهي مدينة حسنة ولها حصون حصينة (الحميري: الروض المعطار ص ١٦٣) .

٥- مدونة من عصر الناصر ص ٣٣ . Levi- Provençal , cronica, anonima .

الحميري : الروض المعطار ص ١٤ .

٦- ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ١٥٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٣٩ .

٧- ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٥٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٣٩ .

كما ثار فى حصن المتلون من أعمال جيان^(١) زعيم من المولدين اسمه سعيد بن هذيل ، فقامت جيوش الأمير عبد الرحمن فى ٣٠٠هـ / ٩١٢م بمحاصرة الحصن ، ولما أذعن زعيمه للطاعة ، منحه الأمير عبدالرحمن الأمان ، ثم تقدم الأمير عبد الرحمن إلى قلعة بيشتر^(٢) من كورة ربة لقتال عمرو بن حفصون وأولاده بعد أن اشتد أمره واتسعت رقعة مملكته وانضم إليه عدد كبير من الخارجين على طاعة الأمير^(٣) ، كما أطاعه أكثر البلاد المتوسطة بين ربة والخضراء والبيرة^(٤) .

وبعد جهود كبيرة ومحاولات عدة استطاع جيش الأمير عبدالرحمن أن يفتح ثلاثين حصنا من حصون ابن حفصون^(٥) .

ثم توفى عمرو بن حفصون فى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م وهو فى الثانية والسبعين من عمره بعد مرض طويل^(٦) .

لقد كانت ثورة ابن حفصون من أشد الثورات التى عرفتها الأندلس خطرا فقد ناهضت حكومة قرطبة زمنا طويلا .

ولم تنته هذه الثورة بوفاة ابن حفصون سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م بل حمل أبنائه من بعده لواء المعارضة ضد حكومة قرطبة ، فقد ترك ابن حفصون أربعة أولاد ، هم سليمان وعبد الرحمن وجعفر وحفص ، وخلف جعفر أباه فى بيشتر بعهد منه . قبادر عبد الرحمن باحتلال مدينة بيشتر وافتتح حصن طرش ، وكان قيه عبد الرحمن بن عمرو بن حفصون ، فسلم الحصن سنة^(٧) .

١- مدينة بالأندلس ، بينها وبين بياضة ستون ميلا ، الحميرى ، الروض المعطار ص ٧٠ .

٢- مدونة من عصر الناصر ص ٣٣-٣٥ .

٣- الحميرى : الروض المعطار ص ٣٧ .

٤- ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ١٣٤ ، ص ١٣٩ .

٥- ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ١٣٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

٦- ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ١٧٠ ، ص ١٧٠ ، ص ١٩٥ ، ص ٢٠١ - ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٣٩ .

٧- ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ١١٤ ، ص ٢١٠ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

٨- ابن عذارى : نفس المصدر ج ٢ ص ١٧٤ ، ابن الخطيب المصدر السابق ص ٣٤ .

٣٠٧هـ / ٩١٩م ، أما جعفر بن عمرو بن حفصون فقد رأى الأمير عبد الرحمن أن يهادنه أول الأمر فأقره على أعماله .

وفى (٣٠٨هـ / ٩٢٠م) قتل جعفر فى ببشتر واتهم فى ذلك أخوه سليمان ، وقيل أن نفرا من النصارى قد اغتالوه بسبب تورده لجند المسلمين^(١) .

وأخذت معاقل بنى حفصون تسقط واحدة فى أثر الأخرى وقامت قوات عبد الرحمن بتدمير تلك الحصون والقلاع تدميرا تاما^(٢) واستسلم جميع العصاة المعتصمين فيها (سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م)^(٣) .

أما أشبيلية فقد كان يحكمها بنو حجاج من الأسر العربية التى استقرت بالمدينة ، وكان ابراهيم بن حجاج اللخمى قد استقل بكورة أشبيلية وقرمونة وخرج على الأمير عبدالله بن عبد الرحمن - كما سبق أن ذكرنا^(٤) - ولما عاد إلى الطاعة ولاه الأمير عبدالله على أشبيلية ، ولما توفى ابراهيم سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠م ولى مكانة ابنه عبد الرحمن حتى توفى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣م^(٥) .

وقد نجح الأمير عبد الرحمن فى اجتذاب بنى حجاج فى أشبيلية إليه فدخل أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج فى طاعته^(٦) .

أما مدينة قرمونة فقد ثار بها حبيب بن سودة فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشا بقيادة بدر ، فقام بحصارها ثم دخلها عنوة وقبض على حبيب وولده وأرسلوا إلى قرطبة (٣٠٥هـ / ٩١٧م) .

١- ابن خلدون : العبر ج٤ ، ص ٣٥ . Dozy Hist. Vol II p. 108 .

٢- Carlos - sarthou carmenas castillos d'Espana, Madrid, 1952. p. 22 .

٣- Dozy , Spanish Islam. pp. 393-494 .

٤- انظر ص٤ من الرسالة .

٥- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ١٢٥ ، ص ١٣٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٤٠ .

٦- ابن عذارى ، البيان ج٢ ، ص ١٢٥ ، ص ١٣١ ، ص ١٦٣ ، ابن خلدون العبر : ج٤ ص ١٣٦ .

٧- Levi - provençal , cronica anonima p. 56-55 .

وأخذت مدن الأندلس الواحدة بعد الأخرى تفتح أبوابها للأمير عبد الرحمن فسلمت طليطلة^(١) ودخلت في طاعته وخرج أميرها ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث إليه فأمنه^(٢).

هكذا استطاع الأمير عبد الرحمن بن محمد أن يقضى على مظاهر الفرقة داخل الأندلس ، فاجتمع شمل المسلمين تحت لوائه وأصبحوا يؤلفون قوة كبرى كان لها أكبر الأثر في بث الرعب والهلع في نفوس نصارى أسبانيا .

وقد قاسى المسلمون في الأندلس الكثير من المتاعب في الحروب التي شنّها عليهم نصارى الشمال، فلم تقضى سنتان على حكم الأمير عبد الرحمن حتى شن أردونيو Ordonez (٣٠٢هـ / ٣١٣هـ - ٩١٤م / ٩٢٥م) ملك ليون الحرب على المسلمين فحشد جيوشه وقصد مدينة يابرة^(٣). فدخلها عنوة وقام بقتل عدد كبير من السكان واستشهد في هذه الموقعة عامل المدينة مروان بن عبد الملك^(٤).

وفي سنة (٣٠٥هـ / ٩١٧م) التحمت جيوش المسلمين بقيادة القائد أحمد بن محمد بن أبى عبده مع الجيوش القشتالية في موقعة قرب شنت اشتبين^(٥) Sant Esteaban وفي هذه الموقعة انهزمت جيوش المسلمين واستشهد القائد أحمد بن محمد بن أبى عبده^(٦).

١- طليطلة Toledo مدينة بالأندلس ، بينها وبين أبرج المعروف بإدى الحجارة خمسة وستون ميلا ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس ، لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل ، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل كذلك ، ومنها إلى الربة في البحر الشامي تسع مراحل أيضا (الحميري: الروض المعطار ص ١٣٠ . عن طليطلة أنظر : البكري، جغرافية الأندلس ص ٨٦ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٨٨ ، الادريسي ، صفة المغرب والأندلس ص ١٨٧) .

٢- ابن خلدون ، نفس المصدر ج ٤ ص ١٤١ .

٣- «مدينة بالأندلس من كور باجة وتنشئ أحواز باجة فيما حوالها مائة ميل» (الحميري ، الروض المعطار ص ١٩٧ ، وهي في غرب الأندلس (ياقوت ، معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٤) .

٤- ابن عذاري ، البيان ج ٢ ص ١٦٧ .

٥- حصن بالأندلس على نهر تاجة غربي طليطلة : (الروض المعطار ص ٢٢) .

٦- ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٧٠ : ص ١٧١ ابن خلدون المعبر ج ٤ ص ١٤١ .

وعندما أحس عبد الرحمن بتطور الموقف إلى جانب نصارى الشمال، نهض بنفسه على رأسه جيش كبير متجها إلى جليقية ونبرة واستطاع القضاء على عدد من حصون النصارى من أسما حصن شنت أشتين San Estban كما هدم عددا من الحصون الأخرى^(١).

ثم التقت جيوش الأمير عبد الرحمن بجيوش أوردينو الثانى Ordone II (٣٠١-٣١٢هـ / ٩١٤-٩٢٤م) وجيوش شانجة ملك نافار (٢٩٣-٣١٤هـ / ٩٠٥-٩٢٦م) ، وكان النصر حليف عبد الرحمن وعاد جيشه ظافرا إلى قرطبة كما قام بالزحف إلى بنبلونة عاصمة نافار وخربها^(٢). وتعرف هذه الغزوة باسم غزوة بنبلونة^(٣).

(وفى سنة ٣١٤هـ / ٩٢٩م) توفى أوردينو الثانى Ordone II ملك ليون وانشغلت مملكة ليون بحرب أهلية بسبب التنازع على العرش بين سانشو وألفونسو بن أوردينو وانتهى ذلك النزاع بوفاة سانشو . ثم تجددت هذه الحرب الأهلية مرة أخرى بين ألفونسو وأخيه روميرو Ro-mero الذى استطاع فى النهاية الفوز بعرش مملكة ليون سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٢م. واستمرت الحرب بين الأمير عبد الرحمن الثالث وروميرو Romero II الثانى مدة طويلة، ومن أهم وقائعها موقعة الخندق Alhandega^(٤) التى انهزم فيها الأمير عبد الرحمن

١- ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص ٣٦٨ ، ابن عذارى : البيان ج٧ ص ١٧٥ ، ص ١٧٦ ، ص ١٨٧ ، ص ١٨٩ .

٢- ابن خلدون : المعبر ، ج٤ ص ١٤١ ، ص ١٤٢ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج١ ص ٢٣٣ .

٣- ابن عذارى : البيان ج٢ ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ ، المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٢٣٤ .

٤- ابن عذارى : البيان ج٣ ص ١٨٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول القسم الثانى

Dozy Hist. V. II, pp. 194, 195 .

٥- عنان ، ج٢ ص ٤٠٠ .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٣٦ ، ص ٣٧ .

سميت بموقعة الخندق لتشويها على خنادق سورة ، السعوى مروج الذهب ج١ (ص ٧٨ ، عنان ، دولة الإسلام ج٢ ص ٤١٤) .

٣٢٧هـ / ٩٣٨م «جرت الهزيمة على المسلمين طائفة من جند الناصر لدين الله حدثه ما هيا الله من الصنع، ولم تناصحه في الحرب حق النصح فمالت ثانية للأعنة واختل مصاف القتال»^(١).

وقد أذعن أعداء عبد الرحمن بالطاعة وبعثوا إليه الرسل والهدايا^(٢) ففي ٣٤٤هـ / ٩٥٥م وصل قرطبة رسول من قبل الملك أوردنيو الثالث (سنة ٣٣٩هـ - ٣٤٥هـ / ٩٥٠-٩٥٦م) (r- dono III بن روميرو Romero II يطلب الصلح، أما الملكة طوطة فقد جاءت في زيارة إلى قرطبة سنة ٣٤٧هـ - ٩٥٨م ومعها حفيدها شاحجة المعروف بشانشو السمين (٣٤٥هـ - ٣٥٥هـ / ٩٥٦م - ٩٦٦م) وكان شاحجة هذا قد عزله نبلاء ليون وقشتالة عن عرش نبرة (نافار) وولوا مكانه أوردنيو الرابع سنة ٣٤٧هـ / ٣٤٩هـ / ٩٥٨-٩٦٠م) فأكرمها عبد الرحمن وعقد معها معاهدة كانت نتيجتها إعادة شاحجة لمملكته سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م) مقابل حصول عبد الرحمن على عدة حصون من مملكة نبرة^(٣).

إعلان الخلافة الأموية في الأندلس

لم يتخذ الأمراء الأمويون في الأندلس سمة الخلافة^(٤) ولم يتلقب بهذا اللقب أحد من أمراء البيت الأموي، بل حرصوا على أن يتلقبوا بلقب الأمير^(٥) أو السلطان^(٦) وأحياناً بآبن

١- ابن الخطيب، نفس المصدر ص ٣٧.

٢- ابن خلدون: العبر ج٤ ص ١٤٣، المقرئ، نفع الطيب ج١ ص ٢٣٥.

٣- ابن خلدون: العبر ج٤ ص ١٤٣، المقرئ، نفع الطيب ج١.

Stanly Lane- Poole: The Moores in Spain pp. 123-128.

٤- ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٩٠، المسعودي: مروج الذهب ج١ ص ١٠٠، وابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ص ٨٣، ابن الأبار: الحلة السيرة ج١ ص ٣٥، ص ٥٦، ابن خلدون: المقدمة ص ٢١٩، العبر ج٤ ص ١٢٢.

٥- الضبى: بغية الملتمس ص ١٣، ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ٥٣، ص ٨١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٠، ص ٢١، ص ٢٣.

٦- ابن خلدون، العبر ج٤ ص ١٢٢.

الخلايف^(١). كما أثبتت النقوش التاريخية اتخاذ الأمراء الأمويين لقب الأمير^(٢) ويعمل ابن خلدون سبب عدم تلقب الأمويين بالقباب الخلافة أنهم كانوا يرون الخلافة تكون لمن يملك الحرمين^(٣)، وهم يعيدون عن ملك الحجاز أصل العرب والملة، فهي مركز العصبية ومنتدى العرب^(٤). فالخلافة وحدة سياسية واحدة يجب ألا تنجز^(٥) ولكن في أواخر القرن الثالث الهجري، تغير هذا المفهوم بعد أن تعددت أشكال الخلافة، فقامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب (٢٩٧هـ / ٩٠٩م)^(٦)، وأصبحت منافسا خطيرا للدولة الأموية في الأندلس^(٧). بالإضافة إلى ما آلت إليه الخلافة العباسية في ذلك الوقت من الضعف والانحلال^(٨) بعد أن استبد الجند الترك بالخلافة وقام مؤنس المظفر بقتل الخليفة المقتدر العباسي^(٩) فكان طبيعيا أن

١- المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ١٠٠ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ١٩٢ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج٤ ص ٥٩ .

٢- Levi Provençal : Inscriptions Arabes d'Espagne pp. 28-39 .

٣- المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ١٠٠ .

ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٨٣ .

ابن خلدون : المقدمة ص ٢٠٣ .

٤- ابن خلدون : العبر ج٤ ص ١٢٢ .

٥- العبادي (أحمد مختار) دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٥٨ .

٦- الحميري : جذوة المقتبس ، ص ١٣ ، ابن الأثير : الحلة السيرا - ج١ ص ١٩٨ : ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص ١٣٧ .

٧- M. V. Berchem : Titres califiens, p. 268 .

Levi Provençal , Histoire de L'Espagne tome I, pp. 83-86 , 87-90 .

٨- الضبي : بغية المتتمس ، ص ١٨ ، ابن الأثير ، الحلة السيرا - ج١ ، ص ١٩٨ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ١٨٢ ، ابن عذاري : البيان ج٢ ص ١٥٧ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٩ ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص ١٣٧ ، ص ١٣٩ ، المقرئ ، نفع الطيب ج١ ص ٣٥٣ M.V. Berchem : Ibid p. 268 .

٩- الضبي : البغية ، ص ١٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص ١٣٩ .

يتلقب عبد الرحمن الثالث^(١) (٣١٦هـ / ٩٢٨م) بألقاب الخلافة وأنه يتسمى «بأمير المؤمنين الناصر لدين الله» فأصدر في هذا الصدد كتاباً وزعه على ولاية الأقاليم والكور ونصه «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فأنا أحق من استوفى حقه وأجدر من استكمل حظه ولي من كرامة الله تعالى ما ألبسه للذي فعلنا الله به وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطانتنا إليه وسر على أيدينا إدراكه وسهل بدولتنا مرامه وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا وأعاد من انحرافهم إلينا واستشبارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النعمة والإنعام ، بما أنعم به أهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك أن كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومستتم بما لا يستحقه وعلمنا أن التماذى على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا عليه شاء الله والله المستعان وكتب يوم لليلتين خلتا من ذى الحجة سنة ٣١٦هـ»^(٢).

وقد أجاز بعض فقهاء السنة قيام أكثر من خلافة طالما أنها عقدت في بلدين مختلفين «وإذا عقدت الإمامة لإمامين في بلدين مختلفين لم تتعقد إمامتهما لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد وإن شذ قوم فجوزه»^(٣).

١- ابن أبي دينار : المؤنس في تاريخ أفريقية وتونس ص ٤٢ ، ص ٤٣ . مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص ١٧ ، ص ١٨ .

Levi- Provençal Una cronical Anonima de Abd Al Rahman III p. 79 .

«يوجد عمله منقوش عليها اسم وألقاب الخليفة عبد الرحمن الناصر مؤرخه ٣١٦هـ .

Leviox : Catalogues de Monna's Musulmanes p. 95 G.C. Miles . The coinage of the Umayyads of Spain V. II p. 5 .

٢- ابن عذارى ، نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص ٣٠ ، مجهول ، الحلل الموشية ص ١٨ ، ١٩ .

Levi- Provençal Ibid Tome I p. 79 , 1950 .

٣- الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص ٧ .

كما أن الأمير عبد الرحمن الثالث رأى أنه لا يقل قوة وعظمة عن أى ملك أو خليفة قوى، فقد أحس بقوته خاصة بعد أن حقق الوحدة الداخلية لبلاد الأندلس وأعاد إليها الطمأنينة والسلام^(١)، بعد نهوضه للجهاد ضد نصارى الشمال وإخماد محاولاتهم العدوانية^(٢)، ورأى أيضا أن إعلان نفسه خليفة يساعد على تثبيت مركزه وتدعيم سلطانه داخل البلاد وخارجها، كما يفرض هيبتة فى النفوس بعد أن ضعفت مكانة الأمراء الأمويين فى الأندلس نتيجة للشورات والفتن الداخلية التى اجتاحت البلاد وشغلت عهود ثلاثة من الأمراء الأمويين قبل تولية عبد الرحمن الثالث الإمارة، فأصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانة الأمراء الأمويين، ورفع منزلتهم السياسية والمدنية معا^(٣).

هذا وقد لقب الأندلسيون الأمير عبد الرحمن الثالث بلقب أمير المؤمنين والناصر لدين الله وذلك قبل أن يقوم بإعلانها رسميا^(٤)، ولهذا فقد قبل الخلافة استجابة لرغبة الأندلسيين^(٥) أنفسهم إذ يذكر بن حزم أن الأمير عبد الرحمن الثالث قد ولى الخلافة بالتشاور^(٦). وخطب بذلك خطيبه أحمد بن بقى بن مخلد^(٧)، حيث حمل لقب أمير المؤمنين الناصر لدين الله، فكان^(٨) بذلك أول أمير فى الأندلس يتلقب بلقب «أمير المؤمنين»^(٩) وضربت السكة باسمه

١- ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١ ص ١٩٨، ص ١٩٩، ابن عذارى: البيان ج٢ ص ٦١، ص ٢٠٨، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ٢٩، ص ٣٦، ابن خلدون، العبر ج٤ ص ١٣٩، مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٥٣، ص ١٨٩.

٢- ابن حيان، المقتبس، ص ٢١٨، ص ٢٢٤، ابن خلدون، العبر ج٤ ص ١٣٧، ابن عذارى، البيان ج٢ ص ١٦٥، ص ١٨٩.

٣- العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٥٩.

٤- مجهول، الحلل الموشية ص ١٨.

٥- العبادى، المرجع السابق ص ٥٩.

٦- ابن حزم، نقط العروس، ص ٥٦ مجلد ٢، مجلة كلية الآداب.

٧- ابن عذارى: البيان ج٢ ص ١٩٨، ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص ٣٣.

٨- ابن عذارى: البيان ج٢ ص ١٥٧، ابن خلدون: العبر ج ٤، ص ١٣٧، المقرئ: نفخ الطيب ج١ ص ١٥٣.

٩- ابن حزم، نفس المصدر ج٢ ص ٥٠، ص ٥١.

ونقشت عليها ألقاب الخلافة^(١) وأقيمت له الدعوة على منابر الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط، يقول المقرئ «كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع أعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المضرة واليمانية... وهابته ملوك النصرانية في الغرب»^(٢).

لم يصاحب إعلان الخلافة الأموية في الأندلس أى صدى في العالم الإسلامي، ولم تظهر أية معارضة لإعلان قيام الخلافة الأموية، سوى ما أبداه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي رابع الخلفاء الفاطميين (٣٤١هـ - ٣٦٥هـ / ٩٥٢م - ٩٧٥م) الذي هاجم إعلان الخلافة الأموية في الأندلس^(٣).

ويرجع عدم ظهور معارضة عامة لقيام خلافة أموية في الأندلس إلى أنه قد أصبح من المألوف في هذا العصر قيام أكثر من خلافة، ولم يكن الأمير عبد الرحمن الثالث أول من أعلن قيام خلافة أخرى إلى جانب الخلافة العباسية، فقد سبقه إلى ذلك الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ٢٩٧هـ، ٩٠٩م، بل نرى أن الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب قد صاحب قيامها ثورات وفتن داخلية كالثورة التي أشعلها «أبو يزيد مخلد بن كيداد»^(٤)، كما قام فقهاء المالكية بمقاومة الدعوة الفاطمية وأعلنوا رفضهم قيام مثل هذه الخلافة في بلاد المغرب^(٥).

بيد أن الأمر اختلف في بلاد الأندلس عند إعلان قيام الخلافة الأموية فجاءت وفود المغرب تعلن طاعتها له وانضوائها تحت لوائه^(٦) يقول ابن الخطيب «وتوالت عليه بعد ذلك المنوح وأزعنت الأعداء وقدمت عليه رسل الملوك بالعدوة والغريبة من زناتة والأدارسة والقيروان وجزائر بنى مزغناي»^(٧).

١- Leviox : Catalogues de Monnios Musulmanes pp. 42 , 46 Levi - provençal In- scriptions Arabes Espagne pp. 15-18 , 34 , 36 , 86 , 129 .

٢- المقرئ ، نفع الطيب ج١ ص ١٥٣ .

٣- النعمان ، المجالس والمسائرات ، مخطوط ج١ ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ .

٤- المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ابن الأثير الكامل ج٨ ص ١٩ .

٥- عن هذه الثورة ، أنظر فصل العلاقات السياسية .

٦- المالكي ، رياض النفوس ، ص ١٦ ، ١٧ .

٧- ابن حيان المقتبس ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٩ .

٨- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٤٣ .

الأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن

وعلى الرغم مما شهده عصر عبد الرحمن من حروب وغزوات فإنه كان عصر رخاء ويسر استقرت فيه الأوضاع الاقتصادية وهدت الأندلس قطرا غنيا بموارده حيث زاد دخل الدولة زيادة عظيمة وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة. وقد أصبح دخل الأمويين فى الأندلس فى عصر عبد الرحمن عشرين مليوناً من الذهب^(١) أما جباية الأندلس فى عصره فقد بلغت من الكور فى رواية ابن عذارى^(٢) أكثر من ثلاثين وأربعمائة وثمانين ألف دينار، وكان الناصر يقسم جباية الأندلس من أجل النفقة إلى ثلاثة أثلاث، ثلث لنفقة الجيش وثلث للبناء والمنشآت العامة، وثلث يدخر للطوارئ^(٣)، ويذكر ابن حوقل أن عبد الرحمن وبنى حمدان ملوك حلب والجزيرة كانوا أغنى ملوك العالم فى ذلك الوقت^(٤).

وقد عنى عبد الرحمن أيضا بتنظيم العملة وتثبيتها فأمر^(٥) فى ٣١٦هـ / ٩٢٨م بإنشاء دار للسكة فى مدينة قرطبة لضرب العملة^(٦) وولى خطة السكة أحمد بن حدير^(٧) سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م وسمى بصاحب السكة^(٨).

ولم تحل مهام الملك والمشاكل السياسية دون قيام الخليفة عبد الرحمن الناصر بأعمال الإنشاء والعمران، فقام بإنشاء مدينة الزهراء حيث بدأ فى بنائها فى أوائل سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م^(٩). واختطت مدينة الزهراء فى مكان يقع شمال غرب مدينة قرطبة، وعلى بعد خمسة أميال منها فى سفح جبل يسمى جبل العروس^(١٠).

Dozy Hist. vol II p. 173 .

-١-

-٢- ابن عذارى : البيان ج٢ ص ٢٣٢ .

-٣- المصدر السابق ج٢ ص ٢٣٢ ، المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٧٧ القاهرة ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ٣٨ .

-٤- ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٠٧ .

-٥-

G.C. Miles the coinage of the Umayyads of Spain pp. 40 , 14 .

-٦- ابن عذارى : البيان ج٢ ص ١٩٨ .

-٧- المصدر السابق .

-٨- ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ص ٤١ ، ٤٢ ، ١٨٧ .

-٩- ابن عذارى : المصدر السابق ج٢ ص ٢٠٩ ، ٢٣١ أحداث سنة ٣٢٥هـ .

-١٠- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٠٧ «هذا الجبل يسميه ابن حوقل بطلش» .

هذا وقد عهد الناصر إلى ابنه الحكم بالإشراف على بناء العاصمة الجديدة^(١) حيث جلب لها أنواعا عديدة من الرخام^(٢)، واستمر العمل فى منشآت الزهراء طوال عهد الناصر وحتى وفاته سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م^(٣) واستمر العمل معظم عهد ابنه الحكم المستنصر^(٤). هذا وقد ذكر ابن حوقل أن مدينة الزهراء قد اتصلت العمارة بينها وبين قرطبة وكان لها مسجد جامع «دون جامع قرطبة» فى المحل والقدر^(٥)، ومن أبرز العماثر فى مدينة الزهراء مسجد لا يتجاوز أربعة وأربعين مترا فى الطول وخمسة وعشرين مترا فى العرض وكان يتألف من خمس بلاطات، وارتفاع مئذنته تسعة عشر مترا وكان صحنه مرصوفا بالرخام وتتوسطه نافورة^(٦)، كما أنشأ الناصر مسجداً آخر تم بناؤه فى ثمانية وأربعين يوما، وكان هذا المسجد آية فى الفخامة والجمال^(٧). هذا وقد أنشأ عبد الرحمن أيضا داراً عظيمة لصناعة السلاح وأخرى لصناعة الخزاف والحلى^(٨).

وشمل الناصر المسجد الجامع بعنایتة، أسوة بسائر أسلافه من بنى أمية فزاد فيه زيادات كبيرة (٣٤٦هـ / ٩٥٧م)^(٩)، كما قام أيضا بتجديد واجهته^(١٠).

كما عنى بالجيش والأسطول لأن قوة الدولة الأموية فى الأندلس كانت تعتمد أساسا على مقدراتها العسكرية وكفاءتها الحربية فحرص عبد الرحمن الناصر وخلفاؤه من بعده على تقوية

-
- ١- المقرئ، نفح الطيب ج١ ص ٢٦٦، ط ١ القاهرة.
 - ٢- ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٣٨، المقرئ، نفح الطيب ج١ ص ٢٦٤.
 - ٣- المقرئ، نفح الطيب ج١ ص ٢٦٤ ط ١ القاهرة، ط بيروت ج١ ص ٧٩.
 - ٤- المقرئ، نفح الطيب، ج١ ص ٢٦٤ ط ١ القاهرة، ط بيروت ج١ ص ٧٩.
 - ٥- ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٠٨.
 - ٦- مورينو، الفن الإسلامى فى أسبانيا، الترجمة العربية ص ٧٩.
 - ٧- المقرئ، نفح الطيب ج١ ص ٢٦٤.
 - ٨- ابن خلدون، المعبر ج١ ص ١٤٤.
 - ٩- عنان، الآثار الأندلسية الباقية، الطبعة الثانية ص ٢٠، ٢١، ٣٠.
 - ١٠- مورينو، الفن الإسلامى فى أسبانيا ص ٩٣، ٩٤.

الجيش والأسطول وتدعيم وحداته^(١)، المختلفة وذلك لوقف الخطر الفاطمي القادم من بلاد المغرب^(٢) من ناحية ولوقف تقدم نصارى الشمال^(٣) من ناحية أخرى وصد أى هجوم يقوم به النورمان^(٤) (المجوس) ولقمع أية ثورة أو تمرد أو عصيان يهدد أمن وسلامة البلاد^(٥) وكان

١- عن اهتمام الناصر بالجيش والأسطول ، انظر :

ابن غالب ، فرحة الأنفس ، نشر لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ص ١٤ سنة ١٩٥٦م ،
(م) ابراهيم العدوي، الأساطيل العربية ص ١١٥ ، أرشيبالد لويس ، القوى البصرية ص ٢٣٦ حسين مؤنس ،
المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية مجلد ١ ، ٤ مايو سنة ١٩٥٤ ، ص ١٢١ .

٢- ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٩ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، السلاوى ، الاستقصاء ج ١ ،
ص ١٧١ ، ص ٢٠١ ، جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢١٩ ، ص ٢٢٣ ، العبادى ، سياسة
الفاطميين نحو الغرب والأندلس ، ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٩ ، حس ابراهيم حسن عبيدالله المهدي ص ١٨٨ ،
ص ١٩٩ .

٣- عن مواجهة الناصر لنصارى الشمال أنظر ، ابن خلدون العبر ج ١ ص ١٣٧ ، ابن عذارى ، البيان ج ٢
ص ١٦٥ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٥ ، ص ٢٠١ ، الأوراق المخطوطة بعصر الناصر ص ٦٣ ، ص ٦٤ ، عبد العزيز
سالم : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ص ٢٨٩ ، عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول- القسم
الثانى ص ٣٩١ ، ص ٤٠٢ .

Dozy : Hist. V.II pp. 14 , 145 .

٤- المجوس الأرذمانيون : يطلق عليهم الآن النورمان ويعرفون فى اللغة الأسبانية باسم Normandos
ويقابلها فى الإنجليزية Viking وهى تعنى سكان الشمال، وهم سكان الدول الاسكندنافية الذين اشتهروا
بنشاطهم الحربى البحرى، ويعد هذا الشعب فى أصله من الرجمان أو التيتونيين ، وقد أطلق عليهم المسلمون
اسم المجوس وهو اسم يطلق أصلاً على الزرادشتين عبدة النار، لأن النورمان حين غزوا الأندلس، كانوا يكثرون
من اشغال النار، فظن المسلمون هناك أنهم يعبدون النار كالزردشتية ، عن المجوس وغزوهم لبلاد الأندلس أنظر
(ابن حبان، المقتبس ، ص ٢٣ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٥١ ، ابن سعيد ، المغرب ج ١ ص ٤٩ ، ابن
القرطبة ، تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٤ ، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٨٧ ، ص ٢٤١ ، سعيد عاشور ، أوروبا
فى العصور الوسطى ج ١ ص ٢١ .

Levi - Provençal - Hist. IV, 140 .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٢٣ ، ص ٣٤ ، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ١٣٢ - F. Simonet , His-
toria de les Mozarabes de Espana pp. 541 , 602 .

جيش الناصر من أفضل الجيوش فى العالم فى ذلك الوقت من حيث العدد والعدة والمهارة الحربية .

وقد اشتهرت كل من المرية وأشبيلية وغرناطة ومرسية بصناعة الآلات الحربية المختلفة ، كما تضاعف الأسطول الأموى فى عصر الخليفة عبد الرحمن ، فيذكر ابن خلدون^(١) أن الأسطول الأموى انتهى فى أيامه إلى مائة مركب، وكان هذا الأسطول كامل الإعداد والتنسيق، اتخذ مراكزه على طول الساحل الأندلسى^(٢). وقد أصدر الخليفة أوامره إلى جميع دور الصناعة بإنشاء مراكب كبيرة^(٣) قادرة على صد أى عدوان يهدد البلاد. وكانت المرية القاعدة البحرية الرئيسية فى الأندلس حيث قامت دار الصناعة فيها بإنتاج السفن والآلات اللازمة للأسطول^(٤)، كما قام الخليفة بإنشاء دور لصناعة السفن فى طركونة وطرطوشة^(٥) والجزيرة^(٦) الخضراء ومالقة^(٧) وجلب لذلك الغرض أخشاب الصنوبر من طرطوشة حيث يوجد بجبالها خشب الصنوبر الذى تتخذ منه «الصوارى والقرى»^(٨) ، ويعتبر الخليفة عبد الرحمن الناصر المؤسس الحقيقى للأساطيل الأندلسية التى يرجع الفضل إليها فى الاستيلاء على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق مثل سبتة وطنجة^(٩).

وفى ختام الحديث عن الخليفة عبد الرحمن الناصر نرى من الضرورى أن نتحدث عن صفاته كرجل سياسى عظيم نقل بلاد الأندلس من مجرد إمارة أموية إلى خلافة إسلامية عظيمة، ويعمل ليفى بروفنسال Levi - Provençal شخصية الخليفة عبد الرحمن الثالث بقوله

١- ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧٨ .

٢- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص ٢٣٦ .

٣- Conde : History of the Mominion of the Atabs in Spain V, I p. 371 .

٤- ابن غالب ، فرحة الأنفس .

٥- الحميرى، الروض المعطار ص ١٢٤ .

٦- المصدر السابق ص ٧٣ ، ص ٧٤ .

٧- المصدر السابق ص ١٧٩ .

٨- المصدر السابق ص ١٢٤ .

٩- أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص ٢٣٦ .

«إن عبد الرحمن الثالث كانت له مقدرة عجيبة على مواجهة الأحداث ، فقد كان يتمتع بقلب كبير ونظرة بعيدة إلى الأمور ، وكان متسامحا إلى أبعد الحدود ، كما كان يملك مقدرة عجيبة على معالجة الأمور بسرعة وحسم. وكان عبد الرحمن الثالث من أعظم وأكبر حكام المسلمين عظمة ووقارا^(١) ، وقد وصفه المؤرخ ابن الأثير بقوله «كان سمحا وافر الجود ، أبيض أشهل ، حسن الوجه ، عظيم الجسم ، قصير الساقين»^(٢).

وفى أوائل ٣٤٩هـ / ٩٦٠م مرض الناصر واحتجب حينما ثم عاد إلى الجلوس في القصر ، ولكنه أصيب بنكسة وعاد إلى الاحتجاب حتى وافته المنية^(٣) في شهر رمضان ٣٥٠هـ - ١٥ أكتوبر ٩٦١م.

الحكم المستنصر :

تولى الحكم الخلافة بعد وفاة والده عبد الرحمن سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م وتلقب بالمستنصر^(٤) وأخذت له البيعة من إخوته وسائر الوزراء ورجال الدولة وأكابر الفتيان الصقالبة وأكابر الجند^(٥) الذين بعث لإحضارهم جميعا خوفا من نقضهم البيعة. وبيع للحكم في اليوم التالي لوفاته والده وهو في الثانية والأربعين من عمره إذ كان مولده^(٦) في قصر قرطبة في ٢٤ جمادى الأولى ٣٠٢هـ - ٩١٤م^(٧).

١- Levi Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane Tome I 11 , Leid-en, 1950 .

٢- الكامل ، ج ٨ ص ١٧٧ .

٣- كانت وفاته في قصر الزهراء في الحادية والسبعين من عمره واستطال حكمه زهاء خمسين عاما وهي أطول مدة حكمها خليفة من خلفاء الاسلام .

٤- الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ١٣ ، الضبى ، بقية الملتبس ص ١٨ .

٥- المقرئ : نفع أطيب ، ج ١ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ازهار الرياض ج ٢ ص ٢٨٦ .

٦- ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ج ١ ص ٢٨٧ .

٧- الحميدى ، جذوة المقتبس ص ١٣ ، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ص ١٨٦ ابن الأبار الحلة السيرة ج ١ ص ١٠١ ، ابن عذارى البيان ج ٢ ص ٢٤٨ .

وسار الحكم على نفس سياسة أبيه سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية ، وقام بمسئوليته كاملة وياشر مهام الملك أحسن مباشرة، حتى ليذكر بعض المؤرخين « أنه لم يعدم من الناصر إلا شخصه »^(١). هذا وقد تمتعت الخلافة الأموية فى الأندلس فى عهده بالاستقرار والرخاء والأمن.

سياسة الحكم الداخلية :

استهل الحكم عهده بالنظر فى توسيع المسجد الجامع فى قرطبة سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م ليستوعب تزايد عدد جموع المصلين حيث لم يعد بيت الصلاة بالجامع يتسع لهم وخرج الخليفة بنفسه لتقدير الزيادة ودراسة تخطيطها وتفصيل بنائها وأحضر لها الأشياخ والمهندسين فمدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد حتى نهاية الفضاء القبلى^(٢).

هذا وقد نشطت الحركة العلمية فى قرطبة فى عصر الخلافة نشاطا عظيما حتى غدت من أعظم الحواضر العلمية فى القرن الرابع الهجرى .

غير أن هذه الحركة العلمية لم تصل إلى هذه المكانة إلا فى عصر الخليفة الحكم المستنصر . كان الحكم أكثر الخلفاء الأمويين حبا للعلم وجمعا للكتب^(٣) حتى « أنه جمع من الكتب ما لا يحصى أو يوصف كثرة ونفاة، حتى قيل أنها أربعمئة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر فى نقلها »^(٤).

سياسة الحكم الخارجية :

سارا الخليفة الحكم المستنصر على نفس موقف أبيه من الفاطميين وذلك بالاحتفاظ بالسيطرة الأموية على بلاد المغرب الأقصى^(٥) ، بل أصبح بعد ذلك أكثر تشددا وتصميما

١- المرقى، نفع الطيب ج١ ص ٣٨٩ ، أزهار الرياض ج٢ ص ٢٨٩ .

٢- سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ط- ١ ص ٣٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ .

٣- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .

٤- الحركة العلمية فى عصر الحكم المستنصر ، أنظر فصل العلاقات الثقافية .

٥- المرقى، نفع الطيب ج١ ص ٣٧١ ط ١٩٤٩ .

٦- عن موقف الخليفة الحكم المستنصر فى بلاد المغرب الأقصى أنظر فصل العلاقات السياسية .

على الاحتفاظ بقواعده ، هناك سواء بالقوة العسكرية أو اتباع نفس سياسة أبيه من إثارة قبائل البربر من زناتة ومغراوة ، فشعر الفاطميون فى بلاد المغرب باستحالة غزو الأندلس وأن بقاءهم هناك أمر محفوف بالمخاطر بسبب ثورات البربر التى لا تهدأ^(١).

أما الخطر الثانى الذى كان يهدد أمن الأندلس فى عهد الخليفة الحكم فهو خطر الغزو النورماندى الذى كان يهدد ثغور الأندلس وسواحلها بعد أن صارت لهم قاعدة ثابتة بالقرب من السواحل الغربية الأندلسية وهى ولاية نورمانديا Normandy غرب فرنسا^(٢).

ففى سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م^(٣) و ٣٦٠م^(٤) (٩٧٠م) و ٣٦١هـ (٩٧١م)^(٥) قام النورمانديون بالإغارة على سواحل الأندلس الغربية^(٦) فأمر الحكم قائد البحر ابن فطيس بإنشاء أسطول بنهر قرطبة ، وأن تبنى مراكبه على هيئة مراكب المجوس^(٧) (النورمان) ولهذا لم يستطع النورمانديون النزول إلى الشواطئ الأندلسية وذلك بفضل الأسطول الأندلسى الذى استطاع أن يبدد شملهم دون عناء^(٨).

سبق أن ذكرنا أن الخليفة عبد الرحمن الناصر كان قد أعان الملك سانشو على استرداد عرشه فى مملكة ليون مقابل عدة حصون على الحدود يتسلمها ، لكن سانشو نقض عهده ، وأخذ يماطل^(٩) فى تسليم تلك الحصون^(١٠) بيد أن الخليفة الحكم صمم على مواجهة نصارى الشمال ،

١- مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٢٨ .

٢- مختار العبادى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

٣- ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٢٣٩ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ص ٣٦ .

٤- ابن عذارى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤١ ، ابن حيان ، المقتبس ص ٢٧ ، ٢٨ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ، ص ٦٧ ، ٧٨ .

٦- ابن حيان ، المقتبس ص ٢٣ ، ص ٢٤ ، ص ٩٣ .

٧- ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٢٣٩ .

٨- أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب ص ٢٣٦ .

٩- العبادى (أحمد مختار) دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٣٨ .

١٠- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس ج ١ قسم ٢ ص ٤٨٤ .

وبينما هو يستعد لذلك وفد عليه الملك أوردنيو الرابع المخلوع الذي سبق أن نزع منه الملك وأعطى لسانشو أيام الخليفة الناصر^(١)، فوعده الحكم بالعون ، ولما علم سانشو بذلك أسرع بالاتصال بالخليفة الحكم مبديا استعداداه لتنفيذ الشروط التي أخذت عليه^(٢)، غير أن أوردنيو ما لبث أن توفى وعاد سانشو إلى موقفه العدائي ثم أخذ يستعد لمحاربة المسلمين وتحالف مع مملكة نبرة Navar كما تحالف أيضا مع إمارة قشتالة^(٣) .

واستطاع الخلفة الأموى الحكم المستنصر بفضل قوة جيوشه ومهارة قواده أن يغزو هذه الدول الشمالية وينتصر عليها وأنهى الحرب باستلام الحصون التي كانت موضع الخلاف.

خلافة هشام المؤيد وحجابه المنصور :

توفى الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م^(٤) بعد أن أخذ البيعة لابنه هشام قبل بلوغه سن الرشد^(٥) ، وتمت البيعة لهشام ولقب بالمؤيد^(٦) وذلك فى صفر ٣٦٦هـ / ٩٧٨م واتخذ الخليفة جعفر المصحفى حاجبا له كما عين محمد بن أبى عامر فى خطة الوزارة^(٧).

ثم أخذ نفوذ محمد بن أبى عامر يزداد ويقوى وذاع صيته ، فقام الخليفة هشام بترقيته إلى خطة الوزارتين^(٨)، فزاد نفوذه وارتفعت منزلته لدى الخليفة وازداد الشعب حوله التفافا جبا له^(٩).

١- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ .

٢- ابن خلدون العبر ج٤ ص ١٤٥ .

٣- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ١٤٥ .

٤- ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج١ ص ١٠١ ، المرقى ، نفع الطيب ج١ ص ١٨٥ .

٥- ابن حيان : المقتبس ص ٢١١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٥٦ .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٤٣ .

٧- ابن بسام ، الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٤٧ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ، ص ٢٥٤ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص ٦٠ ، ابن سعيد ، المغرب ج١ ص ١٩٩ .

٨- ابن بسام ، الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٤٢ ، ابن عذارى البيان ج٢ ، ص ٢٦٧ .

٩- ابن بسام ، الذخيرة ج٢ ص ٢٦٧ .

أخذ المنصور بن أبى عامر^(١) يدبر المؤامرات لمناقسة جعفر المصحفى حتى نجح فى الإطاحة بالحاجب جعفر حيث حقد عليه الخليفة هشام المؤيد وقام بعزله من منصبه^(٢). وأصبحت مقاليد السلطة كلها فى يد المنصور بعد أن نجح فى القضاء على منافسه جعفر المصحفى.

فى سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م أصدر الخليفة أمره بالقبض على ولده وأهله والتحفظ على أموالهم ، وقام ابن أبى عامر باستصفاء أموالهم ومطاردتهم كما قام بالقبض على جعفر المصحفى وظل سجيناً حتى مات سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٢) ^(٤).

استبد الحاجب محمد بن أبى عامر بالأمر وركز جميع السلطات العسكرية والمدنية فى يده وقام بالحجر على الخليفة هشام المؤيد^(٥)، حتى غدا هشام شبه معتقل أو سجين «وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل عن سامعه ... وسد باب قصره عليه وجد فى خبر ألا يصل إليه ... وحجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملك قبيل أو تدبير وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء محجور الغناء خفى الذكر، عليل الفكر، سدود الباب محجوب الشخص عن الأحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يضاف له به بأس ولا يرجى منه إنعام، ولا يعهد منه إلا الاسم السلطانى فى السكة والدعوة»^(٦).

أدركت السيدة صبح أم الخليفة^(٧) خطورة السياسة التى ينتهجها ابن أبى عامر تجاه ابنها

١- يرجع محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبى عامر إلى أصل من الأصول العربية، وكان جده عبدالملك بن أبى عامر المعافى أول من طرش الواقع على وادى يابرة حيث استقرت عائلته فى الجزيرة الخضراء وكان ابن أبى عامر طموحاً شجاعاً رقيق المواهب والخلال ، أنظر (ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد ١ قسم ٤ ص ٢٤٣ ، ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة ص ٤٧٤ ط القاهرة سنة ١٩٥٦م ، ابن الابار ، الحلة السيرة ص ١٤٣ ، ج ١) .

٢- ابن بسام ، الذخيرة ص ٤٨ .

٣- ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٢٦٧ .

٤- عن محنة المصحفى أنظر ابن بسام ، الذخيرة نفس المصدر ص ٤٨ ، ٤٩ .

٥- ابن بسام ، الذخيرة ص ٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٦٢ .

٦- ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٢٧٦ .

٧- ابن سعيد ، المغرب ج ١ ص ١٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٥٨ ، ٥٩ .

هشام والأسرة الأموية كلها، فبدأت تدبر المؤامرات للإطاحة به واستبدال غيره به، وقامت بجمع ثمانين ألف دينار ذهباً وقضت للاستعانة بها ضد هذا الحاجب^(١).

غير أن ابن أبي عامر علم بما تدبره له السيدة صبيح فأرسل ابنه عبد الملك على رأس قوة من الجند استولت على هذه الأموال^(٢). وازداد نفوذ ابن أبي عامر قوة وذاع صيته، ففي ٣٧١ هـ (أواخر سنة ٩٨١ م) اتخذ سمة الملك، فتسمى بالحاجب المنصور وأمر بالدعاء له على المنابر، ونفذت الكتب والأوامر باسمه» وبذلك لم يبق من الخلافة سوى الاسم فقط^(٣).

سياسة المنصور الداخلية :

أراد المنصور ابن أبي عامر أن يعبر عن مدى ما وصل إليه من نفوذ وسلطان ويظهر أنه لا يقل قوة عن الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر^(٤)، فاخطت لنفسه مدينة سماها الزاهرة سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م يقول ابن عذاري «عندما تكامل واستفحل أمره، واتقد حجره، وظهر استبداده، فسما إلى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحل بأهله وذويه، ويضم إليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته، ويجمع فيه فتياه^(٥)» ومما دفعه إلى اتخاذ الزاهرة مقراً له خوفه على نفسه من الدخول إلى قصر الخليفة» بعد أن كثر حساده وتحالف عليه أضداده وأنداده^(٦).

واختار لهذه المدينة موقعا في طرف قرطبة الشرقي^(٧) بحيث تقع على نهر قرطبة الأعظم^(٨).

١- ابن بسام، الذخيرة ص ٥٢، المقرئ، نفع الطيب ج ٣ ص ٩٢.

٢- ابن بسام، الذخيرة ص ٥٣، ص ٥٤.

٣- ابن خلدون، العبر ج ٤ ص ١٤٨.

٤- سالم، (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ج ١ ص ٢٥٨.

٥- ابن عذاري، البيان ج ٢ ص ٢٧٥، المقرئ، نفع الطيب ج ٢ ص ١١٢.

٦- ابن ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٦٣، سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة ص ٢٥٨.

٧- المقرئ، نفع الطيب ج ٢ ص ١١٣.

٨- المقرئ، نفع الطيب، ج ٢ ص ١١٣، ابن عذاري، البيان ج ٢ ص ٢٧٥؛ ابن حزم، طوق الحمامة

وأُنشأ بالزاهرة قصرا فخما ومسجدا^(١)، ودواوين للإدارة والحكم ومساكن للبطانة والحرس، وأقام حولها سورا ضخما، ونقل إليها خزائن المال والسلاح وأنشئت بها الشوارع والأسواق الفسيحة، واتصلت أرباضها بأرباض قرطبة، وأصبحت تنافس المدينة الخليفة في الفخامة والرونق، كما أصبحت الزاهرة مركزا للاحتفالات السياسية الكبرى^(٢).

كما قام المنصور بتنظيم الجيش واستقدم أعدادا هائلة من البربر من بلاد المغرب^(٣)، كما قام أيضا بتنظيم القضاء^(٤).

سياسة المنصور الخارجية :

سار المنصور على نفس سياسة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر التي قامت على ضرورة الاحتفاظ بالعدوة المغربية تحت السيطرة الأندلسية المباشرة^(٥).

كما رأى أن يدعم نفوذه داخل بلاد الأندلس وذلك بالقيام بما يكسبه شرعية في الحكم وشعبية بين الأندلسيين وهو الجهاد في سبيل الله، ولذلك أخذ يغزو الممالك النصرانية بنفسه.

وكانت له في كل عام غزوتان^(٦) في الربيع وفي الخريف وقد بلغت غزواته سبعا وخمسين غزوة باشرها كلها بنفسه رغم مرضه، ولم ينهزم في واحدة منها طوال حكمه الذي استمر خمسا وعشرين سنة.

خرج ابن أبي عامر إلى مملكة ليون وذلك لمحاربة راميرو Ramero فاتجه إلى مدينة سموره^(٧) ١٣٧١هـ / ٩٨١م وضرب حولها الحصار ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها لقوة

١- عنان (عبدالله) دولة الإسلام في الأندلس ج١ قسم ٢ ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

٢- سالم (عبدالعزیز) قرطبة حاضرة الخلافة ص ٢٦٠ .

٣- انظر فصل العلاقات السياسية .

٤- العبادي (مختار) دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٦٨ .

٥- عن موقف المنصور من بلاد المغرب وحروبه هناك ، انظر فصل العلاقات السياسية .

٦- عن غزو المنصور ابن أبي عامر للممالك المسيحية انظر ابن عذاري ج٢ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،
لعبادي (أحمد مختار) دراسات في تاريخ المغرب ص ٢٤٧ .

٧- تقع سموره في شمال الأندلس (شمالى شلمنقة) انظر عنان ص ٥٤١ .

تحصيناتها فاستنجد راميرو الثالث Ramero III بغرسية فرنانديز كونت قشتالة وسانشو ملك نافار لصد قوات المنصور^(١)، وسارت قواتهم المتحالفة للقاء جيش المسلمين، ونشب القتال بين الفريقين عند بلدة روضة Rueda فى جنوب غرب تشنت مانكس Simancas فهزم الأعداء وقتل منهم عددا كبيرا واستولى المسلمون على قلعة شنت مانكس الشهيرة، ثم واصل المنصور زحفه شمالا فى محاولة ثانية لاقتحام مملكة ليون والاستيلاء عليها ولكن راميرو وقف فى وجهه وعاد المنصور بجيشه إلى قرطبة^(٢) بعد أن قام بعدة غزوات استمرت بضعة أشهر^(٣).

ثم اضطرت مملكة ليون وفقد راميرو الثالث من جراء هزائمه المتوالية ما ناله من عطف وتأيد^(٤) وقرر أشرف ليون سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م خلع راميرو وتولية ابن عمه برمودو (برمندو Bermudo)، ولكن راميرو لم يرض بهذا الوضع وقرر محاربة راميرو، ونشبت فى سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٤م، معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة برمودو وعودة راميرو إلى عرشه فى ليون، استجار راميرو بالمنصور بن أبى عامر يلمس مساعدته وعونه على أن يدخل فى طاعته فقبل المنصور وأمده بقوات بقيت فى ليون بعض الوقت^(٥).

ثم تحول اهتمام المنصور بعد ذلك إلى شمال شرق الأندلس، فحشد جيشا ضخما استعدادا لغزو برشلونة وقطالونية سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م^(٦) وخرجت الحملة من قرطبة متجهة إلى برشلونة عن طريق البيرة وبسطة ثم مرسية ومن هناك اتجهت شمالا عبر الطريق الساحلى الشرقى المطل على البحر المتوسط، حتى بلغت برشلونة بعد شهرين تقريبا، ثم اقتحم المسلمون المدينة ودخلوها فى منتصف صفر^(٧) ٣٧٥هـ / ٩٨٥م.

١- عنان، دولة الاسلام ص ٥٤١ ج ١ قسم ٢.

٢- اضطر المنصور أمام تصدى راميرو من ناحية وحلول فصل الشتاء ونزول الأمطار من ناحية أخرى إلى العودة إلى قرطبة، حيث حال الشتاء دون تمام هذه الغزوة. أنظر عنان ج ٢ ص ٥٤١.

٣- Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. II pp. 234-235.

٣-

٤- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس ج ٢ ص ٥٤١.

٥- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس ج ٢ ص ٥٤٢.

٦- العبادى (دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٤٨).

٧- ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة (القاهرة) ج ٢ ص ٧١.

أما البشكنس أو النافريون فقد سار إليهم وقاتلهم حتى مدينة بنبلونة Penplona وذلك فى سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م^(١).

وهكذا قضى المنصور بن أبى عامر طيلة حكمه فى الحرب والغزو حتى غدا لمجم الجهاد الصاعد، لكن هذا كله لا يعدو أن يكون مجرد ردع للممالك النصرانية وكف عدوانها على أسبانيا الإسلامية ولم يستطع تحقيق الغاية المنشودة وهى القضاء التام على الممالك النصرانية فى أسبانيا وسحقها .

خلفاء الحاجب المنصور

ضعفت الخلافة الأموية فى بلاد الأندلس فى عهد هشام المؤيد وذلك لما قام به المنصور بن أبى عامر من الاستبداد وتركيز السلطة فى يده والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، ولم يحاول الخليفة هشام المؤيد الاضطلاع بمسئوليات الحكم والسياسة بل ترك شئون الدولة فى يد المنصور كما رأينا ، فزاد هذا من طغيانه واستبداده .

وتوفى الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م وتولى منصب الحجابة من بعده ، ابنه عبد الملك^(٢) ولقب بسيف الدولة وبالمظفر^(٣).

وسار عبد الملك على نفس سياسة أبيه من الاستبداد وجمع السلطة فى يده والحجر على الخليفة هشام، فكان هذا مظهرا من مظاهر ضعف الخلافة الأموية وقتذاك.

ومما زاد من ضعف الخلافة الأموية، تقلد عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر الذى تولى منصب الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ولاية العهد^(٤).

فقد عهد الخليفة هشام المؤيد له بولاية العهد وأخرج كتابا^(٥) بذلك وقد هز هذا العمل الأندلس هزة عنيفة أدت إلى وقوع الفتنة وانتشار الفوضى وزوال السلطة العامرية .

١- عنان، دولة الإسلام ج٢ ص ٥٤٨ .

٢- ابن عذارى، البيان ج٣ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٨٠ ، ص ٨١ .

٣- ابن عذارى البيان ج٣ ص ٣ .

٤- ابن عذارى البيان ج٣ ص ٣٨ .

٥- أنظر نص كتاب ولاية العهد فى المرقى، نفح الطيب ج١ ص ٤٢٤ ، ص ٤٢٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٩٠ ، ٩١ ، ابن عذارى البيان ج٣ ص ٤٣ ، ص ٤٤ .

ولم يغفر الأمويون لبنى عامر استبدادهم وحجرهم على الخليفة هشام المؤيد وسخط العامة والخاصة لتولية عبد الرحمن المسمى بشنجلول ولاية العهد^(١).

وسار عبد الرحمن على سنة أبيه وأخيه فى الاستبداد بالسلطة والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فقد كان عبد الرحمن شنجلول فاجرا كثير المجون ، مجاها بـشرب الخمر^(٢) ، وأصبحت الظروف مهيأة ليقوم الأمويون بالقضاء على العامريين ووقف أطماعهم وطغيانهم مستعينين بالبربر تارة وبنصارى الشمال تارة أخرى.

سقوط الخلافة الأموية :

وقد قام الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار «فتى بنى أمية» بالدعوة لنفسه^(٣) منتهزا غياب الحاجب عبد الرحمن شنجلول سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ عن قرطبة فى إحدى غزواته ، فثار مع نفر من أصحابه وقاموا بالاستيلاء على مقاليد السلطة ، واستولوا على قصر الخلافة بقرطبة ، وأرسل الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى الخليفة هشام المؤيد يأمره بخلع نفسه فاستجاب له الخليفة هشام^(٤) ، وتنازل له عن الخلافة بعد أن مكث فيها ثلاثة وثلاثين عاما وبضعة أشهر ، فقام الفقهاء والوزراء بمبايعة الأمير محمد بن هشام الذى تلقب بالقباب الخلافة وحمل لقب المهدي ولم يتخل أحد عن بيعته^(٥) . فعمد إلى الإساءة إلى البربر والبطش بهم أينما وجدوا مما زاد من حنقهم عليه وكرههم الشديد له فكانوا يضمرون له الشر ويتربصون الفرصة المتاحة للخروج عليه ، كما عهد الخليفة المهدي إلى إخراج حوالى سبعة آلاف جندي من الجيش وأمر بقطع أرزاقهم^(٦) وإسقاطهم من ديوان العطاء .

١- ابن عذارى ج ٣ ص ٤٦ ، ص ٤٧ .

Dozy : Spanish Islam , pp. 539-540 .

٢- ابن عذارى ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٧ .

٣- الضبى ، بغية الملتبس ص ١٩ ، ابن الأبار ، الجلة السيرة ج ١ ص ٢٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٥٩ ، ٦٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ج ٣ ص ١١١ .

٥- ابن عذارى ، المصدر السابق ج ٣ ص ٥٣ ، ٦٤ ، ابن الخطيب ، المصدر السابق .

٦- ابن الخطيب أعمال الاعلام ص ١١٢ ، ١١٣ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ٧٥ .

وكان هشام بن سليمان بن الناصر وهو والد سليمان ولي العهد قد حقد على محمد بن هشام لاستهتاره وسوء خلقه فأخذ يدبر لخلعه ، وانضم إليه جماعة من الحاقدين على الخليفة المهدي وعلى رأسهم البربر ، والعامّة تعصبوا للمهدي ونشبت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة هشام بن سليمان وبعض رجاله ، وقام المهدي بقتلهم جميعاً^(٢).

وكان ممن فر من بنى أمية عقب مقتل هشام بن سليمان ابن أخيه سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، فالتف حوله البربر ورشحوه لتولي الخلافة مكان المهدي وبإيعاده ولقبوه بالمستعين بالله^(٣).

ونظراً لقلة جند سليمان من البربر فقد استعان بالجند المرتزقة من نصاري الشمال واستطاع أن يهزم المهدي وجنده في موقعة قنتيش وأن يدخل قرطبة في ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ / نوفمبر سنة ١٠٠٩ م^(٤).

لكن ما لبث المستعين أن هزم في موقعة عقبة البقر في شوال سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م وفر إلى شاطبة^(٥) ، وتعقبهم المهدي وواضح الصقلي حاجبه ، حتى وادى ياروجه قرب مضيق جبل طارق ، حيث دارت رحى معركة في ذي القعدة عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، هزم فيها حزب المهدي ، وعاد إلى قرطبة حيث قبض عليه حاجبه واضح الصقلي في ٨ ذي الحجة من نفس العام وقتله ، وأعلن هشام المؤيد خليفة للمرة الثانية وتولى واضح الحجابة في ٩ ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م^(٦).

١- ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٦١ ، ابن عذاري ، البيان ج ٣ ص ٧٨ ، ص ٧٩ ، ٨١ ، ٩٦ .

٢- الضبي ، بغية الملتبس ص ٢٠ ، ابن عذاري ، البيان ج ٣ ص ٨٤ ، المقرئ نفع الطيب Levi Pro- vential : L'Espagne Musulman, p. 130 .

٣- الضبي ، بغية الملتبس ص ٢٠ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٥ ، ٧ ، ابن عذاري ، البيان ج ٣ ص ٥١ .

٤- ابن الأبار ، الحلة السيرة ج ٢ هامش ص ٦ ، ابن عذاري ، البيان ج ٣ ص ٨٧ .

٥- Murphy : History of the Mohammedan Empire p. 115 .

٦- ابن عذاري ، البيان ج ٣ ص ٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١١٥ .

٦- النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ص ٨٦ ، ابن الأبار الحلة السيرة ج ٢ ص ٧ ، ابن عذاري ، البيان ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١١٦ .

حاول هشام المؤيد استمالة البربر، فأرسل رأس المهدي إلى سليمان المستعين داعيا إياه إلى ترك الفتنة والدخول في طاعته^(١)، ولكنه رفض دعوة هشام المؤيد وأطلق يد البربر على قرطبة والزهراء يسلبون وينهبون ولم يستطع النهوض بأعبائها في تلك الظروف الصعبة. ولم يجد الخليفة هشام بداً من التنازل للخليفة سليمان المستعين^(٢).

وعجز الخليفة سليمان المستعين أيضا عن النهوض بأعباء الحكم، خاصة وقد ازداد نفوذ البربر وأصبحوا لا يهمهم إلا مصلحتهم الشخصية. هكذا أمست الخلافة في عهده ممزقة الأوصال منقسمة على نفسها، فطمع فيها الطامعون، وكان على رأس هؤلاء الطامعين على بن حمود الحسن الذي تولى أمر مدينة سبتة من قبل الخليفة سليمان المستعين.

قام على بن حمود بقتل سليمان المستعين وأخيه والدهما واستولى على قرطبة في سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م^(٣)، ودعا لنفسه وبويع بالخلافة وتلقب بالناصر لدين الله^(٤).

لكن خيران العامري لم يلبث أن انقلب على الخليفة على بن حمود، وثار عليه وسار إلى شرق الأندلس، ودعا للأمويين من جديد.

وفي سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٧م استقدم خيران العامري من مدينة بلنسية رجلا من بنى أمية يدعى عبد الرحمن بن محمد، رشحه لنصب الخلافة وتلقب بالمرتضى^(٥).

١- ابن عذارى، البيان ج٣ ص ١٠٠، ١٠١.

٢- ابن الأثير ج٩ ص ٨٠، ابن عذارى، البيان ج٣ ص ١١٣، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١١٩.

٣- ابن عذارى، البيان ج٣ ص ١٢١.

F.G. Rabiles ; malga Musulmane p.

٤- الحميدى، جذوة المقتبس ص ٢٢.

ابن بسام الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٧٩، المراكش المعجب ص ٤٩، ابن عذارى، البيان ج٣ ص ١٢٢، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١٢٨.

٥- الضبي، بغية الملتبس ص ٢٧، المراكشى، المعجب ص ٤٩، ٥٠، ابن عذارى، البيان ج٣ ص ١٢١.

١٢٢، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١٣؛ القلقشندي صبح الأعشى ج٥ ص ٢٤٦.

ولم يلبث الصقالبة بدورهم أن اتقلبوا على بن حمود وقتلوه سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٨ م^(١).
أرسل زعماء البربر من زناتة إلى أخيه القاسم بن حمود يخبرونه نبأ وفاته، فحضر من
أشبيلية ودخل قرطبة ويبيع بالخلافة في ٨ ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٨ م وتلقب
بالمأمون^(٢).

وإزاء سطوة البربر وثورتهم المستمرة زحف يحيى بن علي بن حمود من سبتة ودخل قرطبة ،
فخشى القاسم على نفسه، وهرب إلى أشبيلية في ٢٢ ربيع الثاني ٤١٢ هـ / ١٠٢٢ م^(٣).
دخل يحيى بن علي بن حمود قرطبة في مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢٢ م
ويبيع بالخلافة وتلقب بالمعتلى بالله^(٤).

أما القاسم بن حمود فقد استقر في أشبيلية حيث بيع هناك بالخلافة، وأصبح هناك
خليفتان ، واتفق كل منهما على أن يعترف بالآخر^(٥).

لم يدم هذا الوضع طويلا، فقد ثار البربر على يحيى المعتلى بالله سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٣ م^(٦)
فغادر قرطبة إلى مالقة وتسمى هناك بأمير المؤمنين، أما البربر فقد استدعوا عمه القاسم بن
حمود الذي تلقب بالمأمون وجددوا البيعة له^(٧).

١- ابن عذاري، البيان ج٣ ص ١٢٢ .

٢- الحميدى ، الجذوة ص ٢٢ ، الضبي ، البقية ص ٢٨ ، ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٨٣ ، ابن
عذاري، البيان ج٣ ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

٣- ابن بسام ، الذخيرة ق ١ م ١٣ ص ١٤ ، ابن الخطيب، زعمال الاعلام ص ١٣١ ، ١٣٢ .

٤- ابن حزم ، نقط العروس ص ٥١ ، المراكشي المعجب ص ٥٠ .

Levi - provincial : L'Espagne Musul. T, T, II p. 332 .

٥- ابن حزم ، نقط العروس ص ٨٠ .

٦- ابن عذاري ، البيان ج٣ ص ١٣٣ .

R. Dozy : Spanish islam. p. 571 , L'Provencal : C'esp. Musul T II. p. 332 .

٧- الحميدى ، الجذوة ص ٢٣ ، ابن عذاري ، البيان ج٣ ص ١٣٣ ، المقرئ نفع الطيب ج ١ ص ٤٨٧ .

وضاق أهل قرطبة بالحموديين لضعفهم ولتمكينهم البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة، فأعلنوا الثورة والعصيان .

ولم يستطع الخليفة القاسم الصمود أمام ثورة أهل قرطبة فاضطر إلى اللجوء إلى أشبيلية ، ولكن أهل أشبيلية لم يرحبوا به وأغلقوا أبواب المدينة دونه فأتجه إلى بلدة^(١) شريش^(٢) حيث قتله يحيى ابن أخيه^(٣).

وعمد أهل قرطبة إلى مبايعة خليفة لهم من الأسرة الأموية، فقاموا بترشيح ثلاثة ممن بقوا على قيد الحياة وهم سليمان بن المرتضى ومحمد العراقي وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار^(٤). ووقع الاختيار على سليمان بن عبد الجبار واتخذ لقب المستظهر بالله^(٥).

لم يستطع الخليفة المستظهر القيام بشئون الخلافة، فقد غلب عليه الجند الذين قويت شوكتهم وازدادت سطوتهم فى عصره ، وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية ، وفرغت خزائن الدولة، كما حقد عليه أعيان أهل قرطبة حين استعان «بغيرهم من الفتيان فى وظائف الدولة»^(٦) كما حقد عليه عامتها لترجييه بالبربر فى قرطبة^(٧).

١- الضبى بغية الملتمس ص ٢٩ ، ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٣ .

٢- مدينة كبيرة من كورة شذوتة (بالأندلس) وهى قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش .

٣- الضبى ، بغية الملتمس ص ٢٩ ، ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٤٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٣ ، المقرئى، نفع الطيب ج ١ ص ٤٨٨ .

٤- الضبى ، بغية الملتمس ص ٣١ ، ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٤ ، ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٣٦ .

٥- الضبى ، بغية الملتمس ص ٣١ ، ابن حزم ، نقط العروس ص ٥١ .

٦- ابن بسام الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٦ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٣٧ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٤ .

٧- ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ١٣٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٥ .

فثار عليه الجند وقتلوه فى قصره سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٤م^(١).

ولما مات الخليفة المستظهر قام الجند بمبايعة ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر بالخلافة^(٢) وتلقب بالمستكفى بالله^(٣).

ولم يكن المستكفى على شىء من الكفاية السياسية أو الحربية بل كان سىء الخلق والسيرة.

وأساء المستكفى إلى رجال الدولة فهرب كثيرون منهم من قرطبة ولجأوا إلى بلاط يحيى بن حمود بمالقة^(٤)، وشجعوه على السير إلى قرطبة ليضع حدا لتلك المحن^(٥).

سمع القرطبيون هذه الأنباء وكانوا قد سئموا حكم المستكفى، فدخل عليه الوزراء والفقهاء وطلبوا منه الخروج لمواجهة يحيى المعتلى، ولكنه لم يستطع وخشى على نفسه فهرب مستخفيا^(٦). ثم قتل^(٧).

وظلت قرطبة بعد قتل المستكفى وهروبه حوالى ستة أشهر دون خليفة فسار الخليفة يحيى المعتلى صاحب مالقة ودخل قصر قرطبة فى رمضان سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥^(٨)، وبقي بها مدة

١- الحميدى ، الجذوة ص ٢٦ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٣١ ، ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٣٩ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص ١٣٥ .

R. Dozy : Spanish Islam pp. 573. 581 , 583 .

Levi - Provincial, L'Esp. Musul . T II pp. 334 , 335 .

٢- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٣٩ ، ١٤١ .

٣- ابن حزم ، نقط العروس ص ٤٩ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٣٣ .

٤- ديوان ابن شهيد ص ٤١-٤٢ .

٥- ابن شهيد ، ديوان ابن شهيد ص (٤ ، ٢) .

٦- الحميدى ، الجذوة ص ٢٧ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٣٣ .

٧- المراكشى ، المعجب ص ٥٦ ، ٥٧ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٣٦ .

٨- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٦ .

ثم تركها إلى مالقة ، وأبقى فى قرطبة وزيره أحمد بن موسى ودوناس بن أبى روح ، وحامية صغيرة من البربر لتدبير أمرها ^(١).

وغضب أهل قرطبة لوجود البربر داخل مدينتهم ووقعها فى قبضتهم فهاجموا البربر وتمكنوا من الفتك بهم بمساعدة خيران العامرى صاحب المرية ومجاهد صاحب دانية وقتلوا منهم نحو ألف ^(٢).

ثم أجمع أهل قرطبة وفقهاؤها على رد الأمر إلى بنى أمية فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الناصر ، أخى عبد الرحمن ^(٣) الناصر ، أخى عبد الرحمن المرتضى ^(٤) ، واتخذ لقب المعتمد بالله ^(٥) ، وقدم قرطبة فى ذى الحجة سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٢٩ م ^(٦).

ازدادت حال الخلافة سوءاً فى عهد الخليفة المعتمد الذى انشغل باللهو وترك شئون الدولة لوزيره حكم بن سعيد القزاز ^(٧) ، الذى أساء إلى أهل قرطبة وعلمائها وفقهائها واستبعد رجالها من الوظائف الهامة ، كما صادر أموال التجار وأغدق على البربر ^(٨) ، وقطع أرزاق الجند ^(٩) فقتله الجند سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٣١ م ^(١٠).

١- ابن عذارى ، البيان ج٣ ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، Levi-Provençal, L'Espa. Musul. T II. p. 336-337.

٢- الحميدى ، الجذوة ص ٢٧ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٣٤ ، ابن الأبار الحلة السيرة ج ١ ص ٢٠٩ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٧ .

٣- الحميدى ، الجذوة ص ٢٧ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٣٤ .

٤- المراكشى ، المعجب ص ٥٧ .

٥- الحميدى ، الجذوة ص ٢٨ ، الضبى ، بغية ص ٣٤ ، ابن حزم ، نقط العروس ص ٥٦ .

٦- الحميدى ، الجذوة ص ٢٧ ، ٢٨ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ج ١ ص ٢٠٩ ، المراكشى المعجب ص ٥٨ .

٧- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٨ .

٨- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٦ .

٩- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٩ .

١٠- الحميدى ، الجذوة ص ٢٨ ، ٢٩ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٤٦ .

١١- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٨ ، ١٣٩ . R. Dozy Spanish Islam p. 589 .

سار كبار الوزراء بزعامة ابن حزم بن جابر إلى القصر وأعلنوا إبطال الخلافة وإزالة الأمويين وطردهم من قرطبة^(١)، فنودي في الأسواق ألا يبقى أحد من الأمويين وألا يحميهم أحد^(٢).

أما الخليفة هشام المعتمد، فقد سجن مع أهله لبضعة أيام في الجامع يعيش على الصدقة^(٣)، ثم أبعد عن قرطبة وانتهى به المطاف إلى سليمان بن هود الجذامي المتغلب على مدينة لاردة وسرقسطة وإفراغة وطرطوشة^(٤)، فأكرمه وبقي عنده، حتى توفي في صفر سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م، ودفن بناحية لاردة، وقد كان خلعه يوم الثلاثاء ١٢ ذى الحجة سنة ٤٢٢هـ / ٣٠ نوفمبر سنة ١٠٣١م، فكان آخر الخلفاء الأمويين، وبخلعه انتهت الدولة الأموية بالأندلس وقامت على أنقاضها دول الطوائف.

أسباب سقوطها :

يرجع هذا الحدث الفريد إلى تضافر أسباب عدة لسقوطها على النحو التالي :

أنه على الرغم مما وصلت إليه بلاد الأندلس من التقدم وخاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلا أنها لم تتمتع باليد المتكاثفة في الحكم والإدارة بسبب سياسة عبد الرحمن الاستبدادية من تركيز السلطة في يده والاستعانة بالمرتزقة من الصقالبة^(١)، وذلك

١- ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١٣٨، ١٣٩.

L. Dozy Spanish Islam . p. 589 .

٢- ابن عذاري، البيان ج ٣ ص ١٥٢، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١٣٩.

٣- ابن الآبار، الحلة السيرة ج ١ ص ٢٠٩، المراكشي، المعجب ص ٥٨، ابن عذاري، البيان ج ٣ ص ١٥١، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١٣٩.

٤- ابن الآبار، الحلة السيرة ج ١ ص ٢٠٩، المراكشي، المعجب ص ٥٨.

L' Provençal: L'Esp. Musul T II p. 341 .

٥- ابن عذاري، البيان ج ٣ ص ١٤٥.

٦- ابن عذاري، البيان ج ٣ ص ١٤٥.

٧- «المقصود بالصقالبة في الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى، التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الادرياتي (ابن حوقل، صورة الأرض ص ١١٠) على أن كلمة Esclava صقلب فرنسية قديمة، ومعناها عبدا ورتيق، عن الصقالبة أنظر (العبادى الصقالبة في أسبانيا ص ٨، ٩ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٩م . Levi Provençal : L'Espagne Musul . aueme Siecle. p.

للقضاء على نفوذ الأرسقراطية العربية فى الحكم وإضعاف سيطرة الجند العرب والبربر^(١). وإذا كانت هذه السياسة قد قدر لها النجاح فى عهده نظرا لقرته فقد منيت بالفشل بعد وفاته خاصة فى فترة ضعف شخصية الخلفاء الأمويين وتنازعهم على الحكم أمثال الخليفة المهدي ٣٩٩هـ / ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م وسليمان المستعين (٤٠٠-٤٠٣ و ٤٠٧هـ - ١٠٠٩م - ١٠١٣-١٠١٦م)^(٢).

وقد مهدت سياسة الاستعانة بالعناصر الأجنبية فى الجيش والإدارة إلى حدوث انفصال بين الجيش وجمهور الناس، كما أدت أيضا إلى ظهور عناصر جديدة لم تعرف من قبل، فكان كل حاكم لا يثق فى العنصر الذى اعتمد عليه من سبقه^(٣).

فالمنصور بن أبى عامر مثلا ضرب الصقالبة الأمويين واستبدل بهم من يثق فيهم من الصقالبة الذين عرفوا بالصقالبة العامريين^(٤)، كما استقدم المنصور عنصرا آخر كان له خطره على البلاد ألا وهو البربر^(٥).

وقد ظهر خطر الاستعانة بهذه العناصر أثناء فترات الاضطراب وخاصة الفتنة البربرية، فقد استعان الخليفة المهدي بنصارى الشمال والصقالبة بينما استعان الخليفة سليمان المستعين بالبربر فى صراعه على الحكم ضد الخليفة المهدي^(٦).

١- العبادى (أحمد مختار العبادى) الصقالبة فى أسبانيا ص ١٢ مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٩م.

٢- رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود فى مالقة، رسالة ماجستير غير منشورة سنة ١٩٧٦ ص ٣١.

٣- رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود فى مالقة ص ٣١.

٤- ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ج ١ ق ٤ ص ٤٤، ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١٩٩، ٢٠٠، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ٢٤٧، ٢٦٢، العبادى، الصقالبة فى زيبانيا ص ١٤.

٥- ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ج ١ ق ٤ ص ٤٤، ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١، ١٩٩، ٢٠٠ عن استقدام المنصور بربر العدو فى بلاد المغرب انظر هذا الفصل ص ١١١ وما بعدها.

٦- انظر الفصل الثانى من الرسالة ص.

كما أدت سياسة الخليفة الحكم المستنصر فى الحكم إلى ضياع هيبة الخلافة الأموية فى الأندلس، وذلك عندما قام بتولية ابنه هشام الطفل ولاية العهد رغم أنه كان كثير الانتقاد لبنى العباس لتوريثهم الملك لأبنائهم قبل بلوغهم سن الرشد^(١)، فمهد ذلك لرجل مثل المنصور بن أبى عامر ليستبد بالسلطة ويحجر على الخليفة نفسه^(٢).

ثم أخذ يعمل على القضاء على الأمويين بالقتل والتشريد، فقتل المغيرة عم هشام المؤيد، كما قام ابنه عبد الملك المظفر بقتل هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وهو والد محمد المهدي الذى قاد الثورة ضد بنى عامر فيما بعد وقضى على دولتهم^(٣).

وقد أدت هذه السياسة التى اتبعها المنصور بن أبى عامر وخلفاؤه من بعده إلى «أن سقطت هيبة الأمويين وخمدت ريحهم».

كما أصبح الحقد والكراهية متبادلا بين الأمويين والعامريين، وأصبح كل منهما يتربص بالآخر ويحذر منه^(٤)، فالمنصور أوصى ابنه عبد الملك المظفر قبل أن يموت، بقوله له «إياك أن تضع يدك فى يد مروانى ما طوعتك بنانك فإنى أعرف ذنبى إليهم» ثم أوصى غلمانته بقوله ولا تغرنكم بوارق بنى أمية وقدروا ما فى قلوبهم وقلوب شيعتهم بقرطبة من الحقد عليكم فليس يرأسكم يعدى أشفق عليكم من ولدى^(٥).

واشتدت نقمة الأمويين على العامريين بعد أن رأوا عبد الرحمن شنجول ينتزع ولاية العهد من الخليفة الضعيف هشام المؤيد.

١- ابن بسام الذخيرة، ت ٤ مجلد ١ ص ٤٣، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ٦٢.

٢- خشى المنصور بن أبى عامر بانتقال الخلافة إلى المغيرة حيث أحس بما يدبره الخادمان الصقليين فائق وجوزر وعزمهما على توليته بدلا من هشام ق ٤ مجلد ١ ص ٤١، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٢٦١، المقرئ، نفع الطيب ج ٣ ص ٨٦.

٣- ابن الأثير، الحلة السبراء ج ١ ص ٢٢٦، ص ٢٢٧، المقرئ، نفع الطيب، ج ٢ ص ١٢٣، ١٢٩.

٤- رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود فى مالقة، رسالة ماجستير ص ٣٤.

٥- ابن بسام، الذخيرة ق ٤ م ١ ص ٥٨، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٢٠٢.

التمزق العنصرى للشعب الأندلسى

فإذا أضفنا إلى تلك الأسباب سببا آخر هو التكوين المعقد للشعب الأندلسى، ذلك أن هذا الشعب اجتوى على كثير من العناصر المختلفة فهناك أهل البلاد الأصليين، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين ، وهناك العرب والبربر والصقالبة وكل عنصر من هذه العناصر ينتمى إلى جنس قائم بذاته، ولكل منهم لغته الخاصة وعاداته^(١) ، هذا وإن كانت المصاهرة قد قربت بين تلك العناصر بعض الشيء إلا أنه بقي هناك من مظاهر الاختلاف والتنافس ما يكفى لقيام الصراع بينها إذا ما حانت الفرصة^(٢).

الصقالبة ودورهم فى سقوط الخلافة والقضاء عليها

انعكس الصراع على الخلافة بين المهدي والمستعين بالله على جند الدولة من البربر والصقالبة ، فتعصب البربر للمستعين بينما تعصب الصقالبة وعلى رأسهم الفتى واضح للمهدي، على أمل تقلد منصب الحجابة والاستبداد بأمور الدولة دون الخليفة، ولكى يحقق واضح أمنيته، طلب المساعدة من كونت برشلونة وذلك لنصرة الخليفة المهدي ضد المستعين بالله، فوافق مقابل شروط مجحفة^(٣)، والتقى الطرفان فى عقبة البقر^(٤) وانتهت المعركة لصالح الخليفة المهدي وأعوانه من الصقالبة وهرب سليمان المستعين إلى مدينة^(٥) شاطبة «فجدد الخليفة المهدي البيعة لنفسه واتخذ الفتى واضح حاجبا له»^(٦).

هذا وقد ضعفت الخلافة فى عهد المهدي لازدياد نفوذ الصقالبة وسيطرتهم على الأمور وتدخلهم فى تعيين الخلفاء وعزلهم أو قتلهم ، فعندما أحسوا بضعف الخليفة المهدي، تحولوا

١- رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى حمود فى مالقة ص ٤١ .

٢- نفس المصدر والصفحة .

٣- عن هذه الشروط انظر (ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ٩٣ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١١٤) .

٤- ابن الآبار ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٧ ، Dozy: Spanish islam p. 553 .

٥- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ٩٥ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص ١١٥ .

٦- ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ٩٥ ، ص ١٠٠ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١١٥ .

عنه وقتلوه وردوا الخلافة لهشام المؤيد ظنا منهم بأن الأمور ستكون إلى جانبهم وتصفو الدولة لهم، ففي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١١ م قبضوا على الخليفة المهدي وقتلوه^(١). وأخرجوا هشام المؤيد وجددوا البيعة له، وتقلد واضح منصب الحجابة^(٢).

وهكذا نرى أن كل عنصر من العناصر المختلفة في الأندلس حاول الوصول إلى تحقيق ذاته على حساب أمن الخلافة واستقرارها.

ضعف الجيش الأندلسي :

ضعف الجيش الأندلسي أواخر عصر الخلافة وذلك نتيجة للحروب التي خاضتها جيوش الخلافة سواء في القضاء على الفتن والثورات الداخلية أو للحفاظ على الوحدة السياسية للبلاد^(٣)، أو في الحروب التي خاضها الجيش الأندلسي، سواء في بلاد المغرب لاختصاصه لسيطرة الأندلس أو لرد عدوان نصارى الشمال^(٤)، الذين دأبوا على الإغارة على المدن الأندلسية الإسلامية.

وكان لتلك الجهود التي بذلها الجيش الأندلسي وخاصة في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر أثر في أن ضعف هذا الجيش فلم يستطع في فترة ضعف الخلافة أن يحمي هذه السلطة الشرعية والتي طالما كان الجيش سندها أو يصون عزتها وكرامتها.

كما أن التنوع العنصري داخل ذلك الجيش جعل كل عنصر يتعصب لعنصره ويفضل مصلحته على مصلحة البلاد وأمنها واستقرارها، وقد ظلت تلك العناصر تعلن ولائها لولي الأمر طالما كان قويا، فلما ضعف وأحست تلك العناصر بقرب الصراع بين الأمويين والعامريين حدد كل عنصر موقفه مستترا وراء أحد أفراد البيت الأموي، فانهاز الصقالبة إلى جانب كل من يقف في وجه أعدائهم من البربر أمثال المهدي وهشام المؤيد، كما انهاز البربر إلى كل من يقف في وجه الصقالبة أمثال هشام بن سليمان وسليمان المستعين.

١- الضبي، بغية الملتبس ص ٢١، ابن الأثير، الحلة السيرة ج ٢، ص ٥٧، المراكشي، المعجب ص ٤٢.

٢- ابن عذاري، البيان ج ٣ ص ١٠٠، ١٠١، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص ١١٦.

٣- عن القضاء على الفتن والثورات أنظر صفحة ١٠ من هذا الفصل وما بعدها.

٤- صفحة ١٣ من هذا الفصل وما بعدها.

٥- رجب محمد عبد الحليم، دولة بني حمود في مالقة ص ٣٥، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ج ٣ ص ١١٣ وما بعدها، ابن عذاري، البيان ج ٣ ص ٧٥-١٠١، الضبي بغية الملتبس ص ٢٠.

سوء الأحوال الاقتصادية :

كذلك كان لسوء حالة الشعب الأندلسى الاقتصادية دور فى إثارة الاضطرابات والقلقل والثورات حيث كان شظف العيش لعامة الناس ويقابله البذخ والترف فى قصور الخلفاء والغنى والثراء عند الطبقة الأرستقراطية فى البلاد، انظر إلى ما أنفق فى بناء مدينة الزهراء من الأموال الطائلة^(١)، وكان شغف الناصر بالعمارة والبناء والاسراف فيهما سببا فى أن سخط هذا فى رسائل عدة كتبها فى حق الناصر يتهمه بالإسراف والبذخ ويعظه بآيات من القرآن الكريم ليبين له سوء فعلته فى الاسراف فى زينة الدنيا^(٢) و«أتى بما شاكل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء إلى الله عز وجل فى الزهد فى هذه الدنيا الفانية، والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها والترغيب فى الآخرة وبأقبحها، والتقصير على طلب الدنيا ونهى النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن الكريم ما يوافقه وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء إلى الله تعالى، فعلم الخليفة أن المقصود به والمعتمد بسببه، فاستجدى وبكى، وندم على ما سلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصم برحمته»^(٣). وذلك بالإضافة إلى انخفاض مستوى الأجور وبالتالي انخفاض مستوى المعيشة للفرد الأندلسى كما سبق.

ويذكر المقرئ أن أجور العمال الذين كانوا يشتغلون فى بناء الزهراء فى القرن الرابع الهجرى- وهو عصر الرخاء والازدهار- كانت تتراوح بين الدرهم والنصف وثلاثة الدراهم يوميا- للعامل الواحد تبعا لمقدرتهم الحرفية^(٤) وذلك على الرغم من ارتفاع الأسعار فى ذلك الوقت مما نتج عنه هبوط فى مستوى معيشة العامة من الأندلسيين^(٥).

١- حيث يذكر الفتح بن خاقان فى كتابه المطمع «مدى كلفة الناصر فى عمارة الأرض وأقامة معالمها (ابن خاقان، المطمع ص ٤٠).

٢- سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة، الخلافة ص ٢٣، ٢٣١.

٣- ابن خاقان، المطمع ص ٤١، ابن غالب، فرحة الأنفس ص ٣٤، ٣٥، المقرئ، نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٦.

٤- المقرئ، نفح الطيب ج ٣ ص ٦٧.

٥- ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ١٠٦ والمقرئ، نفح الطيب ج ٢ ص ٦٧.

أضف إلى ذلك كله الضرائب الباهظة التى فرضت على الناس^(١) حيث كانوا يدفعون تلك الضرائب دون تدمير طالما أن ولى الأمر قوى والأمن مستتب ولكن ضعف سلطة الخليفة وعجزه عن إقرار الأمن والسلام للناس، فقد ثاروا فى وجه الخليفة هشام المؤيد يطالبونه برفع الغلاء فقد غلت الأسعار حتى لا يكادون يجدون قوت يومهم ، ولما عجز الخليفة عن إجابة مطالبهم لم يجدوا مفرًا من نهب قصر الخليفة نفسه^(٢).

ونتيجة لهذه الظروف كلها امتلأت نفوس العامة بالثورة وخرج منهم الجوعى إلى الطرقات ليلاً ينهبون المارة، ليدروا عن أنفسهم خطر الموت جوعاً، ومن ثم قرر جمهور قرطبة اتخاذ موقف عنيف من السلطة الحاكمة ورفع راية العصيان وأصروا على التمرد.

١- ابن عذارى ، البيان ج٣ ص ١٠٦ والمقرئ، نفع الطبيب ج٢ ص ٦٧ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٠٧ .

٣- ابن عذارى، البيان ج٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

الأوضاع الداخلية في بلاد المغرب

على الرغم من انفصال بلاد المغرب الإسلامي سياسياً عن الدولة العباسية فقد كانت تسودها بعض التيارات الدينية المعتدلة إلى حد ما ، منها أن المذهب الإباضى لبنى رستم فى تاهرت ، لم يجنح بعيداً عن مذاهب أهل السنة ، كما كانت إمارة بنى المدرار^(١) الخوارج فى سجلماسة تدين بالولاء للخلافة العباسية فى بغداد .

وعلى الرغم من أن دولة الأدارسة فى فاس كانت دولة علوية فإنها كانت دولة معتدلة^(٢) إلى حد ما .

أما الأغلبية الذين أقاموا دولتهم فى تونس برضا العباسيين لتمثل دور الدولة الحجازية ، فكانوا يدينون بالولاء للخلافة العباسية فى بغداد^(٣).

ولهذا يعد قيام الدولة الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب نقطة تحول خطيرة فى تاريخ هذه البلاد ، فقد أدى إلى قطع علاقة المغرب الإسلامى ببلاد المشرق والخلافة العباسية فى بغداد من ناحية وترك أثر عميقاً على العلاقات السياسية بين المغرب وبين الأندلس^(٤).

١- قامت دولة بنى مدرار فى سجلماسة وكانت تدين بالمذهب الصفرى ، فرع من مذهب الخوارج ، وهو مذهب يقوم على مبدأ عدم حصر الخلافة فى بيت معين أو جنس معين ، ويرى تركها لاختيار الأمة ، فهى تختار الشخص الصالح لها ، بغض النظر عن جنسه أو لونه ، ما دام مستوفياً لشروط الخلافة ، وقد قامت دولة بنى مدرار فى سجلماسة فى جنوب المغرب الأقصى ١٤٠هـ / ٧٥٧م ومؤسسها كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد المكناص الصفرى ، واستمرت هذه الدولة زمناً طويلاً ثم انتهت على يد قائد الفاطميين جوهر الصقلى ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، انظر ابن الخطيب أعمال الاعلام قسم ٣ الخاص بالمغرب ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، العبادى دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٦ ، ٤٧ عن انتشار المذهب الصفرى الخارجى ، انظر (سالم عبد العزيز) المغرب الكبير العصر الإسلامى ص ٥٨٣ ، ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ٢١٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، السلاوى ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها ، ابن خلدون العبر ص ٢٦٨ ، الاستبصار ، المؤلف مجهول ص ٢٠١ .

٢- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ، العصر الإسلامى ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

٣- سعد زغلول عبد الحميد ، فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، مجلة كلية الآداب والعلوم ، الجامعة الليبية مجلد ١ عدد ١٩٥٨ ص ٢١٥ ، ٢٢١ ، سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٥٩٤ .

٤- ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٤٨ .

قيام الخلافة الفاطمية :

قامت الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب على مرحلتين الأولى مرحلة نشر المذهب الاسماعيلى فى بلاد المغرب، لتكوين جبهة شيعية من أهل تلك المنطقة تساعدهم فى توطيد نفوذهم فى البلاد من جهة ، وتدعيم المذهب الاسماعيلى ومحاولة نشره من جهة أخرى، والمرحلة الثانية رهى مرحلة الصدام المسلح المباشر مع الدويلات القائمة فى بلاد المغرب وقتذاك، الأغلبية فى تونس والدولة الرستمىة فى تاهرت والأدارسة فى المغرب الأقصى .

كانت مدينة سلمية من أرض حمص فى بلاد الشام مركزا للدعوة الاسماعيلية، ومن هذه المدينة انتشر دعاة الاسماعيلية فى كل مكان.

وكانت اليمن إحدى البلاد التى اتخذها دعاة الاسماعيلية مركزا لنشر الدعوة، وذلك لوعورة مسالكها ومناعتها وبعدها عن الخلافة العباسية فى بغداد (١) .

وثمة عامل آخر أدى إلى اختيار دعاة المذهب الاسماعيلى بلاد اليمن مركزا لنشر دعوتهم فى بادىء الأمر يتمثل فى قرب بلاد اليمن من بلاد الحجاز ملتقى حجاج بيت الله الحرام (٢) .

ويرجع الفضل فى نجاح الدعوة الاسماعيلية فى بلاد اليمن إلى رجل من الكوفة يدعى أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى الذى قام بنشر الدعوة للرضا من آل محمد (٤) .

قام ابن حوشب ببناء حصن فى جبل لاعة (٥) وتمكن من تكوين جيش كثيف للزحف على مدينة صنعاء وأخرج منها بنى يعفر (٦) . واجتهد فى نشر الدعوة الاسماعيلية فى جميع

١- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٢٩٤ .

٢- أحمد مختار العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، مجمله معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٥ سنة ١٩٥٧ ص ١٩٤ .

٣- ابن خلدون العبر، ج٤، ص ٣٠ ط بولاق.

٤- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٣٠ ، ٣١ .

٥- بالعين مهملة «مدينة فى جبل صبر من نواحي اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة «ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص ٧ .

٦- ابن خلدون العبر ج٤ ص ٣٠ .

أرجاء اليمن^(١)، وبث الأتباع لنشرها فى «اليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب»^(٢).

ثم أرسل محمد الحبيب إمام الاسماعيلية فى سلميه^(٣) أحد دعاة الذين يثق بهم وهو أبو عبد الله الشيعى ليكمل نشر الدعوة الاسماعيلية فى بلاد المغرب بعد أن بلغه نبأ وفاة أبى سفيان والحلوانى وهما اللذان كان قد بعث بهما الإمام جعفر الصادق إلى بلاد المغرب^(٤).

خرج أبو عبد الله الشيعى إلى مكة فى موسم الحج والتقى برجال من كتامة ورؤسائهم أمثال أبو القاسم الورفجوى ، ومسعود بن عيسى وهؤلاء ممن وصلت إليهم الدعوة الإسماعيلية ، على يد الحلوانى^(٥). « ولم يزل يستدرجهم ويخليبهم بما أوتى من فضل اللسان والعلم والجدل إلى أن سلبهم عقولهم بسحر بيانه »^(٦)، فلما آن لهم العودة إلى بلادهم سألوه عن مقصده فأخبرهم أنه يريد مصر دون أن يخبرهم بغرضه ، فخرجوا بصحبته^(٧) ، ودعوه إلى بلادهم للقيام بنشر هذه الدعوة التى استولت على قلوبهم فوافقهم « وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان إفريقية »^(٨).

١- جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٨ .

٢- ابن خلدون : العبر ج٢ ص ٣٠ ، ٣١ .

٣- «بفتح أوله وثانيه وسكون الميم، أو بفتح أوله وثانيه وكسر الميم ، وياء ، وهى بليدة فى ناحية البريه من أعمال حماء، بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤١).

٤- عن نسب الفاطميين أنظر «النورى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب «مخطوط» ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٧٥ ، ٧٧ ، ابن عذارى ، البيان ج١ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ابن خلدون : العبر ج٢ ص ٣٠ ، ٣١ ، أحمد بن أبى الضيف : الحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان ص ١٢٠ ، ١٢١ ، حسن ابراهيم حسن عبيد الله المهدي، تاريخ الدولة الفاطمية.

٥- ابن خلدون ، العبر ج٢ ص ٣٤ .

٦- ابن عذارى ، البيان ص ١٣٥ ، ١٦٦ المقرئى : اتعاظ الخنفا ، ص ٧٥ .

٧- المقرئى، الاتعاظ نفس الصفحة .

٨- المقرئى، الاتعاظ ص ٧٥ .

فقالوا : « ما له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام^(١) . قال أفتحملون السلاح ، قالوا : هو شغلنا الشاغل^(٢) . فسافر معهم ونزل ببلاد كتامة فى منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م^(٣) .

وقد وجد الأمور ممهدة له ، فقد عرفت بلاد المغرب التشيع منذ أن أسس إدريس بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب دولة علوية شيعية فى سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م عرفت بدولة الأدارسة^(٤) .

كما كان للداعيين أبى سفيان والحلوانى فضل كبير فى نشر الدعوة الاسماعيلية فى بلاد المغرب ثم بعد بلاد المغرب عن الخلافة العباسية فى بغداد أثر فى نجاح الدعوة الاسماعيلية فى تلك البلاد وانتشارها بين قبائل البربر .

وبذا كانت بلاد المغرب من أصلح البلاد لانتشار الدعوة الاسماعيلية^(٥) فى بادىء الأمر ولو أنها لم تتمكن من الصمود طويلا .

استقام أمر أبى عبد الله الشيعى فى بلاد المغرب ودانت له قبائل كتامة^(٦) ، ودخلت فى طاعته والتفت حوله قبائل كثيرة ، فجهر بمذهبه وأعلن أحقية أهل البيت فى الإمامة ودعا للرضا من آل محمد^(٧) ، وقال لهم : أنا لا أدعوكم لنفسى وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت^(٨) .

١- القاضى النعمان «افتتاح الدعوة» ص ٣٦ .

٢- المقرئى ، اتعاظ الحنفا ص ٧٥ .

٣- المقرئى ، المصدر السابق ص ٧٥ .

٤- جمال سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ص ٢٠ ، ستانلى لين بول ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ .

٥- محمود ، على مكى ، التشيع فى الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٤ مجلد ٢ ص ٩٨ .

٦-

Julien : History of North Africa p. 51-52 .

٧- ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ٣٢ .

٨- ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ١٧٢ .

مرحلة الصدام المسلح :

رقوى أمر أبى عبدالله الشيعى وزاد خطره ، وأحس الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى^(١) ،
(٢٦١-٢٨٩هـ / ٨٧٥-٩٠٢م) بهذا الخطر الشيعى لكنه توفى سنة ٢٨٩هـ / ٩٠٢م فساعد
ذلك أبا عبدالله الشيعى على نشر الدعوة الفاطمية الاسماعيلية فى بلاد المغرب عن طريق
القوة والصدام المسلح ، ولم يستطع آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ /
٩٠٣-٩٠٩م) الصمود أمام أبى عبدالله وجيوشه ، فزحف على مدينة ميله^(٢) ، وقتل أهلها
قتالا شديدا ثم ملكها بالأمان^(٣).

زحف أبو عبدالله الشيعى إلى بلدة طبنه^(٤) وأغار عليها منذ ٢٩٢هـ / ٩٠٤م وتمكن من
الاستيلاء عليها فى ٢١٤هـ / ٩٠٦م^(٥) ، ثم استولى على قرطاجنة^(٦) وبلغه ، كما تم له
الاستيلاء على قفصه^(٧) ، وأوقع الهزيمة بجند زيادة الله بن الأغلب فى موقعة كينونة سنة
٢٩٢هـ / ٩٠٤م كما استولى على قسنطينة^(٨) والاريس^(٩) ٢٩٤هـ / ٩٠٩م ولما علم زيادة الله

١- المقرئى ، اتعاظ الحنفا ص ٧٧ .

٢- «بالكسر ثم بالسكون واللام مدينة صغيرة بأقصى (أفريقية) بينها وبين بجاية ثلاثة أيام وبينها وبين
قسنطينة يوم واحد (ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٤) .

٣- النويرى ، نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٢٩ (مخطوط) ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٥٨ .

٤- بلدة فى أفريقية بما يلى المغرب على ضفة الزاب (ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٢١) .

٥- ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ١٣٨ .

٦- من نواحي افريقية .. على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا (ياقوت معجم البلدان ج ٤
ص ٣٢٣) .

٧- وهى بلدة صغيرة فى طرف افريقية من ناحية المغرب ، من عمل الزاب الكبير بينها وبين القيروان ثلاثة
أميال (ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٣٨٢) .

٨- قلعة كبيرة ومدينة... وهى على حدود افريقية بما يلى المغرب (ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤٣) .

٩- مدينة وكورة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٣٦ ، المقرئى ،
اتعاظ الحنفا ص ٨٦) .

الثالث بتغلب أبى عبدالله الشيعى فر من رقاده ^(١)، فنهب قصوره ، ودخل أبو عبدالله الشيعى القيروان فى رجب ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ^(٢) ورقادة ، فأمن الناس ومنع الجند من النهب والسلب ، وخرج إليه الفقهاء ووجوه أهل القيروان وهنأوه بالفتح ^(٣).

وفى شهر شوال سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ^(٤) خرج أبو عبدالله الشيعى من رقادة متجها إلى تاهرت ، فلما وصلها أحس اليقظان بن أبى اليقظان آخر أئمة الدولة الرستمية بعجزه عن مواجهة الشيعة ^(٥)، وأدرك قرب نهايته ، فطلب الأمان من أبى عبدالله الشيعى، على أن يسلم اليقظان له المدينة، فوافق أبو عبدالله على ذلك ، ودخل تاهرت ، ولكنه قتل يقظان ومن ظفر به من بنى رستم وأرسل رؤوسهم إلى أخيه العباس فى رقادة ، فطيف بها فى القيروان ^(٦).

ولم يكتف أبو عبدالله الشيعى بذلك بل استباح أموال جميع الرستميين وقضى بذلك على الدولة الرستمية ، ولأذ كثير من سكانها بالفوار إلى جبال أوراس ونفوسه وإلى واحة ورجلان فى الصحراء وإلى جزيرة جربة ^(٧).

١- بلدة بينها وبين القيروان أربعة أيام بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبى ٢٦٣هـ، واتخذها الأغالبة عاصمة لهم بعد ذلك واستمرت كذلك إلى أن هرب منها زيادة الله بن الأغلب واستولى عليها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ وقد اتخذها عبيدالله المهدي عاصمة له حتى أسس المهديّة فانتقل عنها .. (ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٥٥، ٥٦) .

٢- ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ٣٥ ، المقرئى اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٦٣ .

٣- ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ٣٤ ، المقرئى نفس المصدر ص ٨٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ١٩٧ .

٥- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص ٥٦٥ .

٦- ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ١٩٧ .

٧- سالم (عبد العزيز) المرجع السابق ص ٥٦٥ .

خروج المهدي :

وفي هذه الأثناء كان أبو عبدالله الشيعي قد كتب إلى عبيدالله المهدي بسلمية من أرض حمص يخبره بالفتح ، فتكرر عبيدالله المهدي في زى التجار وقدم إلى مصر ، فأنت الكتب إلى عيسى النوشري (أمير مصر) من الخليفة المعتضد بالله العباسي^(١) (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠٢م) أن يأخذ على أبي عبيدالله الطريق ويقبض عليه^(٢).

ولما وصل عبيدالله المهدي إلى سجن سجناء متخفيا أكرمه أميرها اليسع بن مدرار^(٣). ولما جاء كتاب زيادة الله بن الأغلب أو الخليفة المكتفى العباسي (٢٨١-٢٩٢هـ / ٩٠٢-٩٠٨م) يخبره بأن هذا اللاجيء المتكرر هو نفسه المهدي الذي يدعون له في كتامة^(٤) انكشف أمره وقام اليسع بن مدرار بحبسه في سجن سجناء.

علم أبو عبدالله الشيعي بأمر عبيدالله المهدي ، وما كان من سجنه في سجن سجناء ، فتابع سيره إلى سجن سجناء وحاصرها ودخلها وأخرج عبيدالله المهدي وابنه أبا القاسم من السجن^(٥) ، ثم قام أبو عبدالله الشيعي بإعلان إمامة عبيدالله المهدي بقوله : «هذا مولاي الإمام فهو مولاكم» ، فقال له عبيدالله المهدي : «قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية»^(٦).

ولما علم اليسع بن مدرار أمير سجن سجناء بوصول أبي عبدالله الشيعي سعى إلى الهرب من سجن سجناء ليلا ولكنه قتل^(٧).

١- المقرئ ، اتعاظ الخنفا ج١ ص ٦٠ .

٢- ابن خلدون العبر ج٤ ص ٣٤ .

٣- سجن سجناء «مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فلس عشرة أيام (ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ص ١٩٢) .

٤- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٣٤ ، اتعاظ الخنفا ص ٨٤ .

٥- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٣٤ ، المقرئ ، اتعاظ الخنفا ص ٨٤ .

٦- المقرئ ، اتعاظ الخنفا ج١ ص ٦٥ ، يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٥٧ ، ابن خلدون العبر ج٦ ص ١٣٦ ، مجهول ، الاستبصار ص ٢٠٤ ، مسرور ، الدولة الفاطمية ص ٢٤ .

٧- ابن عذاري ، البيان ج١ ص ١٥٣ ، المقرئ ، اتعاظ الخنفا ص ٩٠ .

٨- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٣٦ .

أقام أبو عبدالله الشيعي وعبيدالله المهدي بسجلماسة مدة ثم رحلا إلى القيروان^(١) في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م^(٢) ومنها إلى رقادة بعد أن ولي عبيدالله المهدي إبراهيم بن غالب^(٤) المزاتي أمر سجلماسة وفي رقادة أمر عبيدالله المهدي بالله بذكر اسمه في الخطبة على جميع منابر البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين^(٤).

توطيد سلطان الخلافة :

قام عبيد الله المهدي بتوطيد دعائم دولته الجديدة فأسند المناصب الكبرى إلى رجال يثق فيهم ، ودون الدواوين ، وبعث بالعمال إلى الولايات المختلفة لجباية الأموال^(٥) ، وضبط شئونها ، كما تم له إخضاع القبائل التي لم تكن قد دخلت في طاعته ، فاستطاع قائده أبو عبدالله الشيعي (٢٩٨هـ / ٩١١م) إخضاع قبائل زناتة جنوبي بلاد كتامة .

١- ابن عذاري ، البيان ج١ ص ١٠٤ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ج١ ص ١٩٠ .

٢- القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ص ٢٩٩ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ج١ ص ٦٦ .

٣- يذكر ابن عذاري أنه بعد انصراف أبي عبدالله الشيعي من سجلماسة ثار أهلها على واليه وقتلوه ولولا مكانه رجلا من بني المدرار يدعى الفتح بن محبوب بن مدرار سنة ٢٩٨هـ وظل يقوم بأمر سجلماسة حتى توفي في ٣٠٠هـ ثم خلفه أخوه العباس فأرسل إليه المهدي قائده مصالة بن حبوس الصنهاجي فهزمه وقتله ، ورأى مصاله أن يقيم على سجلماسة أمرا ، من بني المدرار وذلك ليحد من ثوراتهم ، فأقام المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار الذي دخل في طاعة الفاطميين (ابن عذاري ، البيان ج١ ص ١٥٦ ، ص ١٥٧) .

٤- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج٨ ص ١٩ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ص ٩٤ .

انظر :

Lanc - Poole : Catalogue of oriental cions part IV Piece 1,2,3,4

قطعة ، نقش الدينار على هذا النحو :

في الوجه : عبيدالله لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمير المؤمنين .

في الهامش : محمد رسول الله زسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

في الوجه الآخر : الامام ، رسول الله ، المهدي بالله ، بسم الله ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ٣٠٠ .

٥- القاضي النعمان ، نفس المصدر ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ابن عذاري ، البيان ج١ ص ١٥٨ ، ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٣٦ .

وعلى الرغم من أن الخلافة الفاطمية تدين بظهورها إلى الداعى أبى عبدالله الشيعى ، فإن عبيدالله المهدي أخذ يعمل على التخلص منه وأخذ يعمل على تدعيم نفوذه وتركيز السلطة فى يده ، ومن ثم بدأ يصطدم بأبى عبدالله الشيعى ، كبير دعائه ، فقد علت كلمته بين قبائل البربر عامة وقبائل كتامة بصفة خاصة مما أثار غيرة المهدي ، يقول ابن خلدون : « أنه لما استقام سلطان عبيدالله المهدي بأفريقية استبد بأمره ، كفى أبنا عبدالله الشيعى وأخاه أبا العباس عن الاستبداد عليه والتحكم فى أمره ، فعظم عليهما ، وصرح أبو العباس بما فى نفسه ، فنهاء أخوه عبدالله عن ذلك ، فلم يصغ إليه ، ثم استماله أبو العباس لمثل رأيه فأجابه ، وبلغ ذلك المهدي ، فلم يصدقده ثم نهى أبنا عبدالله عن مباشرة الناس قال : أنه مفسد للهبة»^(١).

ومنذ ذلك الحين أخذ أبو عبدالله يدعو الناس إلى خلعه والطعن فى خلافته^(٢). فما كان من المهدي إلا أن أمر بقتل كل من أبى عبدالله الشيعى وأخيه أبى العباس فى جمادى الآخرة ٢٩٨هـ / ٩١١م^(٣).

رأى عبيد الله المهدي ضرورة بناء حاضرة جديدة فى تونس يتخذها عاصمة له ، فخرج يرتاد موضعا ، فوق اختياره على جزيرة جمة فبدأ فى بنائها ٣٠٠ هـ / ٩١٢^(٤) ، وينسب ابن خلدون إلى أبى عبيدالله المهدي قوله بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار^(٥) « ووقع اختياره على مكان يقع على بعد ٦٠ ميلا جنوبى القيروان^(٦) . وأسماها المهديّة ، وقام ببناء أسواق بها

١- ابن خلدون ، العبر ج٢ ص ٣٧ .

٢- ابن خلدون ، العبر ج٢ ص ٣٧ ، المقرئى اتعاظ الخنفا ص ٩٥ .

٣- ابن الأبار ، الحلة السيرة ج١ ص ١٩٢ .

٤- اختلف المؤرخون فى تاريخ بناء المهديّة فيروى البكرى أن المهدي وضع أساس المدينة عام ٣٠٠ هـ (البكرى ، المغرب ص ٣٠) ويؤيد ابن عذارى هذا التاريخ (ابن عذارى ، البيان ج١ ص ١٦٩ ، ص ٢٣٤) أما ابن الأبار فيختلف معهم حيث يذكر أن بناء المهديّة بدأ ٣٠٣ هـ (ابن الأبار الحلة السيرة ج١ ص ١٩٢) .

٥- ابن خلدون ، العبر ج٢ ص ٣٨ .

٦- البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٢٩ ، ٣٠ ، الاصطخرى ، مسالك الممالك ص ٣٨ ،

مبنية من الصخر ^(١) ورتب بها أصحاب الحرف والمهن كما أجرى لها الماء فى القنوات من قرية مشناس ^(٢) ويحيط البحر بمدينة المهديّة من ثلاث جهات ^(٣).

كما بنى مرسى لرسو السفن يسع ثلاثين مركباً ^(٤)، وأنشأ داراً لصناعة السفن تنتج أكثر من مائتى مركب ^(٥).

وأصبحت مدينة المهديّة بحكم موقعها الجغرافى إلى جانب أنها عاصمة من أمنع الحصون البحرية فى بلاد المغرب ومن أهم مراكز الفاطميين التجارية ^(٦) وسوقاً نافعة للسلع التى تحملها السفن من الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس ^(٧).

هذا قد اهتم عبيد الله المهدي وخلفاؤه من بعده بإنشاء أسطول بحرى قوى لحماية دولتهم ^(٨)، فإلى جانب المهديّة اهتم الفاطميون ببناء المنشآت البحرية وإصلاحها فقاموا بإصلاح دار الصناعة القديمة بأفريقية ^(٩) «سوسة» ، كما قام عبيدالله المهدي بإنشاء دار أخرى لصناعة السفن تتسع لنحو مائة مركب معظمها من الشوانى ^(١٠)، كما أقيمت مراكز أخرى

١- مجهول الاستبصار ص ١١٧ .

٢- مجهول الاستبصار ص ١١٧ «يذكر البكرى أن قرية شناس تقع على مقربة من المهديّة (البكرى ، المغرب ص ٢٩) .

٣- البكرى ، المغرب ص ٣٩ .

٤- مجهول الاستبصار ص ١١٧ ، ١١٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٣١ ، البكرى ، المغرب ص ٣٠ ، ص ٣٩ ، التيجانى ، الرحلة تحقيق حسن حنى عبد الوهاب تونس ١٩٥٨ ص ٣٢٣ .

٥- البكرى ، المصدر السابق ص ٣٠ ، المقرئى ، اتعاظ الخنفا ص ٧٠ .

٦- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٣٢٩ ، صابر دياب سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ص ٩٩ .

٧- البكرى نفس المصدر ، نفس الصفحة ، حسن إبراهيم حسن ، عبيدالله ص ٢٠٥ .

٨- حن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٠٩ ، ١١٠ .

٩-

Goitein : Studies in Islamic Hist. p. 308 .

١٠- اتعاظ الخنفا ص ٧٠ ، القاضى النعمان ، المجالس والمسائرات «مخطوط» ج ٢ ص ٥٩١ ، صابر دياب سياسة الدول الإسلامية ص ٩٩ ، الشوانى هى من أقدم وأهم سفن الأسطول الفاطمى وقد بنى فيها الفاطميون أبراجاً وقلاعاً مربعة للدفاع والهجوم (سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٥٢-٣٥٣) .

لصناعة السفن فى مدينة طرابلس^(١) ، بالإضافة إلى دور أخرى لصناعة السفن^(٢) فى مرسى الخرز^(٣) ، وبجاية^(٤) .

وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م) أصبح مرسى المهدية يغص بالسفن فقام الخليفة المعز بإنشاء دار جديدة للصناعة ، وقاعدة للأساطيل فى مدينة سوسة^(٥) .

نشوب الثورات :

توفى عبيدالله المهدي فى ربيع الأول ٣٢٢هـ / ٩٣٤م فاشتعلت بلاد المغرب بالفتن والثورات إذ وجدت قبائل البربر الفرصة سانحة للخروج على طاعة الفاطميين^(٦) . واستهل ابنه الخليفة القائم بأمر الله ٣٢٢-٣٣٤هـ / ٩٣٤-٩٤٥م حكمه بمحاولة القضاء على تلك الفتن والثورات .

وكانت أولى هذه الفتن ثورة رجل عربى يعرف باسم ابن طالوت القرشى بنواحي طرابلس ، التف حوله البربر وزحف إلى مدينة طرابلس ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها فقام الأهالى ومعهم جند طرابلس بالتصدي له فقتلوه^(٧) .

على أن أهم هذه الثورات وأكثرها خطرا على الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب: ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى^(٨) ، وقد شغلت هذه الثورة عصر القائم كله ، وعامين من عهد ابنه أبى العباس اسماعيل المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ / ٩٤٥-٩٥٣م) .

١- «تقع على شاطئ البحر مما يلى الغرب» ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص ٢٥ ، البكرى المغرب ص ٨٥ .

٢- البكرى ، المغرب ص ٥٥ .

٣- موقع معمور على ساحل أفريقية بينه وبين بونه ثلاثة أيام (ياقوت ، معجم البلدان ج٥ ص ١٠٦) .

٤- مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب (ياقوت ، معجم البلدان ج١ ص ٣٣٩ ، الاستبصار ص ١٣٠) .

٥- القاضى ، النعمان ، المجالس والمسائرات مخطوط ج٢ ص ٥٩٠-٥٩٢) اليعقوبى ، كتاب البلدان ص ٣٤٨ ، البكرى ، المغرب ص ٣٠ .

٦- سالم (عبد العزيز) تاريخ المغرب الإسلامى (العصر الإسلامى) ص ٦٢١ .

٧- ابن عذارى ، البيان ج١ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ابن خلدون العبر ج٢ ص ٨٣ .

٨- المقرئى ، اتعاظ الحنفا ج١ ص ١٠٩ .

وبما يدل على خطورة هذه الثورة أن اسماعيل المنصور سجل انتصاره على أبي يزيد^(١) بإنشاء مدينة المنصورية^(٢) في سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م.

كان مخلد بن كيداد من أهل توزر^(٣) ورحل إلى تاهرت عاصمة الدولة الرستمية في المغرب الأوسط وحالف الخوارج النكارية فأقام بها مشغلا بتعليم الصبيان^(٤). فلما استولى أبو عبدالله الشيعي على تاهرت سنة ٢٩٦هـ رحل منها إلى تقيوس^(٥) من مدن قسطنطينية^(٦) فاستقر به المقام هناك أيام عبيدالله المهدي^(٧).

ولما توفي عبيد الله المهدي خرج من تقيوس لنشر دعوته الإباضية على مذهب النكارية^(٨)، وأخذ يدعو الناس إلى تكفير الشيعة. وفي ٣١٦هـ ٩٢٨م رحل إلى جبل أوراس وانضم إليه عدد كبير من البربر^(٩) الساخطين على الخلافة الفاطمية.

وفي سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م هبط من جبل أوراس يدعو للحق بزعمه، ولم يعلم الناس مذهبه، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة، فخرج على الشيعة ودخل أفريقية^(١٠).

وفي سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م زحف أبو زيد إلى مدينة باغاية^(١١)، فخرج إليه عاملها وجموع

١- سام (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٢٢ .

٢- ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٢١١ .

٣- «مدينة في أقصى أفريقية من نواحي الزاب الكبير» (ياقوت، معجم البلدان ج ٢ ص ٥٧) .

٤- سالم، المرجع السابق ص ٦٢٣ .

٥- مدينة بأفريقية قريبة من توزر من زعماء قسطنطينية .

٦-

٧- ابن خلدون العبر ج ١ ص ٨٤ .

٨- الإباضية النكارية من أتباع ابن فندين الذين انكروا امامة عبد الوهاب ابن رستم (المغرب الكبير ص ٦٢٣) .

٩- ابن خلدون العبر ج ١ ص ٨٤ ، سيرة الأستاذ جوزر ص ١٥٨ ، حاشية ٣٦ .

١٠- ابن عذارى، البيان ج ١ ص ٣٠٧ .

١١- مدينة كبيرة في أقصى أفريقية بين مجانه وقسنطينة الهواد، (ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٥) .

كثيفة من جند الخليفة القائم بأمر الله، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة جند القائم وتراجعها ، فزحف أبو يزيد إلى باغاية ولكنه لم يستطع الظفر بها ، فتوجه إلى مجانه^(١) وهدم سورها واستولى عليها^(٢).

واصل أبو يزيد زحفه فاستولى على تونس وأمن أهلها وولى عليها أحد أتباعه ، ثم مضى تجاه القيروان ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها حيث التقت جيوشه بجيوش القائم بأمر الله وتمكن قائد جيوش الفاطميين بشرى الفتى من هزيمة أبي يزيد وأنصاره وقتل عدداً كبيراً منهم^(٣).

غضب أبو يزيد من الهزيمة وصمم على الانتقام ، فقام على رأس جيش كثيف من أنصاره وأتباعه من البربر واستولى على رقادة سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ثم قدم أبو يزيد إلى القيروان ، فخرج شيوخ القيروان ، فأمنهم ورفع عنهم النهب وأظهر الخير لأهلها^(٤) «ودعا الناس إلى جهاد الشيعة، وأمرهم بقراءة مذهب مالك، فخرج الفقهاء والعلماء فى الأسواق بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه ... ، فلما اجتمع الناس وحضر الإمام وطلع على المنبر ، خطب خطبة أبلغ فيها، وحرص الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب، ثم لعن عبيد الله وابنه ثم خرج معه الناس لقتال الشيعة»^(٥).

كان على الخليفة القائم أن يوقف هذه الثورة التى اجتاحت البلاد وأخذت تهدد أمنها وسلامتها فقام بإعداد جيش كثيف يقوده ميسور الفتى فقدمت جيوش ميسور لمحاربة أبي يزيد واشتبك الفريقان فى معركة أسفرت عن هزيمة ميسور وقتله^(٦).

١- مجانه مدينة فى أفريقية بينها وبين القيروان خمس مراحل (ياقوت معجم البلدان ج٥ ص ٥٦) .

٢- ابن خلدون العبر ج٤ ص ٨٥ .

٣- ابن خلدون العبر ج٤ ص ٨٦ .

٤- سالم المغرب الكبير ، العصر الإسلامى ص ٦٢٩ .

٥- ابن عذارى ، البيان المغرب ج١ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

٦- ابن عذارى ، المرجع السابق ج١ ص ٣١٠ ، ابن خلدون ، العبر ج٢ ص ٨٦ .

وبهزيمة ميسور أصبح أبو يزيد متغلبا على معظم مدن أفريقية فزحف بجيوشه إلى مدينة المهديّة حاضرة الفاطميين وحاصرها ، فاستنجد الخليفة القائم بأمر الله بالقائد زيري بن مناد الصنهاجى زعيم قبيلة صنهاجة الموالية للفاطميين (١).

وفى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م حاصر أبو يزيد مدينة المهديّة ولكنها استعصت عليه لمناعتها وانهمز هو وجيشه أمام أسوار المهديّة وبانضمام زيري بن مناد الصنهاجى وقبيلة صنهاجة إلى جانب الفاطميين رجحت كفتهم وبدأت الهزائم تتوالى على أبى يزيد (٢).

كما قام على بن حمدون الأندلسى الموالى للفاطميين بشن الإغارات على المدن التى وقعت فى يد أبى يزيد فاستولى على باغاية (٣). وفى هذه الأثناء توفى الخليفة القائم بأمر الله، وخلفه ابنه أبو الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور ، فكتّم موت أبيه حتى لا يؤثر هذا فى خطته فى القضاء على هذه الثورة وقام المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ / ٩٤٥-٩٥٢م) بمناهضة أبى يزيد فاستولى على القيروان ، وأمن أهلها وظل الطرفان يتبادلان النصر والهزيمة حتى استطاع الخليفة المنصور أن يهزم أبى يزيد وجنوده ، وفر أبو يزيد مشحنا بالجراح ، وتوفى سجيناً بعد ثلاثة أشهر من هزمته (٤).

هذا وقد اهتم بإنشاء مدينة جديدة تكون عاصمة للبلاد الداخلية فعمل على زيادة عدد قطع الأسطول الفاطمى وإصلاح التحالف منها (٥).

١- يذكر الدكتور العبادى أن انضمام زيري بن مناد الصنهاجى قائد قبيلة صنهاجة إلى الفاطميين لمحاربة أبى يزيد لم يكن فى الواقع صراعا بين الشيعة والخوارج بقدر ما كان صراعا بين البربر البتر من زناتة الموالية لأبى يزيد وبين البربر البرانس وعلى رأسهم زيري بن مناد الصنهاجى وقبيلة صنهاجة حيث كان العداء بينهم قديما . (مختار العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

٢- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٢٨ .

٣- ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ٨٩ .

٤- ابن أبى دینار المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ص ٥٩ ، ٦١ ، ابن الأثير ، الكامل ج ٨ ص ١٥٠ ، ١٥٨ سيرة الأستاذ جوذر ص ١٥٨ ، حاشية ٣٦ المقرئى ، اتعاظ الحنفا ص ١٠٩ ، ١٢٥ ، ابن خلدون ، العبر ج ٤ ص ٩٢ ، ٩٣ ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ٣١٢ .

٥- المقرئى ، اتعاظ الحنفا ص ١٢٦ .

كما اهتم المنصور بإنشاء مدينة جديدة تكون عاصمة للبلاد بدلا من المهديّة. فاختطها في مكان يقرب من مدينة القيروان سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م، وعمر أسواقها واستوطنها ثم صارت منزلا للملوك الذين لهم ... ولم تزل منزلا للملوك إفريقية من بنى باديس حتي خربتها العرب لما دخلت إفريقية وخربت بلادها وذلك سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م.

توفي الخليفة المنصور الفاطمي ٣٤١هـ / ٩٥٢م ودفن بالمهديّة^(١) وخلفه ابنه المعز لدين الله ٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م وكان ذا ولع بالعلوم ودراسة الأدب^(٢)، ودانت له قبائل البربر كلها بالطاعة^(٣).

وقد اهتم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بإنشاء السفن وتجديد القواعد البحرية وزيادة عدد قطع الأسطول، وقد رأى أن قاعدة المهديّة ودار الصناعة بها لا تستطيعان مواجهة مطالب الأسطول الفاطمي، فعول على تجديد قاعدة مدينة سوسة المنيعّة^(٤)، كما أنشئت في عهده دار أخرى لصناعة السفن والمراكب الحربية في مدينة مرسى الخرز^(٥).

١- سيرة الأستاذ جوزر ص ٧٦، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ١٤٧.

٢- المقرئ، اتعاظ ص ٦١، ٦٥ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ١٤٧.

Ayman Fu'ad Sayyid : Lumieres Nouvelles sur Quelques Sources De L'Histoire Fatimide in Egypte, Annales Islamiques, T. XIII, 1977, p. 3.

كما كتب ابن زولاقي تاريخا للمعز وابنه العزيز Ibid , p. 4

٣- عن امتداد نفوذ المعز على بلاد المغرب انظر فصل العلاقات السياسية.

٤- سيرة الأستاذ جوزر ص ٩٧، ٩٨ ويوجد في هذا الكتاب المراسلات المتبادلة بين المعز وجوزر بشأن تدبير حاجيات الأسطول وزيادة عدد قطعة وإنشاء دور جديدة لصناعة السفن (القاضي النعمان، المجالس والمسايرات (مخطوط) ج ٢ ص ٥٩٠-٥٩٢)، اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن ١٨٩١ ص ٣٤٨، البكري ص ٣٤، العبادي (أحمد مختار) تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ٧٢، صابر دياب سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٠١.

٥- البكري، المغرب ص ٥٥.

امتداد النفوذ الفاطمي إلى مصر :

ما أن استقر الفاطميون في بلاد المغرب الأوسط وأفريقية حتى بدأوا يتطلعون إلى مد نفوذهم إلى مناطق جديدة من العالم الإسلامي، فقاموا بإرسال الحملات إلى المغرب الأقصى واستطاعوا إخضاع معظم أجزائه وضمها إلى دولتهم^(١) ، فأصبحت بذلك تشمل المنطقة الممتدة من حدود برقة شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا^(٢).

ولم يقتنع الفاطميون بما أحرزوه من نصر بسيطرته على بلاد المغرب الأوسط والأقصى، فبدأوا يتجهون بأبصارهم ناحية المشرق الإسلامي وبدأوا في تحقيق هذا الهدف بمحاولة الاستيلاء على مصر لإدراكهم أن هذه البلاد عظيمة الأهمية من النواحي السياسية والحربية والاقتصادية والدينية فالاستيلاء على مصر يعنى السيطرة على القطرين التابعين لها وهما الشام والحجاز، وبالسيطرة على الحجاز يكتسب الفاطميون مركزا دينيا في العالم الإسلامي كله .

يضاف إلى ذلك أن فتح الفاطميين لمصر ومن ثم الشام ييسر لهم الزحف على مقر الخلافة العباسية في بغداد ، ويسهل مهمة القضاء على العباسيين.

بالإضافة إلى ذلك رأى الفاطميون أن مصر أكثر صلاحية لأن تكون مركزا للخلافة الفاطمية وذلك لأهمية موقعها الجغرافي وقربها من المراكز الإسلامية القديمة في كل من المدينة ودمشق وبغداد^(٣).

ومن الأسباب الهامة أيضا والتي جعلت الفاطميين يعجلون بانتقالهم إلى مصر ما رأوه من معارضة عنيفة من المغاربة الزناتية ومن الأمويين في الأندلس^(٤) ، ومن الفقهاء المالكية في المغرب الإسلامي كله^(٥).

١- عن مد نفوذ الفاطميين إلى بلاد المغرب الأقصى ، انظر فضل العلاقات السياسية .

٢- C. H. A. : Julien , History of North Africa p. 53-54 .

٣- حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ص ١١٢-١١٧ .

٤- انظر فصل العلاقات السياسية .

٥- انظر فصل العلاقات السياسية .

أضف إلى ذلك ما أدركه الفاطميون من أن موارد المغرب الشحيحة نسبياً لا تكفى لسد حاجات الدولة الناشئة ، فأروا أن غنى مصر وتنوع ثرواتها سيدعم اقتصاد دولتهم ويوفر لها الأموال اللازمة للقيام بما تحتاجه من مشروعات مدنية وحربية .

لكل ما سبق أعد الخلفاء الفاطميون الخطط للاستيلاء على مصر منذ ظهوروا في المغرب بل منذ عهد أول خلفائهم عبيد الله المهدي ٢٩٧-٣٢٢ هـ (٩٠٥-٩٢٣ م) وتابع الخلفاء من بعده محاولتهم لتحقيق هذا الهدف^(١) إلى أن نجح المعز لدين الله الفاطمي ٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م في فتحها عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ وانتقل إليها في عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر مركز الخلافة الفاطمية^(٢).

وقد ساعد على نجاح هذا الفتح، ضعف الخلافة العباسية وانشغالها بدفع البيزنطيين عن أراضيها في الشام واضطراب الأحوال السياسية في مصر بعد موت كافور الإخشيدي بها، يضاف إلى ذلك الدور الذي قام به الدعاة الفاطميون في مصر . فقد استطاع هؤلاء الدعاة التأثير على بعض المصريين ونجحوا في ضمهم إلى صفوفهم واتخذوا منهم هناك الأعوان والأنصار.

وقبل أن يرحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر أراد أن يبقى على النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب^(٣). فاستخلف عليها أبا الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي^(٤)، وسمى بلكين يوسف، وكنى أبو الفتوح، ولقبه سيف العزيز بالله^(٥).

١- قام الفاطميون بعدة حملات على مصر أهمها الحملات التي قامت سنة ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ هـ عن تفصيل ذلك انظر (الخلل السندسية لابن السراج ج ١ ص ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، أبو الفدا، المختصر ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٩ ، ابن الأبار، الحلة السيرة ج ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، مؤلف مجهول ، العيون والحقائق ص ٢٥١ ، ص ٢٥٦ ، ٢٨٦) .

٢- عن فتح مصر في عهد المعز انظر (الذهبي العبر في خبر من غير ص ٣٢٦ ، المختصر لأبي الفدا ج ٢ ص ١٠٩ ، ابن عذاري ، البيان ج ١ ص ٢٢١ ، شرح في الأخبار المعز مخطوط بجامعة القاهرة لمؤلف مجهول ص ٤ ، ٣ ، ٧٣ ، نهاية الأرب ص ٣٨ للتويزي ص ٤٠ ، ٤٣ مخطوط) .

٣- مختار العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص ٢٠٩ .

٤- أحمد بن أبي الضياف ، تحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج ١ ص ١٢٨ تونس سنة ١٩٦٣ ، المقرئ ، اتعاظ الخلفاء ص ١٤٣ ، ج ١ .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام قسم ٣ ص ٦٥ .

المغرب فى ظل بنى زيرى :

عهد المعز لدين الله الفاطمى إلى نائبه أبى الفتوح يوسف بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى بغزو بلاد المغرب الأقصى للقضاء على النفوذ الأموى هناك، فسار بلكين إلى تاهرت فاستولى عليها ثم مضى إلى تلمسان فدخلها واستولى عليها أيضا ^(١).

توفى بلكين فى سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٤م وخلفه ابنه المنصور بن بلكين (٣٧٤-٣٨٧هـ / ٩٨٥-٩٩٧م) وكان واليا على أشير ^(٢) فخلفه على الإمارة فى أفريقية والمغرب الأوسط، هذا وقد عقد أبو المنصور بن بلكين لعمه أبى البهاء على تاهرت ولأخيه يطوفت على أشير .

وفى ٣٧٩هـ / ٩٩٠م ثار عمه أبو البهاء بن زيرى فى تاهرت فزحف إليه المنصور ففر أبو البهاء هاربا إلى المغرب ، حيث دخل فى طاعة المنصور بن أبى عامر ^(٣) واستولى المنصور على تاهرت وولى عليها أخاه يطوفت .

وفى سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م توفى المنصور وخلفه ابنه باديس (٣٨٧-٤٠٦هـ / ٩٩٧-١٠١٥م) على إمارة أفريقية والمغرب الأوسط وكان عند وفاة والده صغيرا لا يتجاوز عمره اثنى عشر عاما .

وفى عهد باديس بدأت الانقسامات والخلافات تظهر بين بنى زيرى، فقد بدأ عمه حماد والى مدينة أشير يعمل على الانفصال عن ابن أخيه فأسس فى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م مدينة القلعة ونزل بها وجعلها مقرا له ^(٤) ، وأعلن استقلاله لهذه الولاية .

فسير باديس عمه ابراهيم إلى عمه حماد فما كاد ابراهيم يصل إلى القلعة حتى انضم إلى أخيه حماد وخلع الاثنان طاعتهم لباديس ^(٥) وأعلن حماد نيذره لطاعة الفاطميين ، ودعا للخلفاء العباسيين سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م.

١- عن غزو بلكين بن يوسف بن مناد الصنهاجى بلاد المغرب الأقصى انظر فصل العلاقات السياسية.

٢- « مدينة فى جبال البربر بالمغرب فى طرفى أفريقية الغرب مقابل بجاية » ياقوت معجم البلدان ج١ ص ٢٠٢ .

٣- ابن عذارى ، البيان ج١ ص ٣٤٩ ، ابن خلدون ، المعبر ج٦ ص ٣٢١ .

٤- ابن خلدون ، المعبر ج٦ ص ٣٢٣ .

٥- ابن عذارى ، البيان ج١ ص ٣٧٧ ، ابن خلدون ، المعبر ج٦ ص ٣٢٣ .

وفى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م توفى باديس وخلفه ابنه المعز (٤٠٦-٤٥٣ هـ / ١٠١٥-١٠٦١ م) .

استغل حماد فرصة وفاة باديس ، فدخل المسيلة واستولى على أشير وباغاية وبلغ ذلك المعز فحاربه المعز وزحف فى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م فهزم حماد وفر إلى القلعة ^(١) ، ولكنه آثر الصلح مع المعز فاشتراط عليه المعز أن يبعث ولده إليه ، فوافق حماد وتم الصلح بينهما ^(٢) ، ويمقتضى هذا الصلح استقل حماد بالمسيلة وطبنة وأشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب ^(٣) . وبذلك انقسمت دولة بنى زبرى الصنهاجية إلى دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القبروان ، ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة ^(٤) .

وفى عهد المعز بن باديس انفصلت بلاد المغرب عن الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، منذ سنة ٤٣٣ هـ وبدأت العلاقات تسوء بين المعز بن باديس والخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧ هـ / ١٠٣٦-١٠٩٤ م) وبدأ المعز بن باديس يظهر ميلا إلى أهل السنة وبدأ فى مضايقة الشيعة والتضييق عليهم متوددا بذلك إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧ هـ / ١٠٣١-١٠٧٥ م) .

وعلى الرغم من سوء العلاقات بين مصر وبلاد المغرب فإن الخليفة المستنصر بالله كان لا يرغب فى أن تتم القطيعة بينهما خاصة وأنه كان مشغولا بالأحداث الجارية فى بلاد الشام ^(٥) .

لكن حدث فى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م أن قطع المعز بن باديس الدعاء للفاطميين على منابر المغرب كما أمر بسك عملات جديدة من الدنانير والدراهم الفضية وإلغاء العملات التى تحمل أسماء بنى عبيد الله ^(٦) .

١- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣ ص ٢٥ ، ٧٦ .

٢- سالم (عبد العزيز) نفس المرجع ص ٦٥١ .

٣- ابن خلدون ، العبر ج٦ ص ٣٢٤ .

٤- ابن خلدون ، العبر ج٦ ص ٣٢٤ ، سالم ، المغرب ص ٦٥١ .

٥- ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ١٣٠ ، جمال سرور النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ص ٥٦ ، ٥٧ ، ج١ ١٩٥٩ .

٦- ابن عذارى ، البيان ج١ ص ٤٠٢ ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٥٣ .

وكان لإلغاء العملة الفاطمية آثار اقتصادية هامة على بلاد المغرب^(١)، «فغلت الأسعار بالقيروان وضائق الحالة بالفقراء، واشتد الحال بالتجار»^(٢).

غزوات العرب الهلالية :

لما نجح الفاطميون فى هزيمة القرامطة فى عهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) نقل العزيز من كان بينهم من عرب بنى سليم وبنى هلال إلى صعيد مصر، وظلوا يقيمون هناك طوال العصر الفاطمى^(٣)، وكانت هذه القبائل فى عصر المستنصر بالله فى حرب مستمرة فيما بينها، «وقد عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم»^(٤).

وعندما ساءت العلاقات بين الفاطميين فى مصر وبين الإمارات التابعة لهم فى تونس وأوا أن يدفعوا عرب بنى هلال لغزو هذه البلاد فيتخلصوا من عبثهم وفسادهم فى مصر، وقد يتخلصون أيضا من أمراء أفريقية الخارجين عن طاعتهم وفى سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ظهرت طلائع قبائل البدو فى أفريقية بعد أن مرت ببرقة وطرابلس^(٥).

أقام بنو سليم ببرقة، وسارت قبائل دياب وعون وزعناب وجموع بطون بنى هلال إلى أفريقية ودمرت فى طريقها كل شىء.

ودخل العرب القيروان واستباحوا المدينة وخرّبوا أبنيتها وقضوا على حضارتها وعاثوا فى البلاد فسادا ينهبون ويقتلون^(٦)، فعظم الأمر على المعز وعزم على المبادرة بمحاربتهم قبل أن

١- عفيفى محمود ابراهيم، أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية ص ٢٤٣ رسالة غير مطبوعة.

٢- ابن عذارى، البيان ج ١ ص ٢٥٠.

٣- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٦٩.

٤- ابن خلدون، العبر ج ٦ ص ٣٠.

٥- المقرئى، اتعاظ الخنفا ص ٢٢٣ ج ١ ١٩٤٨ م، حسن أحمد محمود الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية ج ١ ص ١٦١.

٦- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٦٩، ٦٧٠.

يستفحل خطرهم فخرج على رأس جيش من بربر صنهاجة وزناتة^(١) وعدد من العرب واشتبك مع عرب بنى هلال فى ذى الحجة سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ولكنه هزم هزيمة ساحقة بعد أن تخلى عنه جنوده من العرب، إذ انضموا إلى عرب بنى هلال، أما زناتة وصنهاجة فقد فروا أمام هزيمة العرب الهلالية لهم، وانقض العرب الهلالية على مخيمات المعز فانتهبوها^(٢).

وفى سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م دخل العرب الهلاليين القيروان «فاستباحوها وخربوا عمرانها ومبانيها ... فتفرق الناس فى الأقطار»^(٣).

ثم أخذوا يزحفون غربا يهددون مدن البلاد كما هددوا مدن أفريقية^(٤) وقضوا على مظاهر الاستقرار بإفريقية، وفجع العلماء فى أمنهم واستقرارهم فخرجوا يبحثون عن ملاذ لهم من هذه الفتنة^(٥).

ونتيجة لغارات بنى هلال نزح العلماء إلى المغرب الأقصى، وقد استقرت أمور المغرب الأقصى فى ذلك الوقت، فأصبح الملاذ الأخير للحركة العلمية فى شمال أفريقية وانتقل مركز الثقافة الإسلامية إلى مدينة فاس بعد أفول نجم القيروان^(٦).

وعلى الرغم مما ارتكبه العرب الهلاليون من مساوئ فقد كان لهم دور كبير فى نشر اللغة العربية فى المغرب وتخفيف حدة اللهجات المحلية فى القرى البربرية التى لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية^(٧).

١- ابن عذارى، البيان ج١ ص ٤٢٠.

٢- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٦٩.

٣- ابن خلدون، العبر ج٦ ص ٣٤.

٤- حسن أحمد محمود، الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص ١٦٢.

٥- حسن أحمد محمود، المرجع السابق ص ١٦٢.

٦- نفس المرجع السابق ص ١٦٣.

٧- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٧٣.

انقسمت بلاد المغرب إلى دويلات على نحو ما حدث في الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م، فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة من قابس إلى المغرب، أما بنو زيري فقد استقروا في مدينة المهدية وظل بنو حماد في بجاية أما حمود بن مليل البرغواطي فقد استقر في مدينة سفاقس^(١)، وهكذا مرت بلاد الأندلس والمغرب في القرنين الرابع والخامس للهجرة بظروف متشابهة .

١- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٦٧٣ .

الفصل الثانى

العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب فى عصر الخلافة

محاولات الفاطميين نشر مذهبهم فى الأندلس - فتح أبواب المهديّة والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيين - تشجيع الفوار فى الأندلس ومساندتهم - الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى - التوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى - العلاقات فى عهد المعز لدين الله - رد الفعل الأموى ضد مطامع الفاطميين فى بلاد المغرب والأندلس - مقاومة المالكية للفاطميين فى بلاد المغرب - استقبال الأندلس للاجئين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين - تأييد الثائرين على الفاطميين فى بلاد المغرب - الصراع البحرى - الحكم المستنصر - سياسة المنصور بن أبى عامر تجاه المغرب - المهاجرون من القطرين وأثرهما فى الأحداث السياسية

محاولات الفاطميين نشر مذهبهم فى الأندلس :

بعد أن عرضنا للوضع الداخلى فى القوتين المتناظرتين الأندلس والمغرب سنستعرض للعلاقات بينهما مبتدئين بالعلاقات السياسية .

كان الخلاف المذهبى بين الخلافتين الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب والخلافة الأموية السنية فى الأندلس سببا فى أن حاول كل من الطرفين إرسال دعاة ورجاله للتعرف على مواطن الضعف كل فى بلد الآخر .

عهد الفاطميين بالتجسس لحسابهم فى الأندلس ، إلى أحد دعاةهم وهو جعفر محمد بن هارون البغدادى ^(٢) ، فدخل الأندلس متخفيا تحت ستار العلم ، وسمع منه بعض تلاميذه

١- محمود على مكى «التشيع فى الأندلس» مقال فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٤ ص ١١٢ . ابن حوقل صورة الأرض ص ١٠٤ .

٢- ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم ٢٠١ ص ٢١ .

أمثال أحمد بن عبدالله القرشي التجيبي وغيره أمثال محمد بن عمر بن عبد العزيز^(١)، وتردد هذا الداعى بين بلدان الأندلس أعواما ، ويؤكد ابن الفرضى^(٢) أنه دخل الأندلس متجسسا .

كما عهد الفاطميون أيضا إلى أحد دعائهم وهو ابن مسرة القرطبي المتوفى ٣١٩هـ / ٩٣١م^(٣) أن ينشئ تنظيمًا سريًا للشيعة في الأندلس، فيذكر ابن الفرضى في حديثه عن ابن مسرة القرطبي أنه دخل الأندلس بعد أن خرج فارا من المشرق ، بعد أن اتهم بالزندقة «فاشتغل بملاقة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ثم انصرف إلى الأندلس فأظهر نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره فاختلقوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر للناس على سوء مقصده وقبح مذهبه... وكان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتقويه الألفاظ وإخفاء المعانى»^(٤).

استعان الفاطميون أيضا بالرحالة ابن حوقل^(٥) النصيبى (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) فدخل الأندلس متخفيا في زى التجار^(٦) ويسميه ياقوت بالتاجر الموصلى^(٧).

فقام ابن حوقل بتسجيل كل ما رآه في الأندلس وأبدى ملاحظاته عن الوضع السياسى والاقتصادى والحربى في الأندلس ، وعن مدى دخل الدولة ووفرة ثرواتها .

وبما يدل على أن ابن حوقل قد دخل الأندلس بقصد الدعاية للفاطميين أنه أولى اهتماما خاصا بمعرفة كل ما يتصل بهذه البلاد من الناحية العسكرية والاقتصادية ، وهى أمور تهتم الداعى، فقد ركز في أكثر من نظرة على الوضع العسكرى للأندلس .

١- المصدر السابق ص ٦١ .

٢- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص ٦١ .

٣- الحميدى، جذوة المقتبس ص ٥٨ ، ٥٩ ، ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ٣٩ ترجمة ١٢٠٤ ، ابن الأبار التكملة ص ٧٦٥ ، ٩٩١ .

احسان عباس تاريخ الأدب الأندلس (عصر سيادة قرطبة) ص ٣١ .

٤- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة ١٢٠٤ ص ٣٩ ، ص ٤٠ .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، المقرئ نفع الطيب ج ١ ص ٢١٢ .

٦- المقرئ ، نفع الطيب ج ١ ص ٢١١ .

٧- معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٤٨ .

من ذلك قوله «ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم عن الشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأتجاد والأبطال».

ثم يركز على هذه الناحية الحربية أيضا بقوله «وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها... إلى آخر ذلك».

أما عن الوضع الاقتصادي فهو يقول «وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها»^(١).

فهو هنا لا يصف الأندلس بصفته جغرافي يهتم بالنواحي الاقتصادية والجغرافية للبلاد فحسب وإنما يخاطب الخليفة الفاطمي حيث يذكر له مدى وفرة ثرواتها وجباياتها وهو أمر يهتم به كل عدو طامع.

ثم يعود غير محصل ثقة من يستبطن جبايات البلد وحاصل عبد الرحمن بن محمد أن لديه مما اتجه له جمعه من الأموال إلى سنة أربعين وثلاثمائة مالم ينقص عن عشرين ألف ألف دينار إلا اليسير القليل، دون ما في خزائنه من المتاع والحلى المصوغ وآلة المراكب، وما يتجمل به الملوك من القنية المصوغة^(٢).

ويتضح من هذا النص مبالغة ابن حوقل في وصف أهل الأندلس بالبعد عن الشجاعة، إذ ليس من المعقول أن تصل أمة من الأمم إلى مثل هذا المستوى من التقدم والرقى الذي وصلت إليه الأندلس في ذلك الوقت يكون أهلها على مثل هذا المستوى من البعد عن الشجاعة^(٣).

بيد أن رأيه لم يظفر بالقبول من جانب الفاطميين ولهذا يمكن القول بأن نجاح الدعاية الفاطمية في الأندلس كان محدودا، فلم تنجح في نشر المذهب الشيعي هناك^(٤).

١- ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٠٥.

٢- ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٠٧.

٣- قام ابن سعيد بالرد على ابن حوقل واتهمه بالتعصب، انظر (المقرئ نفع الطبيب، ج ١ ص ١٩٧، طبعة القاهرة).

٤- Levi Provencal, Histoire de l'Espagne Musulmen T.2, p. 90.

إلا أن التنظيم السرى الفاطمى كان ضعيفا ، ولم يستطع الدعاة أن يجندوا لذلك عددا كبيرا من الناس، وجرت العادة أن يستقل الدعاة سخط الناس وتردى الأوضاع الاقتصادية لتأليبهم على ولايتهم وإثارة نعمتهم فضلا عن تمكن مذهب مالك من نفوس القوم وعزوفهم عن المبادئ المتحرقة^(١).

فتح أبواب المهديّة والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيين :

لم تقتصر جهود الفاطميين على بث الدعاة والعين لنشر مذهبهم الشيعى داخل الأندلس، فقد فتحوا أبواب القيروان والمهديّة فى تونس أمام اللاجئين من الأندلس ، أمثال الشاعر الألبيرى ابن هانى^(٢) الأزدى بعد طرده من الأندلس بسبب ميله الاسماعيلية^(٣) ، وقد التحق ابن هانى، بخدمة الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٣٤١هـ / ٩٥٢م) وصحبه إلى مصر ثم عاد إلى بلاد المغرب، لكنه توفى بها سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٤م.

ويعتبر شعر ابن هانى، فى مدح الخليفة المعز وثيقة هامة، إذ تضمنت الكثير من المبادئ الاسماعيلية^(٤).

ونجح الفاطميون أيضا فى ضم القائد على بن حمدون الجذامى المعروف بابن الأندلس^(٥)، واتصل بالمهدى ثم بابنه القائم (٣٢٢هـ / ٣٣٤هـ / ٩٣٣-٩٤٥م) وقد عهد إليه القائم ببناء

١- محمود مكى ، الشيع فى الأندلس ، ص ١١٥ .

٢- «عاش محمد بن هانى، الأشبلى (يكنى أبا القاسم وأبا محمد ، توفى ٦٣٢هـ / ١٧٢م) حياة استهتار وكان متهما ببدأ الفلاسفة ، ولما اشتهر عنه ذلك تقم عليه أهل أشبيلية وخرج إلى المغرب ولقى جوهر مولى المنصور الفاطمى فامتدحه ، ثم أرحل إلى جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون ، وكاتبا بالسيلية ، وهى مدينة الزاب، وكان واليها مبالغا فى اكرامه والاحسان إليه، ثم توجه المعز إلى الديار المصرية فشيعة ابن هانى ، ورجع إلى المغرب لأخذ عائلته واللاحاق به ولكنه لقى حتفه عند برقة على صورة غامضة » انقل (جنتال بالثيا) تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ص ٦٤ .

٣- الحميدى ، جذوة المقتبس ، فى ذكر ولاية الأندلس رقم ١٥٧ ص ٩٦ .

٤- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٢٢ ، ديوان ابن هانى ص ٧٢٢ .

٥- دخل جده الأكبر عبد الحميد إلى الأندلس من الشام، ونزل بكورة البيرة، ثم انتقل حفيده حمدون إلى =

مدينة المسيلة^(١) وهى التى سميت بعد ذلك بالحمدية ثم عقد له على ولاية الزاب^(٢) جنوب المغرب الأوسط.

تشجيع الثوار فى الأندلس ومساندتهم :

كما أخذ الفاطميون أيضا فى إثارة أهل الأندلس وتأييد الذين ثاروا فى وجه بنى أمية فأيدوا الشائر الأندلسى عمرو بن حفصون^(٣)، إذ أمده الخليفة عبيدالله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٢م) بالهدايا والذخيرة والأسلحة^(٤).

الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى

أخذ كل من الفاطميين والأمويين يتتبع فى اهتمام شديد الأحداث الجارية فى بلاد المغرب باحثين لهم عن أنصار من قبائل البربر للاستعانة بها فى بسط سيادتهم على المغرب الأقصى خاصة لأهمية هذا الإقليم لكل منهم من الناحيتين السياسية والعسكرية، إذ تعتبر هذه البلاد عمقا هجوميا هاما لكل من الطرفين ، وربما كان الأمويون أكثر اهتماما بهذا الأمر لوقف الزحف الفاطمى المتجه غربا خصوصا حين لاحت نذر الخطر الفاطمى بمحاولتهم الدعوة لمذهبهم

= بجاية فى الجزائر . وهناك انضم هو وولده على إلى حركة ابى عبدالله الشيعى الداعى ودخلا فى مذهبه. لما تغلب الشيعى على المغرب ظهر على بن حمدون ثم ازداد ظهوره أيام المهدي، وابنه القائم انظر (ابن عذارى البيان ج٢ ص ٢٤٢، ص ٢٤٣، ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٤٢، عنان، دولة الإسلام فى الأندلس ج٢ ص ٤٤٩، ص ٤٥٠، الزركلى، خير الدين، فهرس الأعلام ج٢ ص ١١٩، الحلة السيرا، لابن الأبار ج١ ص ٣٠٥، ج٢ ص ٥٠).

Levi Provencal, Hist. T. IV, pp. 388-389.

١- «مدينة بالمغرب، تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد اب المهدي فى سنة ٣١٥هـ، وهو يومئذ ولى عهد أبيه (ياقوت معجم البلدان ج٥ ص ١٣٠).

٢- الزاب «كورة عظيمة بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة بين تلمسان وسجلماسة (ياقوت، معجم البلدان ج٣ ص ١٢٤).

٣- ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص ٢٤٧.

المبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٣٥.

٤- ابن عذارى، البيان، ج٢ ص ٢٤٧.

فى الأندلس ، وظهر تصميمهم على القضاء على دولة الأدارسة، وقد نجح الخليفة عبد الرحمن الناصر فى استمالة قبيلة مغراوة وبنى يفرن الزناتيين، بينما اعتمد الفاطميون على قبائل صنهاجة وكتامة مستغلين العداء الشديد والصراع القبلى القديم بين قبائل صنهاجة البرنسية وزناتة^(١) البترية^(٢).

والصراع بين البرانس والبتر ظهر بصورة واضحة منذ عهد سعيد، فقد حالفت زناتة البترية الفاتحين من العرب^(٣) بينما حملت قبائل البرانس عبء المقاومة ضد الفتح العربى وأيدهم فى ذلك البيزنطيون^(٤) الذين كانوا يحكمون بلاد المغرب منذ بداية الفتح العربى .

وعندما تم إخضاع بلاد المغرب لسلطان الخلافة الأموية فى المشرق حالفت قبائل البتر من زناتة بنى أمية^(٥)، بينما تعصب الصنهاجيون للشيعة الذين أيدوا إدريس بن عبد الله وشدوا من أزره^(٦). فلاتعجب إذا كانت قبيلة صنهاجة وكتامة البرنسيين قد انضمتا إلى الفاطميين وكانتا من أشد الناس إخلاصا لهم، فقد قامت الخلافة الفاطمية على أكتافهم ، فى حين اتجهت زناتة البترية إلى محالفة الأمويين فى الأندلس^(٧).

١- يعتقد المؤرخ ابن خلدون أن البرانس والبتر «من ولد مازيغ بن كنعان الذى يرجع نسبه إلى حام بن نوح (ابن خلدون ، العبر ج٦ ص ٨٩) .

٢- تعرض الدكتور حسن أحمد محمود فى كتابه قيام دولة المرابطين إلى وجود خلاف عميق الجذور بين طائفتى البتر والبرانس جعل كل طائفة منهما تقف للأخرى بالمصاد منتظرة فرصة للانتقام ، وهو لذلك لا يستبعد أن يكون «القسمان يمثلان موجتين بشريتين مختلفتين واحدة تمثل أهل البلاد بلادهم ، خصوصا إذا لاحظنا أن أغلب المؤرخين يقولون أن صنهاجة والبرنسية ، تنسب إلى حمير» (حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين ص ٣١ ، ص ٣٢) .

٣- عبيد الله بن صالح ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفى بروفنسال ، تعليق د. حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ١٩٥٤ ، ص ٢١٩ ، المالكي ، رياض النفوس ص ٢٠ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ج١ ص ٢١ ، عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ص ١٣٩ .

٤- كان على رأس المناهضين للفتح العربى الشاعر البهرى كسيلة (الدباغ معالم الإيمان ج١ ص ٤٢ ، المالكي ، رياض النفوس ، ص ٢٠ سالم المغرب الكبير ص ١٤٠ .

٥- مجهول ، مفاخر البهر ص ٤ .

٦- الجزائى ، زهرة الآسى ص ١٢ .

٧- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ص ٣٢ .

وسوف نحاول فيما يلي أن نتعرض فى شيء من التفصيل لمراحل ذلك الصراع بين الفاطميين والأمويين مبينين أثره على العلاقات بين المغرب والأندلس، وسوف نبدأ بمحاولات الفاطميين غزو بلاد المغرب الأقصى تمهيدا لبسط نفوذهم على الأندلس، ثم محاولات بنى أمية لرد هذا العدوان والتمكين لأنفسهم فى البلاد.

التوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى

ففى سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م قدم مصالة بن جبوس الكتامى، قائد عبید الله المهدي إلى مدينة فاس، وكان يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس يلى أمرها^(١) (٢٩٢-٣١٠هـ/ ٩٠٤-٩٢٢م)، فخرج يحيى ومعه جموع من بربر أوربة للتصدي لمصالة بن جبوس وجيشه، ولكنه هزم وحوصرت مدينة فاس واضطر يحيى إلى مصالحة مصالة على مال يؤديه له ومبايعة عبید الله المهدي^(٢).

عاد مصالة إلى أفريقية فى سنة ٣٠٧هـ (٩١٩م) بعد أن أقام موسى بن أبى العافية المكناسى أميرا على تسول وتازى، وترك يحيى أميرا على فاس^(٣)، وكانت بين يحيى وموسى عداوة، فلما عاد مصالة إلى المغرب الأقصى ثانية سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م، سعى ابن أبى العافية بيحيى بن إدريس عند مصالة، فقبض على يحيى وكبله بالأغلال واستصغى أمواله، ثم أبعد به إلى منطقة أصيلا^(٤)، وقبل عودة القائد مصالة بن جبوس إلى أفريقية ولى على فاس عاملا من قبله هو ربحان الكتامى^(٥).

١- ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٥٢، الجزائى، زهرة الآسى ص ٣٦، ابن خلدون، العبر ج ٤ ص ٣١.

٢- ابن أبى زرع، القرطاس ص ٥٢، ابن خلدون، العبر ج ٤ ص ٣٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٢١١.

٣- السلاوى، الاستقصاى أخبار المغرب الأقصى ج ١ ص ١٨٣، ابن خلدون، العبر، ج ٤ ص ٣٢، القلقشندي، صبح الأعشى ج ٥ ص ١٨٢.

٤- تقع مدينة أصيلة «كما يسميها ياقوت» فى بر العدة مما يلى الغرب ويقع البحر بفرها وجنوبها، وسوقها حافلة يوم الجمعة (ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢١٣).

٥- ابن خلدون، العبر، ج ٤ ص ١٣٤.

غير أن بيت الأدارسة لم يستسلم لما حل بهم ، فقد أعلن حسن بن كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام (٣١٠هـ - ٣١٣/ ٩٢٢-٩٢٩م) الثورة على الفاطميين واستعادة فاس من واليها ربحان الكتامي^(١) ، وبايعه أهلها ، وتصدى الحسن لقتال موسى بن أبي العافية أمير مكناسة^(٢) ، فهزمه أول الأمر ، ثم لم يلبث أن أحرز موسى بن أبي العافية النصر على الحسن الحجام الذي عاد منهزما إلى فاس^(٣) حيث غدر به عامله على عدوة القرويين حامد حمدان الهمداني^(٤) يقول ابن الخطيب ، والحسن هو الملقب بالحجام ... فملك المدينة ونفى عنها ربحان الكتامي واستقام أمره ونشأت بينهم وبين موسى بن أبي العافية الوحشة فأوقع الحسن الحجام وقبعة كبيرة ، وقفل إلى فاس منفردا عن جيشه ... عازما على العودة فغدر به عامله حامد بن حمدان ، فقيده ، وسد أبواب المدينة عن العسكر وبعث إلى موسى بن أبي العافية يستحثه في المبادرة إلى فاس ، فأسرع نحوه وتغلب على المدينة^(٥) « ففر الحسن بن كنون إلى عدوة الأندلسيين حيث مات بها سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م ». أما حامد بن حمدان فقد عاد إلى المهديّة^(٦).

تمكن موسى بن أبي العافية من الاستيلاء على عدوة الأندلس وقتل عبدالله بن ثعلبة بن محارب وابنه محمدا ويوسف ، وانقرضت بذلك دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، وخضعت تلك البلاد إلى موسى بن أبي العافية الذي عمل على الانتقام من الأدارسة وأجلاهم إلى مدينة حجر النسر^(٧).

١- ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٤ ، البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٧ .

٢- مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم ، ومنها إلى فاس مرحلة واحدة (وياقوت ، معجم البلدان ج ٥ ص ١٨١) .

٣- ابن عذاري ، البيان ج ١ ص ٣٠٣ ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٤ .

٤- ابن خلدون ، العبر ج ٦ ، ص ١٣٤ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ج ١ ص ٣٠٣ .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٢١١ ، ص ٢١٢ .

٦- ابن عذاري ، البيان ، المغرب ج ١ ص ٢٠٣ ، البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون ، العبر ج ٣ ، ص ٣٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٢١١ .

٧- ابن أبي زرع ، الروض القرطاس ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن خلدون ، العبر ج ٦ ص ١٣٤ .

كانت محاولات الفاطميين المتكررة لبسط سلطانهم على المغرب سببا في أن جعلت الأمويين في الأندلس يشعرون بالخطر إزاء هذا الزحف الفاطمي، فلم يجد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) بدا من أن يؤيد الأمراء المغاربة الخارجين على الفاطميين فوجد في قبيلة زناتة البترية حليفا يقف في وجه الفاطميين. ولم تلبث زناتة البترية أن أقبلت على الدعوة الأموية وأيدت الخليفة عبد الرحمن الثالث فدخلت قبيلة مغراوة من يفرن (افرن) الزناتيين وعلى رأسهم محمد بن^(١) خزر أمير مغراوة في طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر.

وهنا أدرك الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي، خطورة السياسة التي ينتهجها الخليفة عبد الرحمن، فأمر قائده مصالة بن حبوس صاحب تاهرت^(٢) بمحاربة الزناتيين، سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م.

فخرج مصالة من تاهرت إلى قبائل زناتة الضاربة من وادي شلف حتى تلمسان^(٣)، حيث اصطدم بقوات ابن خزر في معركة انتهت بمقتل مصالة وانهزام جيشه في ٢٠ من شعبان ٣١٢هـ / ٩٢٤م^(٤) وتمكن ابن خزر من الاستيلاء على إقليم الزاب، وشعر موسى بن أبي العافية أمير مكناسة بحرج مركزه فنقض طاعة الفاطميين ودخل في طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر ودعا له على منابر بلاده^(٥) سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م. يقول ابن عذارى أنه «في هذه السنة كاتب موسى بن أبي العافية الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله صاحب الأندلس، ورغب في موالاته والدخول في طاعته، وأن يستميل له أهواء أهل العدو المجاورين له»^(٦).

١- هو محمد بن الخير من أمراء زناتة من بني يفرن واحد دعاة بني أمية في الشمال الافريقي أنظر (ابن عذارى، البيان ج٢ ص ٢٤٣).

٢- بفتح الهاء، وسكون الراء ... بينها وبين المسيلة ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد (ياقوت، معجم البلدان ج٢ ص ٧).

٣- تقع تلمسان «في المغرب الأوسط ومنها إلى وهران مرحلة» (ياقوت معجم البلدان ج٢ ص ٤٤).

٤- ابن عذارى، البيان ج١ ص ١٩٧.

٥- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٥٦، ابن عذارى، البيان المغرب ج٢ ص ٢٠٤.

٦- ابن عذارى، البيان المغرب، ج١ ص ١٩٩.

ولما بلغ الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي نبأ خروج موسى بن أبي العافية، سير إليه القائد حميد بن يعلى المكناسي، صاحب تاهرت في عشرة آلاف فارس، فتقدم حميد في سنة ٣٢١هـ (٩٣٣م) إلى المغرب ومعه حامد بن حمدان الهمداني، فلما علم مدين بن موسى وكان والده قد ولاه على عدوة القرويين بقدومهما إلى فاس، فر عنها حيث لحق بأبيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامد بن حمدان، ثم عاد إلى أفريقية^(١) مرة أخرى.

ظل حامد بن حمدان الهمداني يلى مدينة فاس من قبل الفاطميين إلى أن ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م وذلك عقب وفاة الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي، فقتل حامد بن حمدان، وعادت الدعوة في فاس باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٢).

لم يرض الخليفة الفاطمي القائم (أبو القاسم محمد بن عبدالله) (٣٢٢هـ - ٣٣٠هـ / ٩٣٣-٩٤١م) بهذا الوضع فأمر في سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م قائده ميسور الفتى بالسير إلى المغرب، وتقدم ميسور إلى فاس وحاصرها أياما واستنزل عاملها أحمد بن بكر، فقبض عليه وبعث به إلى المهديّة^(٣).

بيد أن أهل فاس لم يستسلموا للقائد الفاطمي وأعلنوا الخروج على طاعة ميسور، وقدموا عليهم حسن بن قاسم اللواتي، وبعد أن حاصره ميسور مدة احترم رغبة أهل فاس فأقر حسن بن قاسم اللواتي على ولايته^(٤) وقبل ميسور من أهل فاس دفع الأتاوة مع البيعة لأبي القاسم الفاطمي ليتفرغ لحرب ابن أبي العافية^(٥).

تتبع ميسور خصمه ابن أبي العافية ونشبت بين الطرفين معارك عدة أسفرت عن انتصار ميسور على موسى بن أبي العافية وإجلائه عن الأعمال التي بيده في المغرب^(٦).

١- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ابن خلدون، العبر ج١ ص ١٣٥.

٢- ابن خلدون، العبر ج١ ص ١٣٥، ابن زرع، روض القرطاس، ص ٥٥، ص ٥٦.

٣- السلاوي، الاستقصا ج١ ص ٨٢، ابن خلدون، العبر ج١ ص ١٣٥.

٤- القلقشندي، صبح الأعشى ج٥ ص ١٨٤.

٥- البكري، المغرب ص ١٢٨، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج٢ قسم ٣ ص ٢١٦.

٦- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٥٦، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٢١٦، ابن عذاري، البيان ج٢، ص ٢٠٩.

غير أن الأمور لم تنته عند هذا الحد من التحدى بين الطرفين الفاطميين وحلفائهم من قبل صنهاجة وكتامة البرنسية من ناحية والأمويين وحلفائهم من زناتة ومغراوة وبنى افرن البتوية من ناحية أخرى .

فقد عاد ميسور إلى بلاد المغرب سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م وعاد أيضا موسى بن أبى العافية إلى أعماله فى بلاد المغرب، ثم اتبع ذلك بالاستيلاء على تلمسان بعد أن فر عنها واليها ابن أبى العيش^(١) وذلك بفضل مدد أرسله الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى موسى بن أبى العافية، واستفحل أمر ابن أبى العافية واتصل عمله بعمل محمد بن خرز ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط حيث بثوا دعوة الأمويين فى بلادهم^(٢).

أما فاس ، فقد عادت إلى حوزة الأمويين وظل حسن اللواتى عاملا عليها إلى أن قدم أحمد بن بكر الجزامى من المهديّة، فتخلّى له عن الولاية سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م^(٣) ثم ولى عليها محمد بن الخير المغراوى الذى ظل يليها من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم خلفه ابن عمه أحمد بن بكر بن عثمان بن سعيد الزناتى^(٤).

العلاقات فى عهد المعز لدين الله

وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١هـ / ٣٦٥هـ - ٩٥٢-٩٧٥م) تطورت العلاقات بين المغرب والأندلس تطورا كبيرا ، واتخذ العداء بين الخلافتين الفاطمية فى المغرب والأموية فى الأندلس - مظهرا قويا ، فقد قام الخليفة المعز بإعداد حملة كبيرة جعل قيادتها لجوهر الصقلى ، وقد تجمع لجوهر جيش ضخّم من بربر كتامة وصنهاجة للثأر من الثوار الذين نقضوا دعوة الشيعة، وانضموا إلى الأمويين فى الأندلس ، وإعادة النفوذ الفاطمى على بلاد المغرب بقول

١- هو الحسن بن عيسى بن أبى العيش أحد الأمراء الأدارسة .

٢- ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ص ١٣٦ .

٣- البكرى ، المغرب ص ١٢٨ ، السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ٨٢ .

٤- الجزنائى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ص ٣٦ « أحمد بن بكر بن عثمان بن سعيد الزناتى هو الذى بنى صومعة جامع القرويين فى فاس سنة ٣٤٤هـ (الجزنائى زهرة الآس ص ٣٦ ، السلاوى ، الاستقصا ص ١٩٧ .

السلوى «ولما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله معد بن اسماعيل العبيدي ، غلبة الناصر على بلاد العدو وأن جميع من بها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في دعوة بنى أمية ، عظم الأمر عليه ، وبعث قائده جوهر الصقل بن عبد الله الرومي المعروف بالكاتب في جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وأمره أن يطأ بلاد المغرب ، ويذلها ويستنزله من بها من الثوار ويشدد وطأته عليهم فخرج من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يؤم بلاد المغرب»^(١).

لنجح جوهر في تحقيق رغبة الخليفة فأخضع القبائل الضاربة في جبال أطلس حتى المحيط الأطلسي^(٢) والتقت جيوشه عند تاهرت بجيش ابن محمد اليفرنى صاحب طنجة ونائب الخليفة عبد الرحمن الناصر في حكم بلاد العدو^(٣) حيث نشبت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار جوهر وقواته من بربر كتامة وصنهاجة على عامل الأمويين الذي قتل ، وقد أدت هزيمة بنى يفرن وزناتة وقتل أميرهم ، إلى تفرقهم وتشتيت شملهم .

ثم تقدم جوهر لمحاصرة فاس ولما استعصت عليه تركها إلى سجلماسة ، والمعروف أن سجلماسة كان يليها محمد بن الفتاح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر بالله وهو الذي قطع الدعوة للفاطميين ودعا لنفسه وتسمى بأمر المؤمنين وتلقب بالشاكر بالله^(٤) واتخذ السكة باسمه^(٥).

وبعد استيلاء جوهر على سجلماسة^(٦) عاد إلى فاس وتمكن زيري بن عطية بن مناد

١- السلوى ، الاستقصا ، ج١ ص ٨٦ .

٢- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ج١ ص ٨٦ .

٣- السلوى ، الاستقصا ج١ ص ٧٦ .

٤- ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ص ٢٧٠ .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٤٨ .

٦- C/ O Miles G.C.: The Coinage of the the Umayyads of Spain pp. 49-50 .

٦- ابن عذارى ، البيان ج١ ص ٢٢٢ «ضرب المعز لدين الله عملة نقش عليها اسمه تخليداً لذكرى استيلاء الفاطميين على سجلماسة: المجالس والمسائرات مخطوط ج١ ورقة ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، سرور الدولة الفاطمية في مصر ص ٣١ ، ص ٣٢) .

الصنهاجى من افتتاحها بعد أن أحكم عليها الحصار سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م^(١). ونجح جوهر فى إخضاع القبائل الخاضعة لسلطان الأمويين فى المغرب الأقصى وبذا استرد الفاطميون جميع المدن الواقعة فى المغرب الأقصى مثل فاس وسجلماسة وغيرها حتى المحيط الأطلسى ، وذلك باستثناء القاعدتين الأمويتين سبتة وطنجة . فقد حرص الأمويون على التمسك بها نظرا لأهميتهما الاستراتيجية ضد أى هجوم محتمل عليهما من قبل الفاطميين، وظلت هاتان القاعدتان شوكة فى جنب الدولة الفاطمية ومصدرا للاضطرابات والفتن ضد سيادتها على المغرب الأقصى.

رد الفعل الأموى ضد مطامع الفاطميين فى بلاد المغرب والأندلس

تتبع الخليفة عبد الرحمن الناصر فى تيقظ وانتباه شديد المحاولات المتكررة من جانب الفاطميين لنشر دعوتهم فى الأندلس.

وبدأ الخليفة عبد الرحمن الفاطميين بنفس الطريقة التى اتبعها الفاطميون إزاء الأمويين فى الأندلس. فقام ببث العيون فى أنحاء المغرب وكان هؤلاء يوافون حكومته فى قرطبة بأخبار هذه البلاد.

ومن الدعاة الذين استخدمهم الأمويون فى الأندلس أيضا : رجل سكن مدينة المسيلة يدعى عثمان بن أمية^(٢)، يذكره جوزر كاتب الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بقوله : « أنه يكاتب بنى أمية ، وأنهم يرعون زمامة هناك ويقضون حوائجه ، وأنه يقدم فى الدولة ... فرفع الأستاذ جوزر ما اتصل به من ذلك لأمير المؤمنين صلوات الله عليه ... فلما وقف الخليفة الفاطمى المعز لدين الله على ذلك أرسل إلى جوزر « ما نصه :

« يا جوزر ، المتفضل علينا بما تفضل يكفيننا ما نحلده ظاهرا وباطنا ويجازينا بما يعلمه منا ويجازى كل امرئ بما يعتقد له لنا ، والذي يجعلنا نتزيد فى الصبر بصيرة علمنا بما عليه أكثر

١- ابن الأثير ج٦ ص ٣٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٥٧ .

٢- السلاوى ، الاستقصا ، ج١ ص ٨٢ ، حسن إبراهيم حسن عبيد الله المهدي ، ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ ، المعز لدين الله ص ٣٤ ، ٣٦ .

H. Terrasse Hist. du Maroc T.I pp. 135-208 .

٣- سيرة الأستاذ جوزر ص ١٢٣ حاشية رقم ٦٠ .

الناس من الكيد والحسد والبغض وإن جاريناهم خشينا من آثامهم ، لكننا لمجتهد فى صلاح من استطعنا صلاحه فإن تم لنا ما نريده كان لنا أجر ذلك وفخره ، وإن لم يتم كان ثم الهلاك على نفسه كما وصف الله عن وليه من بنى آدم « فعاقبة الصبر لنا محمودة بفضل الله وهذا الرجل الذى ذكرت يوصف لنا مثل ما بلغك ، ويقال إن له من جعفر أوكد حرمة وأن ابن رماحة لا يقف له فى حاجة ويعنى بأسبابه ورياعه وأملاكه العناية الوكيدة ، فاكتب أنت إلى جعفر كأنك تسأله عن أمره وخبره ، وإن ذلك من الوقعة فيه من غير أن تشرح له ما الذى بلغك ليذكر لك هو صورة أمره عنده فتستدل بقوله على ما عنده إن شاء الله »^(١).

كما كان للجاليات الأندلسية التى استوطنت بلاد المغرب ، الفضل الكبير فى تزويد الحكومة الأندلسية بمعلومات عن بلاد المغرب والفاطميين^(٢) بصفة خاصة- وكانت هذه الجاليات شديدة التمسك بالعقيدة السنية شديدة الكراهية للمذهب الشيعى^(٣).

ومن هؤلاء ، أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسى الماعزى^(٤)، صاحب المسجد الشريف الذى أسسه فى القيروان، وقد قتله المروزي قاضى الشيعة^(٥) ومحمد الشذونى وأبو على حسن بن مفرج الفقيه، فقد أمر الخليفة عبيدالله المهدي بالله بقتلهما بعد أن ثبتت ميولهما السنية^(٦).

١- سيرة الأستاذ جوزر ص ١٢٣ ، ص ١٢٤ حاشية رقم ٦٠ .

٢- Hassan Ibrahim The Relations Between... p. 72 .

٣- أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٨ ، سالم ، المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص ٦١ . كانت توجد جاليات أندلسية كبيرة انتشرت على طول الساحل الأفريقى مثل بونة وتنسى ووهران التى أسسها محمد بن أبى عون بن عبدوس وجماعة من الأندلسيين انظر (البكرى، المغرب ، ص ٥٥ ، ص ٦٥ ، ص ٨٢) .

٤- ابن عذارى، البيان ج ١ ص ١٦٩ .

٥- ابن عذارى، البيان ج ١ ص ١٦٩ .

٦- ابن عذارى، البيان ج ١ ص ١٨٧ .

مقاومة المالكية للفاطميين في بلاد المغرب

كما وقف الفقهاء الأندلسيون وقفة قوية أمام تيار المذهب الشيعي القادم من بلاد المغرب، وحاربوا تلك الدعوة وحملوا لواء المعارضة ضد الفاطميين في بلاد المغرب، ومن هؤلاء الفقيه القرطبي يحيى بن عمر (ت ٣٨٩هـ / ٩٠١) الذي استوطن القيروان وكان سنيا شديد الحملة على أهل البدع، كان هذا الفقيه دائم الفخر بأنه أموي الولاء والمنزعة^(١).

وليس أدل على تلك المقاومة السنية من جانب فقهاء المالكية للدعوة الشيعية في بلاد المغرب من ذلك النص الذي أورده المالكي في كتابه رياض النفوس تعقيبا على احتلال عبيد الله المهدي لأفريقية، إذ يقول أن فقيها مالكيا يدعى جبلة ترك رباطه بقصر الطوب، وأقام في مدينة القيروان، ف قيل له «أصلحك الله، كنت بقصر الطوب تحرس المسلحة وتربط، فتركك الرباط والحرس، ورجعت إلى هاهنا، فقال: «كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر فتركناه وأقبلنا نحرس الذي قد حل بساحتنا، لأنه أشد علينا من الروم»^(٢).

استقبال الأندلس للاجئين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين

وقد فتحت الأندلس بالمقابل أبوابها لأعداء الفاطميين في بلاد المغرب ومن هؤلاء اللاجئين ابن الخزاز المليلى الذي عمل قاضيا بمليلة، فلجأ إلى قرطبة سنة (٣٢٥هـ / ٩٣٦م) خوفا من الفاطميين، وقد توفي بمليلة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة^(٣)، كما لجأ إلى الأندلس أيضا حكم بن محمد القيرواني القرشي الذي سجنه عبيد الله المهدي بسبب مهاجمته للفاطميين.

يقول ابن الفرضي «ثم امتحن مع عبيد الله الشيعي بأن سجنه من أجل صلابته كانت في السنة وإنكار شديد على أهل البدع»^(٤). «توفي سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م»^(٥).

١- الحميدى، جذوة المقتبس، ترجمة ٩٠٠ ص ٣٧٧.

٢- محمود، على مكي، التشيع في الأندلس ص ١٢٢.

٣- أحمد مختار العبادى، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٨، المأخوذة من الجزء الثاني من كتاب رياض النفوس للمالكي، لم ينشر بعد «نقل هذا النص عن معجم دوزى باسم R. Dozy Supplementis dux Dictionnaires Arabes I. p. 269.

٤- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص ٦١.

٥- ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ص ١٢١.

٦- المصدر السابق ص ١١٧.

كما وفد على قرطبة أيضا أبناء سعيد بن صالح أمير نكور^(١) ، وقد لجأوا إلى الأندلس بعد أن دخلها ابن حبوس قائد الفاطميين وقتل أميرها سعيد بن صالح في ٣ من محرم ٣٠٥هـ / ٩١٧م^(٢) ، ويذكر ليفي بروفنسال أن احتفال عبد الرحمن الناصر ببنى صالح أمراء نكور يعتبر أول تدخل مباشر من جهة الأمويين في شئون المغرب^(٣). حيث قام الناصر بإرسال الهدايا والأخبية والآلات والطبول^(٤) لبنى صالح.

كما أخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر على عاتقه إثارة قواد الفاطميين أمثال حميد بن يصال، صاحب تاهرت الذي دخل في طاعة الخليفة الناصر وذهب إلى قرطبة فاستقبله الناصر أحسن استقبال^(٥) ، كما استقبل يعلى بن محمد الزناتى وبذلك صارت قرطبة في عهد الناصر مركزا للكيد والتآمر على الدولة الفاطمية^(٦).

١- نكور مدينة في ريف المغرب الأقصى في المنطقة المعروفة باسم Mazama اتخذها الصنهاجيون عاصمة لهم واستولى عليها مصالة بن حبوس القائد الفاطمي سنة ٣٠٨هـ (سرور الدولة الفاطمية في مصر ص ٢٦ ، صابر دياب، سياسة الدولة الإسلامية ص ١١١) عاشت نكور بعد ذلك مدة طويلة إلى أن افتتحها عاهل المرابطين يوسف بن تاشفين وخربها سنة ٥٤٨هـ . مدينة نكور وإن كانت قد اندرست ، إلا أنه لا يزال يوجد بعض أعمالها وموانبها مثل ثغر المزمة الذي حرقه الأسبان إلى Alhucemas (البكرى ، المغرب ص ٩٤ ، ص ٩٦ ، ابن عذاري، البيان ج ١ ص ١٧٦ ، ص ١٩٦ ، أحمد المكناس : المدن المتندسة في شمال المغرب ص ٤ . Levi Provençal, La politica , africana p. 362 .

٢- ابن عذاري ، البيان ج ١ ص ٢٥٢ .

٣- Levi Provençal- Histoire de l'Espagne TII p. 93 .

٤- ابن عذاري ، البيان ج ١ ص ٢٤٥ .

٥- ابن عذاري ، البيان ج ٢ ص ٣١٢ ط بيروت ١٩٥٠ .

٦- حسن إبراهيم حسن، عبيد الله المهدي، ص ٢٣٤، ص ٢٣٥ ، سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٢٨٨ ، صابر دياب ، سياسة الدول الإسلامية .

تأييد الثائرين على الفاطميين فى بلاد المغرب :

وعمل الخليفة عبد الرحمن الناصر أيضا على تشجيع الثورات والحركات المعادية للدولة الفاطمية وتأييدها ومن أهمها ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الخارجى^(١)، فقد أمدّه الناصر بالمساعدات المالية والعسكرية اللازمة ، وقد دعا هذا الثائر للخليفة عبد الرحمن الناصر على منابر البلاد التى خضعت لسلطانه^(٢)، وقد أرسل أبو يزيد إلى الناصر وفدا يخبره بتغلبه على رقادة والقيروان وما جاورهما ، وقد نجح الخليفة عبد الرحمن الناصر فى استمالة القبائل المغربية من زناتة ومغراوة ، فعمل على تحريضها بقتال قبائل صنهاجة حلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب ، وفى ذلك يقول المؤلف المجهول صاحب مفاخر البربر «وتخطاهم عبد الرحمن إلى من سكن خلفهم من زعماء قبائل البربر ، يستأنفهم ، ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية ، منهم مددا لن يعجز بهرجاله ، مقويا لمن ضعف بماله ، متعهدا بوجوه رسله وخواصه ، إلى أن تميز أكثر بوادى زناته فى حزيه ، وارتسعوا بطاعته ولاسيما عند امتياز أضدادهم صنهاجة فى ضرب أعدائه بنى عبيدالله ، وجرت بأسباب ذلك بين الطائفتين من أولياء الدعوتين حروب يطول القول فيها ، ووقائع يبعد تقصيصها ، وهلك باختلافها من ملوك الدعوتين ، وزعماء الطائفتين جماعة كبيرة»^(٣).

فانضم إلى جانب الخلافة الأموية فى الأندلس كل من محمد بن الخير أمير مغراوة وموسى بن أبى العافية أمير مكناسة ، وبثوا الدعوة الأموية فى بلاد المغربين الأوسط والأقصى^(٤).

الصراع البحرى :

اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر منذ أن تولى الخلافة بإعداد أسطول بحرى كامل الإعداد

١- انظر الفصل الأول من الرسالة .

٢- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣١٨ ، ٣٣١ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، ابن خلدون ، العبر ج٤ ص ٨٤ .

٣- مفاخر البربر ص ٤ .

٤- ابن أبى زرع الأنيس المطرب ص ٥٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ج١ ص ٢١٧ ، ج٢ ص ٣٠٦ .

والتنسيق^(١١)، فأصدر أوامره إلى جميع دور الصناعة بإنشاء مراكب كبيرة الحجم^(١٢) تساعده فى صد أى عدوان يقع على البلاد، فقام ببناء دار لصناعة السفن فى الجزيرة الخضراء^(١٣)، كما قام ببناء قصر فى طريف^(١٤).

وقد استطاع هذا الأسطول أن يقطع المؤن التى بعث بها الخليفة عبيد الله المهدي على ظهر المراكب إلى الثائر الأندلسى عمرو بن حفصون وذلك سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م^(١٥).

كما نجح أيضا فى السيطرة على ساحل العدو المغربية، وذلك ليضمن عدم وقوع أى هجوم عليه من جانب الفاطميين فى بلاد المغرب، فاستولى على طنجة ومليلة ٣١٥هـ / ٩٢٧م^(١٦) ثم عهد إلى القائد فرج بن غفير^(١٧) بالاستيلاء على سبتة^(١٨) وتمكنت قواته من انتزاعها من يد الرضى بن عصام ٣١٩هـ / ٩٣١م والقائمين بالدعوة الأدرسية^(١٩). ويقول ابن عذارى: «شكها بالرجال وأتقنها بالبنيان وبنى سورها بالكذان، وألزم فيها من رضىه من قواده وأجناده، وصارت مفتاحا للغرب والعدو من الأندلس، وبابا إليها، كما هى الجزيرة

١- أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص ٢٣٦.

٢- Conde : Hist. of the dominations V. I, p. 371.

٣- الحميدى، الروض المغطر ص ٧٣، ٧٤.

٤- Terrasse : Histoire du Morco; T. I p. 135.

٥- ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٢٤٧، أحمد العبادى، عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ص ٦٤، ابن خلدون، العبر ج ٢ ص ٣٣.

٦- محمد بن تاويت، بين أموى الأندلس والادارة ص ١٨٥، حسن ابراهيم حسن وطه شرف، المعز لدين الله ص ٣٩.

٧- ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٣٠٧.

Levi Provencal, T III, p. 96.

٨- ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ص ٣٠٧.

٩- ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٢٠٤، ٣٠٧، السلاوى، الاستقصا ج ١ ص ١٧١ البكرى، المغرب ص ١٠٤، المقرئ، أزهار الرياض ج ٢ ص ٢٥٧، أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص ٢٣٦، محمد بن تاويت، بين أموى الأندلس والادارة ص ١٨٥، أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٠٢.

وطريف مفتاح الأندلس من العدو المغربية ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين لثلاث خلون لربيع الأول من العام المؤرخ^(١) ، ثم سار الأسطول فى ٣٢٠هـ / ٩٢٢م إلى ناحية تلمسان فى المغرب الأوسط حيث ضرب حصارا شديدا حول جزيرة أرشقول التى تحصن بها أحد أمراء الأدارسة وهو الحسن بن عيسى بن أبى العيش ، فحاصرها الأسطول الأندلسى مدة ولكنها امتنعت عليه لحصانتها ، فعاد الأسطول إلى المرية^(٢) .

وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م) اتخذ العداء بين الخلافتين مظهرا قويا ، فبعد تقلد المعز لدين الله الخلافة بنحو ستين (٣٤٣هـ / ٩٥٤م) توالى ضربات الأسطول الأندلسى على ممتلكات الفاطميين فى المغرب ففى سنة (٣٤٤هـ / ٩٥٥م) أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بعمل مركب كبير بدار الصناعة بالمرية وسير أمتعة إلى بلاد المشرق ، فلقى فى البحر مركبا يحمل رسولا من صاحب صقلية إلى المعز لدين الله ، فقام رجال المركب الأندلسى بالهجوم عليه والاستيلاء على ما فيه ، فما كان من المعز لدين الله إلا أن قام بتدبير هجوم أشد وأعنف ، فقام الأسطول الفاطمى بقيادة صاحب صقلية الحسين بن على بالهجوم على شواطئ الأندلس ٣٤٤هـ^(٤) ، فوصلت هذه الحملة إلى مدينة المرية ونهبته واستولت على غنائم كثيرة وعدد كبير من الأسرى بعد أن عاثوا فيها فسادا ثم عادت الحملة إلى المهدية^(٥) .

١- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٢٠٤ ، ٣٠٧ ، السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ١٧١ البكرى ، المغرب ص ١٠٤ ، المقرئ ، أزهار الرياض ج٢ ص ٢٥٧ ، أرشبالد لويس ، القوى البحرية ص ٢٣٦ ، محمد بن تاويت ، بين أموى الأندلس والأدارسة ص ١٨٥ ، أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٠٢ .

٢- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٠٧ .

٣- البكرى المغرب ص ٧٧ ، ٧٨ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

٤- النعمان ، المجالس والمسائرات ، مخطوط ج١ ص ٢٢٥ نسخة مصورة جامعة القاهرة ٢٦٠٦٠ ، ميشيل أماري المكتبة العربية الصقلية ص ٣١٢ ، ابن الأثير الكامل ج١ ص ٣٤١ ، أو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر بيروت ج٣ ص ١٢٧ .

٥- النعمان ، المخطوط السابق ج٢ ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٢٢ ، صابر دياب ، سياسة الدول الإسلامية ص ١١٧ .

ويعصف النعمان ذلك الهجوم بقوله : « وجاء الحسن بن على فى مراكبه وكانت قليلة العدد فى طلب مركب واحد، فوهب الله لوليه الظفر واستولى على أساطيل الأموى، فأضرمتها نارا وغادرها بأسرها رمادا... ثم انصرفوا سالمين غانمين .. وحل بالأموى الداهية واضطربت عليه البلد وخاف خوفا شديدا »^(١) ولقد كان رد عبدالرحمن الناصر على هذا الاعتداء أن أمر قائد البحر غالب بالإبحار بحذاء سواحل أفريقية والإغارة عليها^(٢).

لكن الخليفة عبد الرحمن الناصر حاول مواجهة الأخطار التى هددت بلاده من الفرنجة ونصارى الشمال فى أسبانيا ، فسعى إلى مهادنة المعز لدين الله الفاطمى فأنفذ بعض رسله إليه لمهادنته^(٣)، حتى يتفرغ لمحاربة نصارى الشمال من ناحية والفاطميين فى بلاد المغرب من ناحية أخرى حتى إذا ما فرغ من عدوه فى الشمال تفرغ لمحاربة الفاطميين فى الجنوب، فقد كان عبد الرحمن الناصر يهدف من وراء طلب الهدنة هذه إلى كسب الوقت حتى يتم استعداداته ويقضى على الصعاب التى تواجهه. فأرسل لذلك الغرض رسولا من قبله « يطلب المودة والصلح »^(٤)، بيد أن المعز رفض تلك الهدنة على الرغم من المحاولات المتكررة من جانب الخليفة عبد الرحمن الناصر فى طلب الهدنة وعقد الصلح، فقد أدرك المعز نوايا الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٥).

وفى سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م استكمل الخليفة عبد الرحمن الناصر عدته لمحاربة الفاطميين فسير حملة بحرية كبيرة بقيادة أمير البحر غالب فهاجم الأسطول الأندلسى مرسى الخرز، ومدينة سوسة^(٦)، وفى هذه الموقعة أحرز الأسطول الأندلسى نصرا عظيما على الفاطميين.

١- النعمان، نفس المخطوط ج١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

٢- أمارى ، المكتبة العربية الصقلية ص ٣١٢ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣١٨ ، ط١ بيروت .

Levi Provencal Histoire de l'Espagne Musl T. II, 1950, p. 108 .

٣- سرور ، سياسة الفاطميين ص ٢٢١ .

٤- النعمان ، نفس المخطوط ج١ ص ٢٣٠ ، ٢٣٣ .

Hassan Ibrahim, The Relations... p. 60 .

٥- النعمان ، نفس المخطوط ج١ ص ٢٣٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

٦- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣١٨ ، أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص ٢٣٧ ، أحمد مختار العبادى ، عبد العزيز سالم تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ص ٦٤ .

وفى سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م جرد الخليفة عبد الرحمن الناصر حملة بحرية أخرى تحت قيادة القائد أحمد بن يعلى لغزو السواحل الأفريقية^(١)، وعبرت تلك الحملة البحر عن طريق سبتة إلى بلاد المغرب ولبثت هناك مدة حتى أرغمت الفاطميين على الارتداد إلى أفريقية، ويقول ابن عذارى: «وفى سنة ٣٤٧هـ، فى أول المحرم، أمر الناصر، صاحب الشرطة القائد أحمد بن يعلى بالخروج غازيا فى الأسطول إلى بلد الشيعى معد بن اسماعيل (المعز) صاحب أفريقية، فبرز ابن يعلى إلى محلة الريض لغزواته هذه، يوم الخميس لثمان خلون منه، وكان بروزه فخما خرج إليه من النظارة من أهل قرطبة رجالهم ونساؤهم وولدانهم، خلق لا يحصيهم إلا خالقهم، فانتشروا بأكناف الريض على عاداتهم، فأخذ السفلة منهم والغوغاء، يتقاذفون بالحجارة حاكين صفى القتال...»^(٢).

الحكم المستنصر :

تولى الخليفة المستنصر الخلافة بعد وفاة والده عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م وسار الخليفة الحكم على نفس نهج أبيه سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية، هذا وقد تمتعت الخلافة الأموية فى الأندلس فى عهده بالاستقرار والأمن والسلم، وبدأت ترنو ببصرها إلى بلاد المغرب ففرضت سيطرتها على تلك البلاد من جديد^(٣)، وقد سبق أن أشرنا إلى غزو الخليفة عبد الرحمن الناصر لبلاد المغرب وسيطرة الأمويين على ثغرى سبتة وطنجة وعبور الجيوش الأموية إلى بلاد المغرب لمقاومة جهود الفاطميين فى السيطرة على البلاد، ومحاربة الأدارسة أمراء المغرب والقائمين بالدعوة الفاطمية، حتى أذعنوا فى النهاية إلى طلب الصلح، واعترفوا بالسيادة الأموية ٣٢٢هـ / ٩٣٢م على بلاد المغرب.

ومنذ ذلك الحين قامت الدعوة الأموية فى بلاد المغرب، وتقلصت دولة الأدارسة وارتدت إلى منطقة الريف، ما بين غربى مضيق جبل طارق والمحيط، وجعلت قاعدتها فى قلعة حجر النسر جنوبى تطوان وذلك بعد ضياع عاصمتهم فاس، إذ لم تكن بلاد المغرب فى ذلك الوقت

١- ابن عذارى، البيان ج٢، ص ٣٣٢، ابن خلدون، العبر ج٤، ص ١٣٨، ص ١٤١، ابن الأثير ج٨ ص ١١٩، المقرئ، نفع الطيب ج١ ص ١٦٩.

٢- ابن عذارى، البيان ج٢، ص ٣٣٢.

٣- ابن حيان، المقنن ص ١٠٢، ١٧٤، ١٧٧، السلاوى الإستقصا ج١ ص ١٨٢، ١٨٥.

(٣٠٠هـ - ٤٢٢هـ) مستقلة بمعنى الكلمة، إذ كانت تنضوى تحت لواء المتغلب عليها سواء من الفاطميين أو الأمويين^(١).

كان الحسن بن قنون، أو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس آخر أمير إدريسي في المغرب الأقصى (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) ولما دخل جوهر الصقلي قائد الفاطميين إلى بلاد المغرب في أواخر ٣٤٩هـ / ٩٦٠م أعلن الحسن بن قنون الدخول في طاعة الفاطميين ناكثا بذلك عهده للخليفة عبد الرحمن الناصر، فلما انصرف جوهر إلى أفريقيا ٣٤٩هـ / ٩٦٠م، عاد الحسن إلى طاعة بني أمية، ولما توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م، أعلن الحسن طاعته لولده الحكم المستنصر ولعل تصرف الأدارسة هذا مصدره الخوف من بطش بني أمية في الأندلس.

غير أن الخليفة الحكم المستنصر كان لا يزال يعتقد في وجود الخطر الفاطمي، ويرى ضرورة الاحتفاظ بسيطرة الأندلس على بلاد المغرب الأقصى والأوسط^(٢).

وفي سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م اجتمعت قوات بني خزر أمراء زناتة المواليين للأمويين في الأندلس وأعداء الشيعة في أفريقيا وصنهاجة، مع قوات جعفر ويحيى ابني علي بن حمدون المعروف بالأندلسي^(٣). على قتال زيري بن مناد الصنهاجي قائد الفاطميين، ودارت بين الفريقين في رمضان ٣٦٠هـ / ٩٧٠م عند وادي ملوية على مشارف المغرب الأقصى معركة انتهت بهزيمة الشيعة وقتل زيري^(٤)، ومعظم رجاله واستيلاء الزناتية على معسكره، يقول ابن حيان: «وفي يوم السبت لأثنى عشرة بقيت من شهر رمضان منها ورد الخبر من العدو بقتل زيري بن مناد الصنهاجي قائد معد بن اسماعيل الشيعي صاحب أفريقيا وقائده على بلاد المغرب، قتله جعفر ويحيى ابنا علي المعروف بابن الأندلسي المخالفان على معد فيمن استظهرا به عليه من زناتة المنحرفين إلى خلفاء بني أمية بالأندلس، وجدوه بناحية الغرب في حرب دارت بينهما، شهدها بنو خرز وغيرهم من رؤساء البرابر القائمين على زيري بدعوة الحكم المستنصر بالله وعلى اسمه،

١- عبدالله عنان، دولة الاسلام في الأندلس ص ٤٩٢.

٢- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٣٠ ابن حيان، المقتبس ص ٣٣، ٣٦.

٣- ابن حيان، المقتبس ص ٢٦، ابن عذاري، البيان ج ٢ ص ٣٤٢.

٤- ابن حيان، المقتبس ص ٢٦، ابن عذاري، البيان ج ٢ ص ٣٤٢.

ففتح لهم فيه أعظم فتوح ووصل على البغدادي كاتب جعفر بكتابه إلى الخليفة... وذكروا
اهتياج الحرب العظيمة بين أهل الدعوتين بالعدوة»^(١).

ولم يكتف الزناتيون بهذا بل احتزوا ومعهم جعفر بن يحيى أبنا على بن حمدون المعروف
بالأندلس ، رأس زيرى ورؤوس عدة من أكابر صحبه وحملها جعفر ويحيى وأصحابهما إلى
الأندلس وقدموها للحكم المستنصر الذي غمرهم بعطفه وصلاته^(٢)، وهكذا انهار سلطان
الشيعة في المغرب.

كان لهذه النكبة التي حلت بصنهاجة وسادتهم الفاطميين أثر عميق على الخلافة الفاطمية
فأمر الخليفة المعز لدين الله قائده الصنهاجي يوسف بن زيرى بن مناد المسمى بلكين (بلقين)^(٣)
٣٦٢هـ / ٣٧٣هـ / ٩٧٢-٩٨٤م) أن يسير في جيش كبير إلى بلاد المغرب ، وفي ربيع الثاني
سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م أوقع الهزيمة بزنانة وأتباعها حيث كانت أعداد كبيرة منهم تسكن في
بجاية ويسكرة والمسيلة في المغرب الأوسط. يقول ابن عذارى: «وأقام أبو الفتوح في بلاد
المغرب وهو قد ملكها وأهل سبتة منه خائفون وزنانة مشردون»^(٤).

لم يتحمل زعيم زنانة وأميرها محمد بن الخير بن خزر المغراوي هذه الهزيمة التي حلت بزنانة
وأتباعها ، فأقدم على الانتحار بأن اتكأ على سيفه فذبح نفسه حتى لا يقع في يد عدوه بعد أن

١- ابن حيان ، المقتبس ص ٢٦ ، ٢٧ ، ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٣٦٠ .

٢- قدم إلينا ابن حيان تفاصيل زيارة جعفر ويحيى أبنا على بن حمدون إلى الأندلس برؤوس زيرى
وأصحابه ، وما كان من استقبال قاضى أشبيلية وصاحب السكة والموارث في ذلك الوقت محمد بن أبى عامر
وما كان من استقبال الخليفة الحكم المستنصر لهم .. سنة ٣٦٠هـ (ابن حيان، المقتبس ص ٤٤ ، ٥٣ ، ٥٧) .

٣- بلقين يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجي ، القائد المعروف الذي استخلفه الفاطميون على المغرب عند
انتقال المعز إلى مصر وهو منشئ دولة بنى زيرى في أفريقيا (ابن عذارى ، البيان ج ١ ص ٢٨٨ ، وما بعدها ،
ابن خلدون ، المعبر ج ٦ ص ٣١٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام القسم ٣ ص ٦٥ أحمد بن أبى الضيف ،
الحاف أهل الزمان ، أخبار ملوك تونس وعن الأمان ج ١ ص ١٢٨ ، تونس سنة ١٩٦٣) .

٤- ابن عذارى ، البيان المغرب ج ١ ص ٢٣٧ «تقع مدينة البصرة في بلاد المغرب قرب السوس بينها وبين
فاس أربعة أيام » ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٤٤ ، ابن حيان ، المقتبس ص ٣٨) .

تمزقت زناتة وبسط بلقين (بلقين) سلطانه على بلاد المغرب ، وقطع الدعوة للأمويين وهدم مدينة البصرة وبذلك حقق بلقين انتقامه لمقتل أبيه^(١).

لم يمض وقت طويل على هزيمة زناتة وأتباعها حتى سارع الحسن بن قنون إلى نقض طاعة الأمويين في الأندلس مرة أخرى وسارع إلىبيعة بلقين والانضواء تحت لوائه «منحرفا إلى دعوة قرينه معد بن اسماعيل صاحب إفريقية الممد له في الضلالة وانضوائه^(٢) إليه وقطعوا الدعوة للأموية واحتلوا طنجة وتطوان وأصيلة حيث جعلوا قيادتهم في قلعة حجر النسر»^(٣).

لما وقف الخليفة الحكم المستنصر على تلك الأحداث الهامة وجد الفرصة سانحة لإحكام قبضته على بلاد المغرب وخاصة بعد أن غادرها الفاطميون وأصبح الميدان خاليا أمام الأمويين لفرض سيطرتهم من جديد على البلاد.

بادر الخليفة، الحكم المستنصر بتعبئة جيش جيد الاعداد والتنظيم، لغزو بلاد المغرب ومقاتلة الثائر الحسن بن قنون وجعل قيادته للقائد محمد بن القاسم بن طلسم^(٤) كما أعد الخليفة أسطولا قويا تحت قيادة قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس^(٥)، فقاموا بالهجوم على طنجة التي تحصن بداخلها أمير الأدارسة الحسن بن قنون^(٦) ، ولكنه لم يستطع الصمود أمام الجيوش والأساطيل الأموية^(٧) وفر هاربا في خاصة من أصحابه لايلوى على شيء ولم يعرج على ما كان له ولهم بالمدينة من أموالهم وأمتعتهم^(٨).

١- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٤ ، ج١ ص ٧٩ ، مؤلف مجهول «نبذة تاريخية في أخبار البربر» نشر ليفي بروفنسال الرياض ١٩٣٤ ص ٦ ، ٨ .

٢- ابن عذارى ، البيان المغرب ج٢ ص ٣٦٤ .

٣- ابن أبي زرع ، روض القرطاس ج١ ص ١٣٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٤ ، ابن حيان ، المقتبس ص ٧٩ .

٥- كان ابن رماحس قائد القوات البحرية الأندلسية (أمير البحر) ابن خلدون ، المعبر ج١ ص ٤٥٤ ، ابن حيان ، المقتبس ص ٨٩ .

Levi Provencal, Histoire de l'Espagne Musulmane T. IV, p. 374 .

٦- ابن حيان ، المقتبس ص ٨٩ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

٧- ابن حيان ، المقتبس ص ٨٩ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٥ .

٨- ابن حيان ، المقتبس ص ٨٩ ، ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٥ .

ولم يجد أهالي طنجة بدا من التسليم^(١)، فخرج شيخهم ابن الفاضل مع جماعة من وجوه طنجة وهم ينادون (الطاعة لأمر المؤمنين)^(٢) ثم تقدم ابن الفاضل إلى قائد البحر ابن رماحس وطلب منه الأمان لأهل بلده، فأعطاه إياه ودخل طنجة في شوال سنة ٣٦١هـ (أغسطس ٩٧١م)^(٣).

وفي تلك الأثناء استطاع الحسن بن قنون جمع قواته مرة أخرى حيث أعاد تنظيمها والتقى بجيش الحكم مرة ثانية في ربيع الأول سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م في مكان يعرف بفحص مهران، وفي هذه المعركة كان النصر من نصيب الحسن بن قنون وانهزمت القوات الأندلسية، وقُتل منها عدد كبير وعلى رأسهم القائد الأندلسي محمد بن القاسم بن طحلس^(٤).

أراد الحسن بن قنون في نفس الوقت أن يتم الصلح بينه وبين الأمويين وتبادل الرهائن لكسب المعركة كلها في صالحه، وبعث أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس برغبة الحسن بن قنون إلى الخليفة الحكم غير أن الخليفة لم يقبل ذلك العرض وأرسل إلى قواده في بلاد المغرب يوصيهم بالاستمرار في جهاد الحسن بن قنون والعمل على معرفة أخباره وبث العيون لتتبع حركاته^(٥).

وكتب الخليفة الحكم إلى قائد ثغر أصيلا عبد الرحمن بن يوسف بن أرطليل، ردا على ما أبداه الحسن بن قنون من رغبته في الصلح «وكيف يذهب الآن هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر وفي دينه مستبصر، ولكم في كل أيامه محارب، هذا هو الضلال، والمحال، وسبب الخيال، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره، وغير من أصر أصرارا، وتقادى تقاديه إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه»^(٦).

١- ابن حيان، المقتبس ص ٨٩، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٣٦٥.

٢- ابن حيان، المقتبس ص ٨٩، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٣٦٥.

٣- ابن حيان، المقتبس ص ٨٩، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٣٦٥، أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الغرب والأندلس ص ٢٣١.

٤- ابن حيان، المقتبس ص ٩٦، مؤلف مجهول، نبذة تاريخية في أخبار البربر ص ٩٠٨.

٥- ابن حيان المقتبس ص ٩٧، ٩٨، ١٠٣.

٦- ابن حيان، المصدر السابق ص ٩٧، ٩٨.

وأعد الحكم جيشا سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٤م جعل قيادته لمولاه وزيره غالب بن عبد الرحمن^(١) وهيا له العتاد الكثير والأموال العظيمة لاستمالة القبائل، وأمره أن يشتد فى قتال الأدارسة وأن يستأصل شأفتهم ، وأن يطهر المغرب من كل الأعداء المناوئين لبنى أمية^(٢)، وقال له : «سر يا غالب سير من لا أذن له فى الرجوع إلا حيا منصورا ، أو ميتا مغرورا ، وأبسط يدك فى الاتفاق فإن أردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال»^(٣).

وفى الحادى عشر من رمضان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م خرج القائد غالب فى قواته من قرطبة وعبر البحر إلى الجزيرة الخضراء ، ولما علم الحسن بمقدمه غادر مدينة البصرة ، الواقعة فى الجنوب حيث كان يقيم ، ولجأ بأهله وأمواله إلى قلعة حجر النسر، الواقعة شمال مدينة البصرة، وهناك جمع قواته وخرج لقتال القائد غالب وجيشه ، وفى نفس الوقت اتجه قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بأسطوله إلى ناحية ثغر أصيلا لكى يكون قريبا من القائد الأعلى غالب الذى قام بضرب الحصار حول مقر الحسن بن قنون^(٤).

وفى أوائل شهر شوال من نفس العام بعث الخليفة الحكم قاضى أشبيلية وصاحب الشرطة محمد بن أبى عامر بأحمال كثيرة من المال وذلك لتوزيعها على أكابر البربر الذين يمكن استمالتهم إلى جانب الخلافة .

وأصدر الخليفة الحكم مرسوما بتعيين ابن أبى عامر قاضيا لقضاة العدو المغربية وأمر قواده وعماله بالعمل بمشورته^(٥).

ثم استدعى الخليفة الحكم صاحب الثغر الأعلى يحيى بن محمد التجيبى من قاعدته سرقسطة بمن معه من رجال ومال وذلك فى شهر المحرم سنة ٣٦٣هـ ٩٧٣م حيث نزل يحيى وجنده بطنجة وانضمت إليهم قوات القائد الأعلى غالب^(٦).

١- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٧ .

٢- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام قسم ص ٤٧ ، ٤٨ ، مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص ٩ .

٣- ابن خلدون ، العبر ج٦ ص ٢١٨ ، السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ٨٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٣٦٧ ، السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ٨٧ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ص ١١٣ .

٦- ابن حيان ، المقتبس ص ١٣٨ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ج٢ ص ٣٦٨ ، السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ٨٧ .

لم يكتف الخليفة الحكم بكل هذه القوات والأساطيل، بل أرسل أيضا الشعراء أمثال محمد بن حسين التميمي المعروف بالطهني^(١) ليساعد بنظمه على اكتساب ولاء المنشقين على الحسن بن قنون^(٢).

شدد القائد غالب الحصار على الحسن بن قنون وقواته من الأدارسة فقطع عنه الإمدادات، وقامت قوات القائد غالب بمطاردة الأدارسة، وفي صفر سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م استولى القائد غالب على مدينة البصرة^(٣).

وأمام حصار القائد غالب اضطر الحسن بن قنون في النهاية إلى طلب الصلح والأمان، وأعلن طاعته للخليفة الحكم المستنصر، ودخل غالب وقواته قلعة حجر النسر، ويعلق ابن عذاري على هذا بقوله: «وفيها ورد الخبر السار على المستنصر بالله بإذعان الحسن بن قنون الحسنى ودخوله في طاعته»^(٤)، وأعلن الخليفة الحكم المستنصر هذه الأنباء في مسجد قرطبة ودخول الثائر الحسن بن قنون في طاعته^(٥)، أما القائد غالب فقد تتبع فلول من بقى من الأدارسة وتم بذلك اخضاع المغرب للدولة الأموية^(٦).

وفي أواخر ذي الحجة سنة ٣٦٣هـ، عاد القائد غالب إلى الأندلس ومعه الحسن بن قنون وأقرباؤه الأدارسة، تاركا شئون العدو للقائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي، وكان ذلك تحقيقا لرغبة الخليفة الحكم بعد أن استتبحت الأمور ودعى للخليفة على المنابر^(٧)، يقول

١- كان في أيام الحكم المستنصر وعاش حتى سنة ٣٩٤هـ واتصل بالعامريين وحظي عندهم وله أولاد نجباء مشهورون في الأدب والفضل، وكان شاعرا عالما بأخبار العرب وأنسابهم، ويرجع أصله إلى طنبه بلد ضمن أرض الزاب في عدوة الأندلس، دخل الأندلس ٣٢٥هـ، أنظر (الحميدي، جذوة المقتبس ص ٤٧، وابن الغرضي ج ٢ ص ١١٩، ابن بشكوال، الصلة ٥٦٢، ابن سعيد، المغرب ج ١ ص ٢٠١).

٢- ابن حيان، المصدر السابق ص ١٠٩.

٣- ابن حيان، المصدر السابق ص ١٤١، ابن عذاري، البيان ج ٢ ص ٣٦٣، ابن الخطيب، أعمال الأعلام قسم ٢ ج ٢ ص ٤٧.

٤- ابن عذاري، البيان المغرب ج ٢ ص ٣٦٩.

٥- ابن حيان، المقتبس ص ١٠٥.

٦- ابن خلدون العبر ج ١ ص ١٤٦، ابن الخطيب، أعمال الأعلام قسم ٢ ص ٤٧، ٤٨.

٧- ابن حيان، المقتبس ص ١٧٨، ١٨٢.

ابن عذارى : « وكان معه حسن بن قنون وشيعته بنو أدريس الحسنيون ملوك المغرب المستنزلون من معاقلهم إلى الأندلس حافين بشيوخهم المشتهر بجنون (قنون) ومعه أخوته وبنو عمه ، وبنوهم وأهلهم ، فأمر باحتمال هؤلاء الأشراف من المحلة فى ظلام ليلة الخميس لأربع خلون من المحرم إلى الدور التى أخلت لهم بقرطبة ، فأرسل القوم معهم ثقاتهم من فتيانهم من فتيانهم ومواليهم حتى أدتهم إلى الدور المعدة لهم، بعد أن فرشت مجالسها بشيء يطول ذكره»^(١).

ظل الحسن بن قنون وذووه فى قرطبة حوالى عامين من ٣٦٤-٣٦٦ هـ / ٩٧٤-٩٧٦ م ثم ساءت علاقتهم بالخليفة الحكم المستنصر ، فقد استثقل نفقاتهم كما توجس منهم شراً ، وذلك لسوء خلق الحسن ، كما أن الخليفة الحكم لم ينس ما فعله الحسن بقواته أيام الحرب بينهم ، فرأى أن يتخلص منه ومن نفقاته الباهظة ، فأمر فى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م بإخراجه هو وعشيرته من قرطبة وأجلاتهم إلى المشرق، فركبوا البحر من المرية إلى تونس ، وسار الحسن بن قنون وعشيرته إلى مصر، فنزلوا فى ضيافة الخليفة الفاطمى العزيز بالله فأكرمه ووعده بالنصرة والأخذ بالثار^(٢).

ظل الحسن بن قنون فى مصر إلى سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م ثم عاد إلى المغرب فى أيام الخليفة هشام المؤيد على ما نذكره فى حينه^(٤).

وبقضاء الخليفة الحكم المستنصر على صورة الحسن بن قنون استطاع الخليفة أن يضمن سيطرته على بلاد المغرب التى أعلن أمراؤها من زناتة ومغراوة طاعتهم وولاءهم للخليفة الحكم المستنصر، ووفدت عليه هذه القبائل تعلن طاعتها وانضوائها تحت لوائه^(٥).

١- ابن عذارى، البيان ج٢ ص ٣٦٩ «قارن هذا النص بالنص الموجود فى المقتبس لابن حبان ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، العبارة الموجودة فى المقتبس « فأرسل القوم معهم ثقاتهم من الفتيان ، فتيانهم ومواليهم حتى أدتهم إلى الدور المستعدة بها لهم بقرطبة بعد أن فرشت مجالسها ، المقتبس ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

٢- السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ٨٨ .

٣- المصدر السابق ج١ ص ٨٨ .

٤- المصدر السابق ج١ ص ٨٨ .

٥- ابن حبان ، المقتبس ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ابن خلدون ، العبر ج٢ ص ١٤٦ .

سياسة المنصور بن أبى عامر تجاه المغرب:

وقد شغلت بلاد المغرب معظم اهتمام الحاجب المنصور بن أبى عامر، وسار على نفس سياسة الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر فى السيطرة على بلاد المغرب واصطناع بربر زناتة فى المغرب الأقصى حتى يضمن ولائهم ، وقد دخلت فى الطاعة الأموية كل البلاد المغربية الممتدة إلى سجلماسة جنوبا ٣٧٠هـ / ٩٨٠م وإلى ولايتى تلمسان وتاهرت شرقا سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م (١).

وفى سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م زحف خزرون بن قلفل بن خزر الزناتى (٢) إلى سجلماسة وقتل أباه محمد المعتز بالله من أولاد الشاكر بالله المدرارى، واستولى على سجلماسة وبعث برأس المعتز إلى قرطبة (٣) وقد عرض صاحب كتاب مفاخر البربر لتلك الأحداث بقوله : «وفى شعبان سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م زحف خزرون بن قلفول أحد زعماء زناتة - الموالين لبنى أمية- إلى مدينة سجلماسة وكانت قد عادت إلى أيدي الخوارج الأباضة بعد فتح جوهر الصقلى لها، وأسره محمد بن الفتح صاحب الخارجى، وقام رجل منهم وتسمى المعتز بالله سنة ٣٥٢هـ فلم يزل مالكها إلى أن ظهر عليه خزرون بن قلفول فهزمه وجموعه وقتله واستولى على سجلماسة وضبطها وذلك سنة ٣٧٦هـ، ووجد للمعتز مالا عظيما وسلاحا كثيرا، وأقام الدعوة للخليفة المؤيد بالله هشام بن الحكم، وهى أول دعوة قامت للمروانية بذلك الصقع الجنوبى، وكتب بالفتح إلى هشام وأنفذ رأس المعتز فشهر بقرطبة، ونصب بباب السدة، وكان أول رأس رفع فى الدولة، ونس الأثر به إلى محمد بن أبى عامر، وتيمن لحجابه، وعقد لخزرون على سجلماسة، فلم تزل بيده ، إلى أن هلك وصارت فى يد ابنه وامدين إلى انقضاء الدولة» (٤).

وفى سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م واجه المنصور بن أبى عامر هجوما على المغرب الأقصى بقيادة بلقين بن زبرى الصنهاجى ملك الدولة الزيرية فى المغربين الأدنى والأوسط، فبدأ بحصار سبتة

١- مؤلف مجهول، مفاخر البربر ص ٢٤، العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٥٠، ٢٥١.

٢- هو أحد زعماء زناتة الداخل فى طاعة الأمويين فى الأندلس (مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ص ١٦).

٣- ابن خلدون ، العبر ج ٦ ص ٣١٩.

٤- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ص ١٦.

ولكنها استعصت عليه لقوة تحصينها ومناعتها، وقال : « إنما سبته حية ولت ذنبها حذاءنا وفرغت فاهها نحونا وانصرف عاندا إلى بلاده »^(١).

وفى سنة ٤٧٣هـ / ٩٨٣م أرسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله الحسن بن قنون زعيم الإدارة من مصر إلى المغرب يستعيد ما فقد من بلاد المغرب على أيدي الأمويين في الأندلس وحلفائهم من بربر زناتة ، وأمر الخليفة العزيز بالله نائبه على المغرب بلكين بن زيري أن يمدد ما يحتاجه من المؤن والعتاد والقوات^(٢).

سار الحسن بن قنون إلى بلاد المغرب وانضم إليه عدد كبير من القبائل البربرية وخاصة بنى يفرن . وعلم المنصور بن أبي عامر بما دبره الفاطميون فأرسل ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبدالله بن أبي عامر الملقب بعسكلاجة^(٣) على رأس جيش كبير وقلده أمر المغرب .

وتوجه القائد عسكلاجة من سبتة لقتال الحسن بن قنون وقامت قوات عسكلاجة بمحاصرة الحسن بن قنون وقواته عدة أيام حتى جاءت القائد عسكلاجة إمدادات جديدة أرسلها الحاجب المنصور بن أبي عامر بقيادة ابنه عبدالملك كما انضمت إلى قوات عسكلاجة وعبدالملك قبائل مغراوة وزعماؤها وعلى رأسهم زيري بن عطية بن خزر . وقام عسكلاجة بمطاردة الحسن بن قنون وضرب عليه الحصار حتى أهلكه في النهاية فاضطر الحسن إلى التسليم وطلب الصلح والأمان واللجوء إلى الأندلس ، ولكن المنصور لم يقبل طلبه في هذه المرة وأمر بقتله سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م لكثرة فسادة ونكته بوعوده^(٤)، وانهارت بذلك دعوة الإدارة. « واستمر الحال إلى أن أشرفت دولة بنى أمية بالأندلس على الانقراض »^(٥).

١- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ص ١٧ .

٢- السلاوي ، الاستقصا ج ١ ص ٨٨ « رأى الخليفة العزيز بالله في إرسال الحسن بن قنون إلى بلاد المغرب وسيلة للتخلص من أعبائه المالية مجهول ، نبذة تاريخية في أخبار البربر ص ١٩ » .

٣- السلاوي ، الاستقصا ج ١ ص ٨٨ .

٤- السلاوي ، الاستقصا ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ابن عذاري ، البيان ج ٢ ص ٤١٩ ، ابن أبي زرع روض القرطاس ج ١ ص ١٤١ .

٥- السلاوي ، الاستقصا ج ١ ص ٨٨ ، ٨٩ .

واستولت القوات الأموية على مدينة فاس ودخلت عدوة الأندلسيين وخطب فيها لبنى أمية، كما استولوا على عدوة القرويين وقبضوا على عاملها محمد بن عامر المكناسي^(١) عامل الفاطميين وأقاموا الدعوة الأموية^(٢).

وعاد القائد عسكلاجة إلى الأندلس، فندب المنصور بن أبي عامر لحكم بلاد المغرب الوزير الحسن بن أحمد بن عبدودود السلمي ومنحه سلطات واسعة في إدارة البلاد كما أمره أن يعمل على استمالة قبائل البربر، وأوصاه بمغراوة وعلى رأسهم زيري بن عطية لما قدموه من المساعدات للأمويين وإخلاصهم للدعوة الأموية في بلاد المغرب^(٣).

انضمت قوات الوزير ابن عبدودود مع قوات زيري بن عطية لمحاربة بنى يفرن وزعيمهم يدو بن يعلى، ونشب القتال وقتل الوزير الحسن بن عبدودود سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م فعقد المنصور بن أبي عامر لزيري بن عطية على بلاد المغرب، فقام زيري بحكم البلاد باسم بنى أمية، فقوى أمره وتوطد سلطانه^(٤).

وفى سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية إلى قرطبة فاستخلف زيري ولده المعز واستخلف على عدوة الأندلسيين في فاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة وعلى عدوة القرويين على بن محمد بن أبي على بن قشوش، وقام زيري بتقديم الهدايا^(٥) إلى المنصور بن أبي عامر الذي احتفل بقدومه احتفالا عظيما^(٦) ومنحه المنصور لقب الوزارة لكن زيري لم يبتهج بذلك اللقب إذ كان يطمع في لقب الإمارة^(٧).

١- «كانت فاس قد استولى عليها أبو الفتح بلقين بن زيري ٣٦٨ وقتل عاملها محمد بن أبي على بن قشوش وعبد الكريم بن ثعلبة القائمين بالدعوة الأموية واستعمل عليها محمد بن عامر المكناسي «عبد العزيز سالم، المغرب الكبير في العصر الاسلامي ص ٦٤٣».

٢- القلقشندي، صبح الأعشى ج٥ ص ١٨٥.

٣- ابن خلدون، المعبر ج٧ ص ٢٨، ٣٠، مجهول، نبذة في أخبار البربر ص ١٧، ٩٩.

٤- نبذة في أخبار البربر ص ١٧، ١٩، السلاوي، الاستقصا ج١ ص ٨٨.

٥- مفاخر البربر ص ٢٧، السلاوي، الاستقصا ج١ ص ٢١١.

٦- ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج٣ ص ١٥٢.

٧- ابن الخطيب، المصدر السابق ج٣ ص ١٥٨، ابن خلدون، المعبر ج٢ ص ٤١، ابن السلاوي، الاستقصا ج١ ص ٢١١، ابن أبي زرع، روض القرطاس ج١ ص ١٦١.

أسرع زيرى بن عطية إلى طنجة بعد أن بلغه أن بنى يفرن وعلى رأسهم يدو بن يعلى قد استولوا على فاس فقام سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م فقصده فاس سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م لاستخلاصها من بنى يفرن واشتبك زيرى مع يدو بن يعلى فى معركة بالقرب من فاس انتهت بهزيمة بنى يفرن وقتل القائد اليفرنى يدو بن يعلى^(١).

كما هم زيرى بن عطية لقتال أبى البهار^(٢) الذى نقض دعوة الأمويين وعاد يظهر الدعوة الفاطمية فزحف إليه من فاس وتمكن من الاستيلاء على ما كان بيده^(٣).

أصبح الميدان خاليا لزيرى بن عطية فى بلاد المغرب حيث اعتبره المنصور بن أبى عامر الممثل الوحيد للحكم الأندلسى هناك لكن هذه العلاقة الوطيدة التى ربطت بين المنصور بن أبى عامر وزيرى بن عطية لم تكن علاقة وطيدة لأن زيرى كان ينوى الخروج على المنصور بعد أن خاب أمله فى الحصول على لقب الإمارة الذى كان يطمع فيه، كما كان من أسباب خروج زيرى بن عطية أيضا استبداد المنصور وحجبه للخليفة هشام المؤيد وسلبه جميع حقوقه الشرعية، ويقال أن السيدة صبح قد اتصلت بزيرى بن عطية ليساعدها^(٤) ضد المنصور لاستعادة حقوق الخليفة الشرعية^(٥).

ففى سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م قام زيرى بن عطية بقطع الدعوة للمنصور بن أبى عامر على منابر المغرب، وأعلن الثورة والخروج على الطاعة فقابل المنصور هذا العمل بقطع الأرزاق عن

١- السلاوى، نفس المصدر ج١ ص ٩٢ ، ٢١٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ج٣ ص ١٥٨ .

٢- هو أبو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى عامل تاهرت وظهر الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب وكان قد خرج على ابن أخيه أبى الفتح المنصور ابن بلكين (بلقين) ٣٧٩هـ، فزحف المنصور حيث فر أبو البهار من تاهرت إلى بن بلكين (بلقين) على تاهرت حيث ولى أخاه يطوفت ، ثم عاد المنصور إلى أشير ولكن وقع خلاف بين أبى البهار وبين زيرى بن عطية فعاد أبو البهار إلى تاهرت ودخل فى طاعة أبى الفتح المنصور بن بلكين ، فعلماً عنه (ابن عذارى ، البيان ج١ ص ٣٤٩ ، ٣٥٣) ابن خلدون المعرج ٦ ص ٣٢٢ ، عبد العزيز ، المغرب الكبير ص ٦٤٥ .

٣- السلاوى ، الاستقصا ج١ ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٢١٠ ، مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار ص ٣٠ ، ٣٥ .

٤- ابن بسم ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة مجلد ٤ قسم ١ ، ص ٥٢ ، ٥٤ .

٥- مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص ٢٧ .

عن زيرى وعمل على تجهيز جيش كبير جعل قيادته لمولاه الفتى واضح صاحب مدينة سالم^(١)، وأمه بالذخيرة والمؤن اللازمة وعبر واضح البحر إلى طنجة حيث انضم إليه الكثير من قبائل البربر وخاصة من غمارة وصنهاجة وخرج زيرى لمقاتلة واضح، ونشبت بينهما معارك طاحنة هزم فيها الجيش الأندلسي^(٢) وأرسل واضح يستنجد بالمنصور بن أبى عامر فخرج المنصور من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء ثم سير ابنه عبد الملك ومعه الجيوش الأموية إلى سبتة وأمره بالتشدد فى مقاتلة زيرى، ونشبت بين الفريقين معارك عنيفة انتهت بهزيمة زيرى وفراره^(٣) ودخل عبد الملك مدينة فاس فى شهر شوال سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م وكتب إليه المنصور بعهدده على بلاد المغرب، فأحسن عبد الملك إدارة هذه البلاد ثم انصرف إلى الأندلس بعد أن استعمل على فاس عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام بها إلى صفر ٣٨٩هـ / ٩٩٨م ولما عزل خلفه على ولايتها الفتى واضح^(٤).

أما زيرى فقد جمع حشودا هائلة من قوات زناتة أو مغراوة وقام بالزحف على قبائل صنهاجة فاستولى على تاهرت وتلمسان وتنس وأقام الدعوة على منابرها للخليفة هشام المؤيد، بيد أنه توفى متأثرا بجراحة فى المحرم سنة ٣٩١هـ / ١٠٠٠ وخلفه ابنه المعز بن زيرى الذى أعلن طاعته للحاجب المنصور فأقره على أعماله بالمغرب.

وحذا عبد الملك حذو أبيه المنصور نحو المغرب بالابقاء على تأييد زناتة ومغراوة حيث أعلن المعز بن زيرى الطاعة والولاء لعبد الملك بن المنصور أيضا ودعى له على منابر المغرب. ولما تولى عبد الرحمن بن أبى عامر للحجابة بعد أخيه عبد الملك كتب إلى المعز بعهدده على سائر ما بيده عن بلاد المغرب على أن يؤدى إلى حكومة قرطبة مقادير معينة من المال والخيل.

١- مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة وكانت من أعظم المدن وأشرفها (ياقوت، معجم البلدان ج٣ ص ١١٧٢).

٢- ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج٣ ص ١٥٣، عنان، دولة الاسلام فى الأندلس العصر الأول قسم ٢ ص ٥٥٧.

٣- ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ١٥٩، ابن أبى زرع، روض القرطاس ج١ ص ١٦٤ ١٩٦٥.

٤- السلاوى، الاستقصا ج١ ص ٩٣، ٩٤.

وهكذا ظل المعز بن زيرى على ولايته للأمويين أيام عبد الملك وأخيه عبد الرحمن^(١) حتى توفي فى جمادى الأولى سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م وكان أمر الخلافة الأموية فى الأندلس قد اضطرب وانتهى بسقوطها سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م^(٢).

المهاجرون من القطرين وأثرهما فى الأحداث السياسية :

بسبب قرب المسافة بين الأندلس والمغرب تبودلت الهجرات بينهما فهاجر الأندلسيون فرادى، وجماعات وأسهموا فى الحياة السياسية فى بلاد المغرب وهاجر البربر فرادى، وقبائل واشتركوا بنصيب فى أحداث الأندلس الداخلية .

كان للظروف السياسية فى الأندلس أثر فى أن هاجر كثير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب ملتجئين هناك العيش فى أمان واستقرار، ومن أهم هذه الظروف ما حدث فى بلاد الأندلس أيام الأمير الحكيم الأول (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) حيث نشبت فى الربض الجنوبى من قرطبة المسمى ربض شقنده (SECUNDA) على الضفة الأخرى من الوادى الكبير^(٣) ثورة قام بها الفقهاء من المالكية حيث أنكروا على هذا الأمير سياسته تجاههم التى ترمى إلى الحد من نفوذهم وإبعادهم عن التدخل فى شئون الدولة^(٤)، فثار نفوسهم سخطا على الأمير وأخذوا يجهرون بسببه والتعريض به من فوق المنابر ويوغرون عليه صدور العامة بالفساد والوقية^(٥).

١- السلاوى، الاستقصا ج١ ص ٩٥، المقرئ، نفع الطيب ج٢ ص ١٩٨ .

٢- السلاوى، الاستقصا ج١ ص ٩٣، ٩٤، مجهول نبذة فى أخبار البربر ص ٣٠ ص ٣٥ .

٣- ابن الأبار، الحلة السيرة ج١ ص ٤٤، الحجى (عبد الرحمن على) التاريخ الأندلسى ص ٢٤٢ .

٤- « كان فقهاء المالكية فى الأندلس يرمون إلى انتزاع السلطة السياسية ليحكموا الأمة من وراء اللعش بواسطة جمهورية دينية فجات سياسة الأمير الحكيم ضربة قاضية على أمانيتهم ، انظر (عنان عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول، القسم الأول ص ٢٣٠ .

٥- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول، القسم الأول ص ٢٣٠ نزل هؤلاء الوافدون على العدو المغربية فى بلاد المغرب الأقصى فى فترة حكم ادريس بن عبدالله بن ادريس ، ادريس الثانى (١٧٧-٢١٣هـ / ٧٩٣-٨٢٨م) .

واستطاع الأمير الحكم الأول أن يقضى على هذه الثورة بقسوة وعنف وطرد فريقا ممن قام بها خارج الأندلس، فسكن بعضهم مدينة فاس فى المغرب فى القسم الشرقى من العدو المغربية سميت بعدوة الأندلسيين^(١).

كما توافد على بلاد المغرب بعض الأندلسيين أمثال الشاعر الألبيرى محمد بن هانىء الذى وفد على الخليفة المعز مطرودا من الأندلس بعد أن ظهرت ميوله الشيعية، وقد أثرى ابن هانىء الأدب المغربى بكثير من القصائد التى تؤيد ميوله الاسماعيلية ومنها فى مدح المعز لدين الله.

لى صارم وهو شيعى كحامله وهو يكاد يسبق كرابى إلى البطل

إذا المعز معز الذين سلطه ولم يرتقب بالمنايا مدة الآجل^(٢)

ولم يفتر ابن هانىء عن مواصلة إنشاده والإغراق فى مدحه حتى جعله فى منزلة عيسى ومحمد، بل نسب إليه بعض صفات الألوهية^(٣)، ونسب إليه القدرة على إتيان المعجزات^(٤).

ومن أشهر مهاجرى الأندلس أيضا محمد بن خيرون أبو جعفر هاجر إلى القيروان واستوطنها وسكن بموضع يسمى الزيادة، وبنى هناك مسجدا ينسب إليه^(٥) وعدة فنادق وكان من أثرياء القيروان وقد قتل على أيدي الفاطميين بعد أن تبينت ميوله السنية وظهر أنه يسرب المعلومات إلى الأمويين فى الأندلس^(٦).

١- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص ٤٩١، سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ٢٢٤، وتاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ٧٠، تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٣٠، البكرى المغرب ص ١٥٥، حسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ.

٢- عن ابن هانىء، انظر ص.

٣- ديوان ابن هانىء ج ١ بيروت ١٣٥٦ ص ١٢٨.

٤- ديوان ابن هانىء ص ٣٤، ٣٦.

٥- ديوان ابن هانىء ص ١٦٤.

٦- الحميدى جذوة المقتبس ص ٥٤.

٧- عن ابن خيرون أنظر الفصل الثانى ص من الرسالة.

على أنه من أهم المهاجرين إلى الأندلس أيضا على بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجزامي ويعرف بابن الأندلس^(١)، رحل إلى المغرب من الأندلس، واتصل بالمهدى بالله أول الخلفاء الفاطميين ثم اتصل بابنه القائم وكان موضع ثقته فأُسند إليه القائم اختطاط مدينة المسيلة ٣١٥هـ / ٩٢٧م وهي المدينة التي سميت بالمحمدية^(٢)، ثم عقد له القائم على ولاية الزاب وأنزله بها، ونشأ ولدا ابن حمدون جعفر ويحيى بدار القائم، تحت وصاية جوزر (كاتب الفاطميين) فلما كانت فتنة أبي يزيد، كتب القائم إلى ابن حمدون في المدد بقبائل البربر من الزاب، فكانت لابن حمدون جولات مع أبي يزيد تجلّى فيها جلده وشدة بأسه إلى أن سقط من بعض الشواقي فمات ٣٣٤هـ / ٩٤٥م.

وعقد المنصور بعد الفتنة لجعفر بن على بن حمدون على المسيلة والزاب بالاشتراك مع أخيه يحيى بن على بن حمدون فاستجدا به سلطانا ودولة، وبنيا القصور والمتنزهات واستفحل بهما ملكهما وقصدهما العلماء والشعراء ومنهم ابن هانئ الأندلسي^(٣).

وكان بين جعفر وبين زيري بن مناد الصنهاجي منافسات على التقرب إلى المعز للوصول إلى أرقى المناصب، وأدى هذا التنافس إلى نشوب القتال بينهما، ثم قام بلكين بن زيري بن مناد مقام أبيه، قهر جعفرا ولما اعتزم المعز الرحيل إلى مصر استقدم جعفر بن على بن حمدون وفكر في استخلافه نائبا عنه في أفريقية^(٤). لكن جعفر اشترط عليه لقبول هذا المنصب شروطا تتيح له الاستقلال الداخلي، فرفض المعز شروط جعفر بن حمدون وأقصاه وولى بلكين^(٥).

١- انظر ابن حيان، المقتبس ص ٣٠، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٤٢، ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٢٤٢، ٢٤٣، الحلة السيرة ج ١ ص ٣٠٥، الزركلي فهرس الأعلام ج ٢ ص ١١٩، المقرئ، نفع الطيب ج ٢ ص ٢١٢.

Levi Provencal, Hist, T IV. pp. 388.

٢- ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ١٣٠.

٣- سيرة الأستاذ جوزر ص ١٧٥ حاشية رقم ٨٢.

٤- المقرئ، اتعاظ ص ١٤٣، المقرئ، الخطط، طبعة بيروت مجلد ص ١٥٨، سالم (عبد العزيز المغرب الكبير، العصر الإسلامي ص ٦٤١).

٥- سيرة الأستاذ جوزر، ص ١٧٥، حاشية ٨٢.

فغضب جعفر وترك بلاد المغرب هو وبنوه حيث هربوا إلى الأندلس فاستقبلهم^(١) الخليفة الحكم المستنصر وأحسن استقبالهم وقرّبهم، فاستقرّ المقام في الأندلس إلى أن تأمر المنصور بن أبي عامر على جعفر بن حمدون فقتله سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م.

أما أخوه يحيى بن على بن حمدون ، فلحق بمصر ونزل بدار العزيز بالله ولم يزل هناك إلى أن مات^(٢).

هجرات البربر إلى الأندلس :

كما لعب البربر دورا عظيما في الحياة السياسية في بلاد الأندلس ، ولعل أهمها أحداث الفتح ، فقد شارك البربر وعلى رأسهم القائد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير في فتح بلاد الأندلس . وقد كان هؤلاء البربر يؤلفون وقتذاك قوة عظيمة في الجيش العربي الفاتح .

وفي عصر الأماة اعتمد عليهم الأمراء في تكوين جيوشهم ، فتدفع أعداد كثيرة منهم إلى الأندلس^(٣) . وكان لهم أكبر الأثر في الحروب التي خاضها الأمراء الأمويون ضد نصارى الشمال وفي إخماد الفتن والثورات الداخلية^(٤) ، كان لهم دور في الفتنة العنصرية التي واجهها الأمراء الأمويون .

أما في عصر الخلافة فقد اتجه عبد الرحمن الناصر اتجاها آخر وهو عدم الاعتماد على البربر في تكوين الجيش ، وسار ابنه الحكم المستنصر على نفس سياسة أبيه في هذا المجال ، غير أنه عاد وعدل عن هذا الاتجاه واستخدم أعدادا كبيرة من البربر^(٥) لما أبدوه من براعة في الحروب

١- ابن حبان ، المقتبس ، حاشية ٢ ص ٣٣ ، ابن عذاري ، البيان ج ٢ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٤٢ ، عنان ، دولة الإسلام ج ٢ ص ٤٩٣ ، ص ٤٩٤ .

Levi Provencal, Hist, IV. pp. 388-389 .

٢- ابن خلدون ، المعبر ج ٤ ص ٣٢ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٣ ، المقرئ ، اتعاظ الخلفاء (ترجمة جعفر بن على) سيرة الأستاذ جوزف ص ١٤٢ ، ١٧٥ حاشية .

٣- عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ص ٦٨٤ ، ٦٨٦ .

٤- ابن حبان ، المقتبس ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

٥- ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ص ١٩٠ ، ١٩٥ .

التي خاضها الحكم المستنصر فى بلاد المغرب، وخاصة حروب الأمويين ضد الشائر الحسن بن كنون^(١).

كما أنه عقب انتقال الفاطميين إلى مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م هاجر الكثيرون نتيجة للصراع الذى كان دائرا فى بلاد المغرب قبائل صنهاجة الموالية للفاطميين وقبائل زناتة الموالية للأمويين فأدى ذلك إلى هجرة عدد كبير من قبائل بنى يرزال وبنى يفرن الزناتيين إلى الأندلس^(٢).

كما كان الصراع الذى نشأ بين الصنهاجيين أنفسهم بسبب التنازع على الحكم أثره فى أن هاجر زاوى بن زيرى إلى الأندلس ومعه ابنه وأبناء أخيه حباسة وجبوس ابنا ماكسن بن زيرى بسبب الخلاف بينهم وبين بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى^(٣).

هذا وقد اشترك زاوى وبنو زيرى وبنو ماكسن بن زيرى فى الفتنة التى اشتعلت نيرانها بقرطبة بعد مقتل عبد الرحمن شنجل بن المنصور سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م فأيدوا سليمان المستعين ضد المهدي محمد بن عبد الجبار .

وقد استأثر بنو جبوس ماكسن بامارة البيرة وغرناطة^(٤).

وبعد وفاة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) اعتمد الحاجب المنصور بن أبى عامر على البربر فى فى تكوين الجيش الأندلسى وتدعيمه ، واستجلب منهم أعداد كبيرة حتى أصبحوا فى أواخر عصر الخلافة قوة هائلة^(٥).

أما الأدارسة أمراء المغرب الأقصى توافد منهم كثيرون على بلاد الأندلس بعد أن قضى الأميون عليهم سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م. كما هاجر معظم أمراء الأدارسة إلى الأندلس ثانية بعد

١- ابن القاضى ، جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ص ٣١٢ ابن حيان ، المقتبس ص ١١٥ ، ١٢١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ابن عذارى ، البيان ج ص ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

٢- ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجبى ص ١٩٢ ، ١٩٥ .

٣- عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير «العصر الإسلامى» ص ٦٤٧ ، ٦٤٨ .

٤- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام قسم ٣ ص ٦٨ ، اللوحة البدرية فى أخبار الدولة النصرية ص ٢٠ ج ١ .

٥- عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ص ٦٨٨ ، ابن خلدون ، المعبر ج ١ ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

أن استأصل الأمويون شأفتهم من بلاد المغرب سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م نهائيا، وقد ذهب بعضهم إلى قرطبهم وسجلوا أسماءهم في ديوان العطاء^(١)، ضمن جماعة المغاربة، وتفرق الباقون بين القبائل وعاشوا عيشة البداوة^(٢) ثم ظهر البربر على مسرح الأحداث بسبب الصراع بين أفراد البيت الأموي بعد مبايعة الأمير محمد بن هشام الذي حمل لقب المهدي في ١٧ جمادى الآخر سنة ٣٩٩هـ / فبراير ١٠٠٩م.

ولم يكن الخليفة المهدي هذا على قدر من الكفاية السياسية أو الحربية بل أطلق لشهواته العنان وأثار بنى عمه لسوء خلقه وإخفاء هشام المؤيد وسوء معاملته لأقاربهم فزج بهم في السجون وفي مقدمتهم ولى عهده سليمان بن هشام، لكنه زاد في التحامل على البربر. وكان هشام بن سليمان بن الناصر ينقم على المهدي ويدبر لخلعه فأيده البربر ولكن العامة تعصبت للمهدي ونشبت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة هشام بن سليمان وبعض رجاله، وقام المهدي بقتلهم جميعا^(٣).

وكان ممن فر من بنى أمية عقب مقتل هشام بن سليمان ابن أخيه سليمان بن الحكم ابن عبد الرحمن الناصر فالتف حوله البربر ورشحوه لتولى الخلافة مكان المهدي وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالمستعين بالله^(٤).

وفي شهر شوال سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م^(٥) استعان البربر والخليفة المستعين بنصاري الشمال وعلى رأسهم الكونت سانشو غرسية وقد استجاب الكونت سانشو غرسية لمعاونة البربر

١- رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود في مالقة، رسالة ماجستير سنة ١٩٧٦ غير مطبوعة.

٢- ابن أبي زرع، روض القرطاس ص ٥٧، ٥٩، ابن خلدون العبر ج ٦ ص ٢٢١.

٣- ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ص ٨٤، الضبي، بغية الملتبس ص ٢٠، المقرئ، نفع الطبيب ج ١ ص ٤٢٧.

Levi - Provençal, Op. cit., 307.

٤- ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ص ٥١، الضبي، بغية الملتبس ص ٢٠، ابن الأبار الحلة السيرة ج ٢ ص ٥.

Dozy, Ibid. pp. 550-655.

٥- ابن عذارى، نفس المصدر والصفحة، الضبي، نفس المصدر والصفحة.

Levi Provençal, Op. citp. 309.

والخليفة المستعين مقابل التعهد له بالتنازل عن بعض الحصون الواقعة على الحدود. وفى أثناء سير البربر إلى قرطبة التقوا بالفتى واضح صاحب مدينة سالم على رأس قوة من الصقالبة ونشبت بين الفريقين سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م معركة انهزم فيها واضح واصحابه من الصقالبة^(١).

سار البربر صوب قرطبة تعاونهم قوات سانشو فخرج إليهم المهدي فى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ونشبت بين الفريقين معركة عند قنتيش انهزم فيها المهدي وقواته ودخل سليمان المستعين قرطبة فى ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ^(٢) و«بايعوه العامة والخاصة بالخلافة وتلقب بالمستعين»^(٣).

وقلد المهدي، المستعين فى الاستعانة بنصارى الشمال ليساعده على استعادة الخلافة مرة أخرى، فوافق كونت برشلونة رامون بوريل مقابل شروط مجحفة ، منها دفع عطاء يومى له ولجنوده ، وذلك فضلا عن امدادهم بالشراب والمأكل والحصول على ما يفتنونه من البربر^(٤). والتنازل له عن مدينة سالم^(٥).

سار المهدي ومعه أمير برشلونة الكونت رامول بوريل، والفتى واضح على رأس جيش كبير متجهين نحو قرطبة والتقوا مع الخليفة سليمان المستعين ومن ورائه جموع البربر فى منتصف شوال ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م عند منطقة عرفت بعقبة البقر^(٦).

١- ابن عذارى ، البيان ج٣ ص ٨٧ .

٢- ابن عذارى ، البيان ج٣ ص ٨٣ ، ٩١ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ج٢ ص ٦ ، ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٣٠ ، ص ٣٢ ، المراكش المعجب ص ٤٢ ، الضبى ، بغية الملتمس ص ٢٠ Murphy , History of the Mohammedan Empire, p. 115 .

٣- الضبى ، بغية ، ص ٢٠ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ج٢ ص ٧ ، المراكش المعجب ص ٢٢ .

٤- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ج ٣ ص ١١٤ ، ابن عذارى ، نفس المصدر ج ٣ ص ٩٤ .

R. Dozy, Spanish Islam, p. 553 .

٥- ابن بسام ، نفس المصدر قسم ١ مجلد ١ ص ٣٢ ، ابن عذارى ، نفس المصدر ج ٣ ص ٩٤ ، ٩٥ ، ابن الخطيب ، نفس المصدر ص ١١٥ .

٦- ابن الأبار ، الحلة السيرة ج٢ ص ٧ ، الضبى ، ص ٢٢ ، المراكش المعجب ، ص ٤٣ .

وفى هذه المعركة هزم البربر وفر سليمان المستعين إلى شاطبة^(١)، ثم دخل واضح والخليفة المهدي قرطبة وقد جدد واضح البيعة للخليفة المهدي وقام الخليفة بدوره بتعيين الفتى واضح حاجبا له^(٢).

قرر المهدي الانتقام من البربر والقضاء عليهم فتعقبهم وهم في طريقهم إلى الجزيرة الخضراء والتقى جيش المهدي وحلفاؤه من النصارى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م مع البربر ونشبت بين الطرفين معركة هزم فيها الخليفة المهدي وعاد إلى قرطبة حيث قبض عليه حاجبه واضح الصقلبي وقتله^(٣)، وكان واضح يعتقد على المهدي لسوء خلقه واستهتاره وقيامه بقتل عبد الرحمن شنجول^(٤).

وأراد الصقالبة أن يحدوا من سطوة البربر، فقام زعيمهم واضح باخراج المؤيد من سجنه وأخذت البيعة له وتولى واضح الحجابة له^(٥).

أرسل الخليفة هشام المؤيد إلى البربر يدعوهم للدخول في طاعته^(٦) ولكنهم رفضوا وتسكروا بيعتهم للخليفة المستعين، وقاموا بحاصرة مدينة قرطبة والانتقام من أهلها^(٧)، فقد كان البربر يضمنون حقدا لأهل قرطبة لما ارتبوه في حقهم وخاصة في فترة خلافة المهدي.

شدد البربر الحصار على قرطبة وقطعوا عنها المؤن «حتى استبذ بهم الجوع وعدمت

١- ابن عذاري، البيان ج٣ ص ٩٥، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ج٣ ص ١١٥.

٢- ابن بسام، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٢، ابن عذاري، البيان ج٣ ص ٩٤، ص ٣٥.

٣- ابن عذاري، المصدر ص ٤٢، ابن خلدون، العبر ج٤ ص ١٥٠، ابن الأبار، نفس المصدر ج٢ ص ٧.

٤- رجب محمد عبد الحليم، دولة بني حمود في مالقة ١٩٧٦ ص ٢٩.

٥- النهاي، تاريخ قضاة الأندلس ص ٨٦، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ج٣ ص ١٢٩، ابن الأبار، الحلة

السيراء ج٢ ص ٧، ابن عذاري، البيان ج٣ ص ١٠١.

٦- ابن عذاري، المصدر السابق ج٣ ص ١٠٠، ص ١٠١، ابن الأبار المصدر السابق ج٢ ص ٧، Levi

Provençal l'Esp., Musul., T. IIP, 215.

٧- ابن بسام، الذخيرة قسم ١ مجلد ٣٢، المراكش، المعجب ص ٤٣، ابن عذاري، المصدر السابق ج٣

ص ١٠١.

المأكّل»^(١) ثم ساروا إلى مدينة الزهراء غربى قرطبة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م^(٢)، فهاجموا وقتلوا معظم الجند بها، حتى ضبح أهل قرطبة وازدادت نفوسهم حقدا على البربر واضطر الخليفة هشام المؤيد إلى بيع ذخائر قصره للحصول على السلاح والمال^(٣).

وفى تلك الأثناء وصل رسول سانش غريسيه أمير قشتالة إلى قرطبة يطلب تسليمه الحصون المتفق عليها نظير ما قدمه من المساعدات، فوافق الخليفة هشام المؤيد على ما طلب وقام بتسليمه حول مائتين من الحصون^(٤).

أما البربر فقد ظلوا على حصارهم لمدينة قرطبة وازدادت الحالة سوءا ولم يستطع الحاجب مواجهة الحصار والهجمات التى لاتنقطع على المدينة فخشى على نفسه وحاول الهرب ولكن بعض الجند تمكنوا من اللحاق به والقبض عليه وقتله^(٥).

وحاول الخليفة هشام المؤيد أن يباشر أمور الدولة بنفسه والاستغناء عن منصب الحجابة^(٦). غير أنه لم يستطع النهوض بأعباء الدولة فى مثل تلك الظروف المضطربة.

اشتط البربر فى تمسكهم ضد أهل قرطبة واستمروا فى حصارهم وواصلوا هجماتهم على المدينة.

وفى سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م زاد البربر ثورة وصياحا بسبب مقتل أحد قادتهم وهو ماكس ابن أخى زاوى فاقتحموا مدينة قرطبة وأعملوا السيف فى رقاب أهلها^(٧) للثأر لقائدهم ودخل

١- ابن بسام، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٢، المراكش، العجب ص ٤٣، ابن عذارى، المصدر السابق ج ٣ ص ١٠١.

٢- ابن عذارى، نفس المصدر ج ٣ ص ١٠٢.

٣- ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ١١٧.

٤- ابن الخطيب، المصدر السابق ص ١١٧، ابن عذارى، نفس المصدر ج ٣ ص ١٠٣، ١٠٤.

٥- Levi Provencal; l'espagne Musl. T. II pp. 316, 317.

٦- ابن عذارى، نفس المصدر ج ٣ ص ١٠٥، ابن الخطيب، نفس المصدر ج ٣ ص ١١٨.

٧- Levi Provencal l'Esp. Musul. T. II, p. 318, Dozy: Spanish Islam. pp. 558-559.

٨- ابن عذارى، المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٥.

٩- الضبى، بغية الشمس ص ١٩، ص ٢٠، ابن حزم، طرق الحماة ص ٨٧، ص ٨٨، والحميرة ص ٩٣، ابن بشكوال، الصلة، تراجم رقم ٥٢٦، ١٠٣٦، ص ٣٧، ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ١١٢.

الخليفة سليمان المستعين قصر قرطبة فى شوال ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ، فلم يجد الخليفة هشام بدا من التنازل له عن الخلافة معتذرا له بأنه مغلوب على أمره^(١) . وانتهى الخليفة هشام المؤيد إلى مصير مجهول اختلف فيه المؤرخون^(٢) .

استتب الأمر للمستعين نوعا ما بيد أن الحالة ازدادت سوءا مع ازدياد نفوذ البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة واستأثروا بالمناصب العليا وخضع الخليفة المستعين لرغباتهم ونزواتهم . فقسم بعض كور الأندلس على قبائلهم مما أدى إلى تمزق وحدة البلاد مع توالى اضمحلال قوة الخلافة وانحدارها نحو الهاوية ، فقد منح صنهاجة مدينة البيرة وبقيت فى يد حبوس وذريته من بعده وأعطى بن يفرن وبنى برزال الزناتيين «جيان»^(٣) وما حولها أما بنى دمر وأذاجنة فق أعطاهم المستعين مدينة شذونة^(٤) ومورور وأعطى منذر بن يحيى التجيبى سرقسطة^(٥) ، واستقر على بن حمود فى سبته ، وأخوه القاسم بن حمود فى طنجة وأصيلا والجزيرة الخضراء^(٦) .

١- ابن عذارى ، نفس المصدر جـ ٣ ص ١١٣ ، ابن الخطيب ، نفس المصدر جـ ٣ ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٩ ص ٨٠ .

٢- «يرى ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٨٧ ، الحميدى ، الجذوة ص ١٧ ، القلقشندي ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٤٦ ، أن الخليفة المؤيد قتل سرا ، أما ابن عذارى جـ ٣ ص ١١٣ ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٩ ص ٨١ فلا يجزمون بقتله » . عن مصير هشام المؤيد انظر (ابن خلدون ، العبر جـ ٤ ص ١٥١ ، المراكش ، المعجب ، ص ٢٢ ، ص ٢٥ ، ابن الأثير جـ ٩ ص ٧٥ ، ص ٨١) .

انظر الفصل الأول ص ٣٨ .

٣- «كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة .. فى شرقى قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا (ياقوت ، معجم البلدان جـ ٢ ص ١٩٥) .

٤- مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي سوزور من أعمال الأندلس وهما من أعمال أشبيلية «ياقوت ، معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٢٩) أما ابن الكردبوس فيحدد موقعها فى كتابه تاريخ الأندلس فى أنها تقع جنوب غرب الأندلس ، تبلغ مساحتها خمسين ميلا وتقتد من جانب المحيط الأطلسى حتى مصب الوادى الكبير شمالا ويحدها من الشرق الجزيرة الخضراء ، ومن الشمال كورة مورور ومن الغرب المحيط الأطلسى (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، وصفه لابن الشباط ، نسان جديان ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد سنة ١٩٧١م ، مورور تقع قرب قرطبة ، نفس المصدر ص ١٣٧) .

٥- «ثغر فى شرق الأندلس... وهى المدينة البيضاء ، أعظم مدائن الأندلس (ابن الكردبوس ، المصدر السابق ص ١٥٠) .

٦- ابن هشام ، الذخيرة ق ١ ص ٢٦ ، ابن عذارى ، البيان جـ ٣ ص ١١٣ ، ص ٧٥ .

ولم يعد البربر يهتمون بالولاء للخلافة الأموية بل أخذوا يتدخلون في شئونها ويسلبون سلطانها ، فقوى بذلك نفوذهم واشتد خطرهم^(١) ، أما الصقالبة فقد استقلوا ببعض مدن شرق الأندلس^(٢) ، وأصبح سلطان الخلافة الأموية لا يتعدى قرطبة وأشبيلية ولبلة^(٣) ، وأكشونة وباجة^(٤) .

وهكذا أمست الخلافة الأموية في الأندلس ممزقة الأوصال منقسمة على نفسها مقسمة بين البربر والأمويين والصقالبة فطمع فيها الطامعون ، إذ رأوا في ضعفها على تلك الصورة فرصة لتحقيق أطماعهم . وكان على رأس هؤلاء الطامعين على بن حمود الحسنى الذى كن قد ولى سبته من قبل الخليفة سليمان المستعين ، فأرسل إلى خيران العامرى ، صاحب المرية كتابا زعم فيه أنه تلقاه من الخليفة هشام المؤيد يوليه فيها ولاية عهد ، وقام الخليفة هشام المؤيد بإرسال هذا الكتاب سرا إلى سبته^(٥) .

استجاب خيران العامرى والفتيان العامرين من الصقالبة لعلى بن حمود ويابعوه ودعوا له بولاية العهد ، أما على بن حمود ، فأعلن تمرده على الخليفة سليمان المستعين ودعا لهشام المؤيد على منابر سبته وطنجة وقام بسك عملة باسم هشام المؤيد ، ونقش اسمه عليها بصفته وليا للعهد^(٦) .

١- ابن عذارى ، نفس المصدر ، نفس الصفحة ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ج٣ ص ١١٩ .

٢- Dozy, Spanish Islam . p. 562 .

٣- تقع كورة لبلة في جنوب غرب الأندلس ، راجع (العذرى ، نصوص عن الأندلس ص ١١٠ ، ص ١١١ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ١٦٨ ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٤٥ حاشية ٢) .

٤- تقع باجة في جنوب البرتغال وهى في الغرب من قرطبة ، وهى أقدم مدائن الأندلس .. وهى أرض زرع وصنوع (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٤٦ راجع الحميرى ص ٦) .

٥- ابن عذارى ، البيان ج٣ ص ١١٤ ، الضبى ، بغية الملتبس ص ٢١ .

Lévi Provencal , L'Esp. Musul. T II pp. 563, 564 .

ابن بسام الذخيرة ق١ مجلد ١ ص ٢٦ ، ص ٢٩ .

٦- Codera : Numismatica, p. 116, 117 Medried 1879.

ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ج١ ص ٢٤٥ .

F.G. Rables, Malga Musulman p. 65 . Malga1880 .

سار على بن حمود من سبتة إلى مالقة واستولى عليها^(١)، ولكي يضمن كسب أنصار له من الصقالبة وأهل قرطبة أعلن أنه ما جاء إلا لنصرة هشام المؤيد^(٢)، ودخل قرطبة سنة ١٠٧هـ / ١٠١٦م وذلك بمساعدة الصقالبة والبربر.

وقام على بن حمود بقتل الخليفة سليمان المستعين وأخيه والدهما «وجعل رؤس الثلاثة في طشت ونادى هذا جزاء من قتل هشام المؤيد»^(٣) ثم دعا لنفسه وبوع بالخلافة بالناصر لدين الله^(٤).

ونجح بنو حمود الأدارسة في القضاء على الخلافة الأموية في الأندلس كما فاز البربر في خضم هذه الأحداث وأصبحت لهم الكلمة العليا في شئون البلاد.

أما الصقالبة العامريون، فلم يعطيهم الخليفة على بن حمود فرصة الاستئثار بالسلطة دونه فانسحبوا إلى شرق الأندلس واستمرت بلاد الأندلس وحتى سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م في فوضى واضطراب ووثوب خليفة على آخر إلى أن أعلن الوزير ابن حزم بن جهور قراره بإبطال الخلافة وإزالة الأمويين وطردهم من قرطبة^(٥)، فنودى في الأسواق ألا يبقى أحد من الأمويين وألا يحميهم أحد^(٦). وكان آخر خليفة على الأندلس هو هشام المعتمد الذي فر إلى مدينة لاردة حيث توفي بها وكان خلعه في ١٢ من ذي الحجة ٤٢٢هـ^(٧) / ١٠٣١م، وبخلعه انتهت الدولة الأموية في الأندلس وقامت على أنقاضها دول الطوائف .

١- الضبى ، بغية الملتمس ص ٢٠ ، المراكشي المعجب ، ص ٤٤ .

٢- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٢٠ ، ص ١٢١ .

٣- ابن عذارى ، المصدر السابق ج ٣ ص ١٢١ .

٤- الضبى ، بغية الملتمس ص ٢١ ، الحميدى ، الجذوة ص ٢٠ .

٥- ابن بسام ، الذخيرة ق ١ م ص ٧٩ ، الحميدى ، نفس المصدر ص ٢٢ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٢٢ ،

ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٠٨ ، المراكشي ، المعجب ص ٤٩ .

٦- ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ .

Levi - Provençal , L'Esp. Musul. T II p. 340 .

٧- ابن الخطيب ، المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٢ ، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١٥٢ .

٨- ابن عذارى ، المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٥ .

ولقد نتج عن سقوط الخلافة الأموية أن انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة كما سبق أن ذكرنا، واستقر كل أمير بناحيته، وأعلن نفسه أميرا عليها ، فأظل البلاد عصر ملوك الطوائف^(١).

وأسهم البربر فى هذه الأحداث وأسسوا دويلات بربرية فى الأندلس ومن أهمها أيضا دولة بنو زيرى فى غرناطة وهم من قبيلة صنهاجة ، وبنو حمود الأدارسة الحسنيون العلويون حيث انتهز أحد أمرائها وهو على بن حمود وكان يلى سبته وطنجة ، فرصة ضعف الخلافة الأموية فى الأندلس ، فاستولى على مالقة، ثم تقدم إلى قرطبة وقتل الخليفة الأموى سليمان بن الحكم بن سليمان ابن عبد الرحمن «الملقب بالمستعين» وذلك ٤٠٧هـ / ١٠١٦م وأسس دولة الحموديين وجعل قاعدتها مالقة^(٢).

على أن نفوذ ابن حمود فى الأندلس وإن كان قد امتد إلى قرطبة فترة قصيرة من الوقت، إلا أنه كان قاصرا على منطقة مالقة والجزيرة الخضراء. أى فى الجزء الجنوبى من الأندلس المجاور لممتلكاتهم فى شمال المغرب . ولم يلبث بنو حمود أن انقسموا على أنفسهم ، وصار كل واحد منهم يدعى الخلافة لنفسه ويلقب نفسه بلقب خلافى، مثل المهدي والعالى والمستعلى...^(٣).

ولم يلبث نفوذ بنى حمود أن انتهى فى الأندلس بأن استولى بنو زيرى ملوك غرناطة على مالقة . وعاد الحموديون مرة أخرى إلى مقرهم الأصيل فى العدو المغربية.

ومن هذا نرى أن البربر الذين فتحت الأندلس أبوابها لهم، لم يكونوا مخلصين الاخلاص الكافى للأمويين فى الأندلس، فحين أحسوا بضعف الخلفاء الأمويين فى أواخر عصر الخلافة وعجزهم عن تدبير شئون الدولة وجدوا الفرصة سانحة لتحقيق أطماعهم ، فتدخلوا فى شئون الدولة ونصروا خليفة على آخر ولم يراعوا للخلافة حرمة بل اهتموا بتحقيق أطماعهم فاستقلوا

١- العبادى، أحمد مختار العبادى، فجر تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ ، انظر الفصل الأول

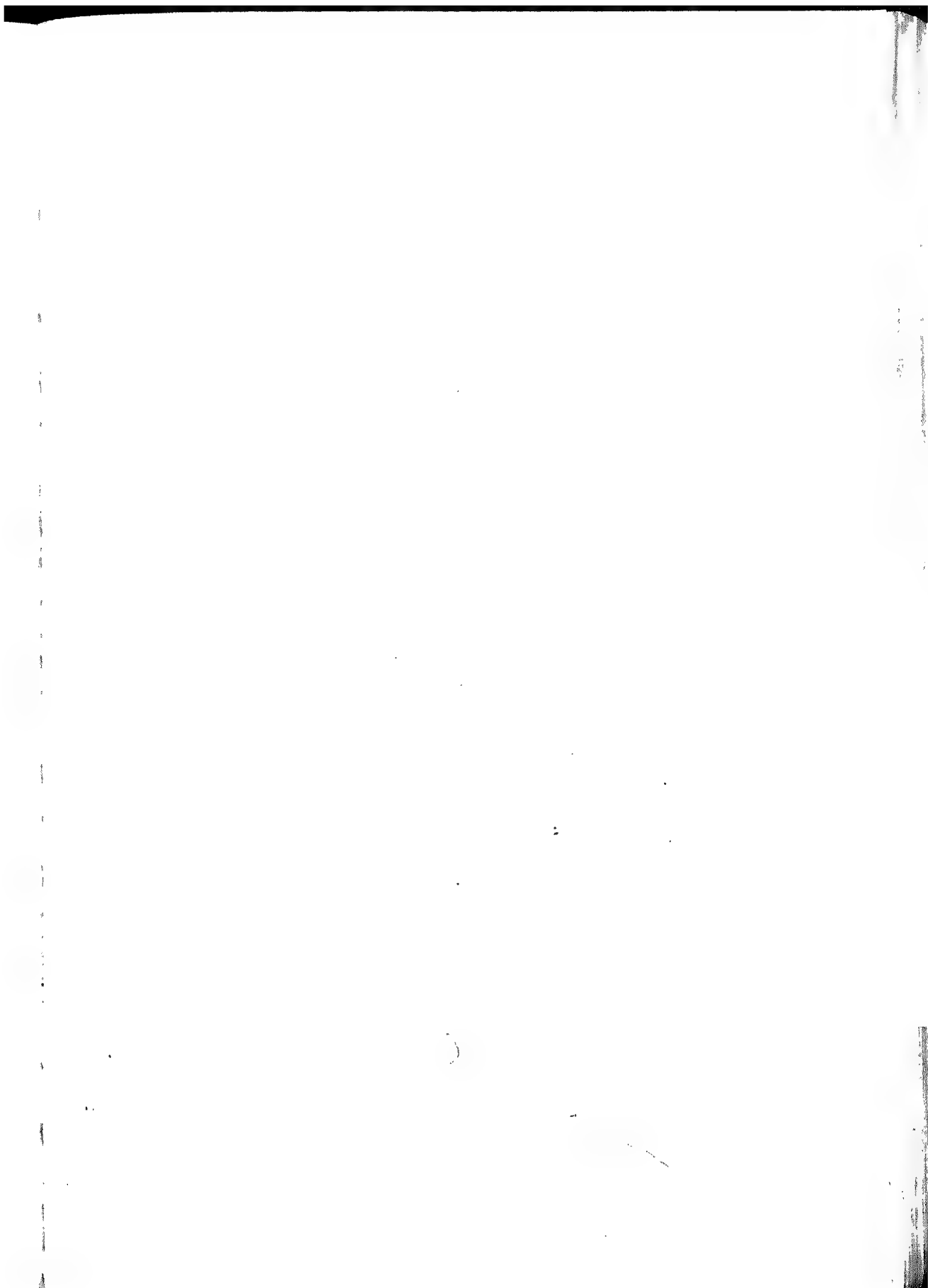
ص.

٢- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ١٤٨ ، ص ١٤٩ .

العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧٦ .

٣- عبد الواحد المراكشى، المعجب ص ٦٣ ، ص ٦٤ ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام.

ببعض الأقاليم وأعملوا السلب والنهب الأمر الذى جعل ياقوت يقول «والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصفاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط، ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطلة مائلة وغرائزهم ضد الحق جائلة فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا ، وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا ، وكم ادعى فيهم مذاهب الخوارج ، فالى مذهبه بعد الاسلام انتقلوا ، ثم سفكوا الدماء المحرمة ... ونهبوا الأموال واستباحوا الرجال لاهشجاعة فيهم معروفة ، ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد»^(١).



الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب

- أهم المراكز التجارية فى الأندلس - أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب - الطرق التجارية فى الأندلس والمغرب - الطرق التجارية فى الأندلس - الطرق التجارية فى بلاد المغرب - التجارة الداخلية فى الأندلس والمغرب - الأسواق، الفنادق، الأسعار، السلع - تسعير السلع - الأشراف على الأسواق - المحتسب ... الخ - وسائل المعاملات - العملة، السفائح، الصكوك، الموازين، المكاييل - التجارة الخارجية المتبادلة بين الأندلس والمغرب - الطرق التجارية بين الأندلس والمغرب - السلع المتبادلة

العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب :

تمثل العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب رباطا من أقوى الروابط التى جمعت بين هذين القطرين.

ولما كانت المراكز التجارية فى كل من الأندلس والمغرب وأسواقهما تمثل محورا لهذه العلاقات الاقتصادية التى ربطت بينهما، كان من الضروري أن نعرض لهذه المراكز التجارية فى بلاد الأندلس والمغرب حتى تتضح لنا صورة من صور العلاقات الاقتصادية بين القطرين الكبيرين ودورهما فى خدمة الاقتصاد فى كل منهما .

أهم مراكز التجارة فى بلاد الأندلس :

١- أشبيلية :

وهى مدينة قديمة تقع فى الجنوب الغربى من الأندلس بالقرب من البحر المحيط^(١). يطل عليها جبل الشرف وهو جبل يكثر به شجر الزيتون وسائر الفواكه^(٢). وتعتبر مدينة أشبيلية

١- القلقشندى، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٢٥ .

٢- ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٩٥ .

من أهم المراكز التجارية انتاجا لزيت الزيتون حيث تقوم بتصديره إلى سلا^(١) فى بلاد المغرب وإلى الاسكندرية وإلى بلاد المشرق أيضا^(٢) «ويبقى زيتها برقتها وعذوبته أعواما لا يتغير»^(٤). وتشتهر أشبيلية بإنتاجها العظيم من القطن حيث تقوم بتصديره لجميع بلاد الأندلس والمغرب^(٥) ويوضح الحميرى ، أهمية أشبيلية التجارية ، يقول : «هى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامرة أهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برا وبحرا ... والقطن يوجد بأرضها فيعم بلاد المشرق ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسجلماصة وما ولاها»^(٦).

كما كانت أشبيلية من أهم البلاد إنتاجا لقصب السكر^(٧) ، وما زاد من أهمية أشبيلية التجارية أنها كانت مركزا هاما لصناعة السفن^(٨). ويذكر البكرى أن جباية أشبيلية انتهت إلى خمسة وثلاثين ألف دينار ومئة دينار^(٩).

١- الأديسى ، صفة المغرب ص ١٧٨ ، ابن سعيد ، نزهة الأنظار ج ١ ص ١٤ .

٢- المقرئ ، نفع الطيب ج ١ ص ١٣٩ .

٣- العنرى «من كتاب ترصيع الأخبار وتنوع الآثار والبتان فى غرائب البلدان والمسالك والممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ ، ص ٩٥ .

٤- العنرى ، من كتاب ترصيع الأخبار .

٥- ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٩٥ .

٦- الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٠ ، ٢١ ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٩٢ .

٧- الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٠ ، ٢١ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٩٣ ، العنرى ، ترصيع الأخبار ص ٩٦ .

٨- ابن حيان ، المقتبس ص ١٠١ .

٩- البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ص ١١٦ .

وتقع على الساحل الشرقى للأندلس^(٢) بين إمارتى مالقة ومرسية^(٣)، وترجع أهمية المدينة التجارية أنها اتخذت قاعدة للأسطول الأندلسى^(٤) حيث أن «بحرها مولى للسفن الكبار»^(٥). ويضيف ياقوت أن المرية «كانت بابى الشرق منها يركب التجار وفيها تحمل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر أسوارها»^(٦). وكان مرسى مدينة المرية مقسما قسمين قسم للعدد والآلات الخربية والقسم الآخر للمراكب التجارية^(٧)، هذا وقد «رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها»^(٨).

وقد انتشرت فى المرية صناعة الموشى : الديباج^(٩) فتفرقت على قرطبة وأجادات هذه الصناعة إجابة تامة^(١٠).

وبالمرية من الطرز أعداد كثيرة^(١١)، فقد بلغت طرز الحرير فيها ثمانمائة طراز^(١٢). ويصنع بها من أنواع الثياب الكثير مثل «الديباج والسقلاطونى والاصبهانى والجرجانى

١- R.B. Serbeant : Islamic textiles material for a history up to Mongol conquest p. 169 .

٢- الحميرى ، الروض المعطار ص ١٨٣ ، ابن فضل الله العمري، وصف افريقية والاندىلس ص ٤٠ ، عنان الآثار الأندلسية ص ٤ .

٣- القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٢ ص ٢١٧ .

٤- «أنناها الناصر لتكون مرصدا بحريا (ابن فضل العمري، وصف افريقية والاندىلس ص ٤٠) .

٥- ابن الخطيب ، معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار .

٦- ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١١٩ .

٧- العدرى ، من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦ ، ابن حيان ، المقتبس ص ١٠ ، العبادى ، من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦ .

٨- ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١١٩ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٨٤ .

٩- ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١١٩ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ١٥٥ .

١٠- الأدرى ص ١٩٨ .

١١- الحميرى ، الروض المعطار ص ١٨٤ ، وانظر زكى محمد حسن فنون الاسلام م ص ٣٨٩ .

والمستور المكمل والثياب المعينة والعتابي الفاخر^(١) « واستشهرت المرية بانتاجها الوفير لمعدن الحديد الذى استخدم فى الصناعات المختلفة من أهمها آلات الحرب من التروس والرماح والسروج^(٢) والدروع وصناعة السفن أيضا، فقد كانت بها دار لصناعة السفن^(٣). ومن أهم واردات مدينة المرية القمح، إذ ترد الحنطة إلى المرية من بر العدو^(٤)، وقد ازدحمت مدينة المرية بأعداد كثيرة من الفنادق فقد كان بها « ألف فندق إلا ثلاثين فندقا »^(٥).

٣- قرطبة :

ومدينة قرطبة^(٦) من المدن الأندلسية التى كانت تزدهم بالأسواق التجارية ومعظم أهلها يشتغلون بالتجارة ، يقول ابن حوقل : « وهى متصلة الأسواق والبيرج والحمامات والخانات »^(٧).

وقد اتصلت بها العمارة فى أيام دولة بنى أمية ثمانية قراسخ وفى عرضها فرسخين وذلك من الأميال أربعة وعشرون ميلا فى الطول وستة أميال فى العرض^(٨) « وكان إقليم قرطبة يضم كورا^(٩) كثيرة »^(١٠).

١- الحميرى ، الروض المعطار ص ١٨٤ « الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية والقطنية المختلفة الألوان » (أما العتباى فينسب إلى حى Dozy, Diction pp. 113-436).

عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه (انظر : Dozy, Op. cit. p. 110).

٢- الادريسي ، صفة المغرب ص ١٩٧ ، المرقى ، نفح الطيب ج ١ ص ١٥٤ .

٣- ابن حيان ، المتكسب ص ٢٨ ، الحميرى ، الروض المعطار ص ١٨٣ .

٤- العمري ، « وصف إفريقية والأندلس » مسالك الأبصار ص ٤٦ ، القلقشندي صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٢١٧ .

٥- الحميرى ، الروض المعطار ص ١٨٤ .

٦- R. B. Serjeant: Islamic textiles pp. 168-169 .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٠٨ .

٨- مجهول ، وصف جديد ص ١٦٦ .

٩- الكور مفردا كورة : وهى مصطلح يطلق على الأقسام الادارية فى الأندلس (وهو أشبه باللواء أو المديرية أو المحافظة) وكان هذا التقسيم الادارى على أساس الكور منها فى الأندلس عدا الشغر، راجع حسيم مؤنس ، فجر الأندلس ص ٥٥٥ ، ٥٧٨ ، البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق الحنجى ص ١٠٤ .

١٠- البكرى ، جغرافية الأندلس ص ١٠٤ .

ويعصف الحميرى مدينة قرطبة موضعا أهميتها كعاصمة لبلاد الأندلس، وكمركز تجارى عظيم بقوله : «وهى قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها ... وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة وهى فى ذاتها مدن خمس يتلو بعضها البعض وبين المدينة والمدينة سور حاجزة وفى كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وهى فى سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس»^(١).

ترجع أهمية قرطبة التجارية إلى شهرتها بالإنتاج الوفير من معدن الزئبق^(٢) حيث كانت تصدره إلى بلاد المغرب، يقول المراكشى: «وعلى أربع مراحل من قرطبة موضع يسمى شلون فيه معدن الزئبق ، ومنه يفترق على جميع بلاد المغرب»^(٣). وكان معدن البللور يستخرج من حصن منتون من عمل قرطبة^(٤)، واشتهرت مدينة قرطبة باستخراج نوع جيد من الفضة^(٥)، وكانت بجبل قرطبة مقاطع للرخام الأبيض الناصع اللون والخمري^(٦)، كما اشتهرت باستخراج مادة الزئجفور التى تستخدم فى الصباغة^(٧). ومعدن الحديد^(٨) ولذا اختصت قرطبة بصناعة الآلات والعدد الحديدية خاصة ما يتعلق منها بأعمال البناء^(٩). كما قامت فيها صناعة هامة وهى صناعة آلات السفن كالمراسى والسامير^(١٠).

هذا وقد حظيت قرطبة فى عصر الخلافة بشهرة واسعة فى صناعة المنسوجات بأنواعها مثل الأقمشة الحريرية بمختلف أنواعها^(١١)، ولكن هذه الصناعة لم تلبث أن اضمحلت بعد سقوط

-
- ١- الحميرى، الروض المعمار ص ١٤٠ .
 - ٢- الادريسى، صفة المغرب ص ٢١٣، المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ١٨٦ .
 - ٣- المراكشى ، المعجب ص ٣٦٣ سنة ١٩٤٩ .
 - ٤- البكرى ، جغرافية الأندلس ص ١٢٧ .
 - ٥- المقرئ، نفح الطيب ج ٢ ص ٦١ ، ج ١ ص ١٨٦ .
 - ٦- المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ١٨٦ .
 - ٧- الادريسى ، صفة المغرب ص ٢١٣ ، الحميرى الروض المعمار ص ١٠ .
 - ٨- ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢١ ، الحميرى، الروض المعمار ص ١٤٣ .
 - ٩- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ج ٢ سنة ١٩٧٢، ص ١٣٥ .
 - ١٠- سالم، المرجع السابق ص ١٣٥ .
 - ١١- المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ١٠٢ ، ١٢٣ ، سالم، تاريخ مدينة المربة ص ١٥٥ .

الخلافة فتفوقت عليها المرة^(١) وكانت مدينة قرطبة ذات تجارة نشطة مزدهمة أسواقها بمختلف أنواع السلع وكانت غالبية هذه الأسواق تحيط بجامع قرطبة^(٢)، وكانت بمتاجر قرطبة مخازن للبضائع تؤجر للتجار الأجانب^(٣).

٤- مالقة :

وهى من المراكز التجارية والصناعية الهامة فى بلاد الأندلس وتقع «على بحر الزقاق المعروف بالمجاز»^(٤) وهى واسطة بين الجزيرة الخضراء والمرة^(٥). ويعد المقرى مزايا مدينة مالقة كمركز تجارى هام بقوله: «وهى إحدى قواعد الأندلس، ويلادها الحسان، جامعة بين مرافق البر والبحر، كثيرة الفواكه، رأيت العنب يباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرتال بدرهم صغير ورماتها المرسى الياقوتى الذى لانظير له فى الدنيا»^(٦). وتشتهر مدينة مالقة بكثرة نتاجها من الفاكهة المختلفة مثل التين واللوز الذى كان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها^(٧)، فيحمل إلى مصر والشام والعراق^(٨).

واشتهرت مالقة أيضا بزراعة العنب ويذكر المقرى أنه ليس بالأندلس أكثر عنبا وتينا يابسا منها^(٩)، وتحتوى مدينة مالقة على مبان فخمة وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة^(١٠)، ومن الصناعات التى اشتهرت بها مدينة مالقة يقول العمري «صناعة الفخار المذهب العجيب

١- ياقوت، معجم البلدان مجلد ٥ ص ١١٩ .

٢- الحميرى، الروض المعطار ص ١٤٠ .

٣- Levi Provencal , l'Esp., Musul. p. 181 .

٤- ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٤٣ .

٥- ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٤٣ .

٦- المقرى، نفع الطيب ج ١ ص ١٥٢ .

٧- المقرى، نفع الطيب ج ١ ص ١٥٢، القلتشندى، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، ابن سعيد، المغرب ج ١ ص ٤٢٣ .

٨- الحميرى، الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى، نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٥ .

٩- المقرى، أزهار الرياض فى أخبار عياض ج ١ ص ٤١ .

١٠- الحميرى، الروض المعطار ص ١٧٨ .

وكان يصدر إلى خارج البلاد^(١) وصناعة نوع من الجلود يسمى السفن ، وهو خشن غليظ كجلود الماشية يستخدم فى الصناعات الجلدية، وكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية^(٢).

وصناعة المنسوجات مثل الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب التى كانت تصدر إلى بلاد المشرق والمغرب وتباع بأعلى الأسعار «وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف»^(٣) ومن الصناعات المتعلقة بالمنسوجات صباغة الحرير^(٤)، وصناعة الملابس الكتانية التى كانت تصدر إلى البلاد الأخرى منها ملابس للعمامة ، وثياب للحكام لاتقل جودة عن الحرير الديبى «وثيابها دقيقة تضاهي رفيع النطوى الجيد»^(٥).

وعرفت مالقة أيضا بصناعة الحديد فصنعوا منه المقصات والسكاكين والآلات اللازمة لمختلفة الأغراض اليومية، كما صنعوا من الحديد أيضا التراس والرماح والدروع والسيوف^(٦). وقد نشطت الحركة التجارية فى مدينة مالقة وانتشرت بها الأسواق التجارية التى امتلأت بمختلف أنواع السلع من غلال وشعير وقمح وذرة وأصناف فاكهة^(٨)، والتمر المجلوب من بلاد المغرب من فاس وتنس كما جلبت إليها الأغنام من تاهرت وقصب السكر من المغرب الأقصى .

١- العمرى مسالك الأبصار ص ٤٧، القلقشندي، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩ .

٢- الاصطخرى ، المسالك والممالك ص ٣٥، العمرى، مسالك الأبصار ص ٤٨، القلقشندي، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩ .

٣- المقرئ، نفع الطيب ج ١ ص ١٧٨، ج ٤ ص ٢٠٦ .

٤- المقرئ، نفع الطيب ج ١ ص ١٦٦، ١٦٧ .

٥- الديبى: نوع من القماش الحرير الذى كان ينسج فى بلدة ديبى فى مصر (زكى محمد حسن ، فنون الاسلام ص ٣٤٧) .

٦- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٠٩ .

٧- العمرى، مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٨، المقرئ، نفع الطيب ج ١ ص ١٣٨ .

٨- ابن حزم ، الرد على ابن التفريلة اليهودى ص ١٧٥، ١٧٧ .

وقد ساعد الموقع الجغرافى للمالقة على الساحل الشرقى الجنوبى^(١) لبلاد الأندلس على أن تكون منفذا تجاريا عظيما إلى بلاد المغرب، ومنها إلى بلاد الشرق. وكانت مالقة يصدر منها العنبر والكتان والحريز والمرجان والرصاص والذهب والفضة والعسل^(٢). كما كانت من المدن التى يستخرج منها الياقوت الأحمر الذى استخدم فى صناعة الحلى من الجواهر والذهب^(٣).

وبما زاد من أهمية مالقة كميناء تجارى هام أنه أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية إلى جانب السفن الحربية وخاصة الحرايق^(٤).

وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة المصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالبة^(٥).

٥- الجزيرة :

كانت الجزيرة من أهم المدن التجارية فى بلاد الأندلس «فهى وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس عبورا إلى العدو»^(٦)، وبين الجزيرة وبين قرطبة خمسة وخمسون فرسخا^(٧).

ويعتبر مرسى الجزيرة من أجود المراسى للعبور وأقربها من البحر^(٨) فكانت تقع على ريو مشرفة على البحر جنوبى أسبانيا وتطل على مضيق جبل طارق . وكانت بها دار صناعة السفن^(٩)، وكان مرساها أحسن المراسى^(١٠).

١- الحميرى، الروض المعطار ص ١٧٧ ، عنان ، الآثار الأندلسية ص ١٩٦ .

٢- الاصطخرى ، المسالك والممالك ص ٣٧ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٩٤ ، ٩٥ .

٣- Scott : Hist. of the Moorish Empire. Vol III p. 628 .

٤- القلقشندي، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨ ، العمري ، مسالك الأبصار ص ٤٧ .

٥- المقدسى، أحسن التقاليم فى معرفة الأقاليم ص ٤٤٢ ، ص ٤٤٣ .

٦- الحميرى، الروض المعطار ص ٧٤ .

٧- ياقوت ، معجم البلدان ج ٢ ص ١٣٦ .

٨- العذرى ، نفس المصدر ص ١١٧ ، ١١٨ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٩٤ ، الأذريسى، صفة المغرب ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

٩- الحميرى، الروض المعطار ص ٧٤ .

١٠- ابن سعيد ، المغرب ج ١ ص ٣٢ .

وقد بلغت جباية كورة الجزيرة وحدها نحو ستمائة دينار وثمانية عشر ديناراً^(١).

٦- غرناطة :

أما غرناطة فتقع فى جنوب الأندلس ومن أهم مراكزها التجارية، بينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً^(٢).

وكانت غرناطة من أهم المراكز التجارية إنتاجاً للكتان وتصديراً له^(٣)، وكانت تنتج « ثياب اللباس المحررة الصنع ويعرف بالبلد ذو الألوان العجيبة »^(٤).

واشتهرت المدينة بإنتاج وفير من أنواع الفاكهة ، فيذكر القلقشندي أن غرناطة بها من الفواكه والتفاح والقرصيا البعلبكية التى لاتكاد توجد فى الدنيا منظراً وحلاوة .. وبها الجوز والقسطل والتين والأعناب. وكانت تستخرج منها المعادن والذهب^(٥) والفضة والعصفر والحديد والرصاص والتوتيا والنحاس^(٦).

٧- طليطلة^(٧) :

تقع على شاطئ نهر تاجة^(٨) بين الجوف والشرق من قرطبة^(٩) « وهى مدينة كبيرة ذات

١- العذارى من كتاب ترصيع الأخبار ص ١٣٠ ، الحميرى ، الروض المعطار ص ٧٤ ، البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ص ١١٨ .

٢- ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ، ص ١٩٥ .

٣- الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٤ .

٤- المقرئ ، نفح الطيب ج ١ ص ١٨٧ ، والمجلد نوع من القماش الحرير كان يصنع فى غرناطة . (Dozy, Diction. p. 114)

٥- ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ، ص ١٩٥ .

٦- الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٤ ، ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ج ١ تحقيق عنان ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ص ١٠٤ .

٧- يقول البكرى ، « واسم طليطلة باللاتينى تولاطو ومعناه «فرح ساكنوها» ، يريدون لحصانتها وصناعتها. راجع وصفها أيضا (الحميرى ، الروض المعطار ص ١٣٠ ، ١٣٥ .

٨- ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ، ص ٤٠ .

٩- ابن الكردوبوس ، تاريخ الاندلس ، وصفه لابن الشباط ص ١٤٨ ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ .

خصائص محمودة^(١) «اشتهرت بانتاجها الوفير من الزعفران^(٢) الذى يصدر إلى جميع الجهات، «وطليطلة من أجل المدن قدرا وأعظمها شأنًا ومن خاصيتها أن الغلال تبقى فى مطاميرها سبعين سنة لا تتغير»^(٣)، كما أن حنطتها لا تسوس على مر السنين. وكانت طليطلة مركزا هاما لانتاج كثير من أنواع الفاكهة المختلفة أهمها «صنف من التين فى نهاية الحلاوة»^(٤).

بعض المراكز الأخرى: مثل :

١- بجانة^(٥):

فهى ميناء يقع على ساحل الأندلس الجنوبى على مصب وادى أندرش شرقى المرية وبينها وبين المرية فرسخان^(٦)، وبجانة ذات أهمية تجارية عظيمة لوقوعها على الساحل الجنوبى للأندلس إذ كانت منفذا من المنافذ المؤدية إلى بلاد المغرب «كانت تجلب إليها الميرة- من بر العدو»^(٧). وكان بها الكثير من الفنادق^(٨) لنزول التجار والغرباء هذا وقد انتشرت بجانة طرز صناعة الحرير التى جنت من ورائها أرباحا وفيرة^(٩).

١- ياقوت، معجم البلدان ج٤ ص ٣٩ .

٢- ياقوت، معجم البلدان ج٤ ص ٤٠ ، ابن غالب فرحة الانفس ص ٢٨٨ .

٣- ياقوت ، معجم البلدان ج٤ ص ٤٠ ، القزوينى، آثار البلاد ص ٤٤٦ .

٤- ابن سعيد ، المغرب فى على المغرب ج٢ ص ١٧ ، حسين مؤنس المسلمون فى حوض البحر المتوسط ص ١٢٣ .

٥- «كانت لبجانة (Pechina) أهمية كبيرة وكانت مرصدا للحراسة البحرية وحين بنى الخليفة عبد الرحمن الناصر المرية سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م نافست بجانة وذهبت بأهميتها وأصبحت المرية قاعدة بحرية عظيمة » أنظر (الحميرى، الروض المعمار ص ٣٧، ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص ٦١ ، العدرى ص ٨٢ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب ج٢ ص ١٩٠ ، القزوينى آثار البلاد ، وأخبار العباد ص ٥٠٩) .

٦- ابن سعيد المغرب ج٢ ص ١٩٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ج١ ص ٣٣٩ .

٧- الحميرى ، الروض المعمار ص ٢٨ .

٨- «كانت هذه الفنادق مبنية من الحجارة » (القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٩) .

٩- الحميرى ، الروض المعمار ص ٣٨ .

٢- جيان :

كانت جيان أيضا من المراكز التجارية الهامة فى بلاد الأندلس وتقع فى شرق قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا^(١)، وتعد جيان من أهم المراكز التجارية إنتاجا للحرير حيث يربى فيها «دود الحرير»^(٢) حتى أنها عرفت بجيان الحرير لكثرة^(٣) فيها «بالإضافة إلى أنها كانت من أعظم مدن الأندلس وأكثرها خصبا وتشتهر برخص أسعار المواد الغذائية مثل اللحوم والحبوب»^(٤). وكانت من أكثر بلاد الأندلس إنتاجا للفاكهة^(٥) والقمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب^(٦) وتميزت بكثرة الأسواق الجامعة والقرى ذات العمارات الواسعة^(٧).

٣- المنكب : (Almunica)

وتقع على ساحل شبه جزيرة الأندلس وهى من أعمال البيرة بينها وبين غرناطة أربعون ميلا^(٨)، ولم تكن مجرد دار لصناعة السفن^(٩)، بل كانت تضم عددا كبيرا من الأسواق والأرباض مما جعلها مركزا هاما لتصدير عدة محاصيل أهمها قصب السكر والموز والزبيب^(١٠).

١- ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص ١٩٥ .

٢- الادريسي، صفة المغرب ص ٢٠٢ ، الحميرى، الروض المعطار ص ٧٠ .

٣- ابن سعيد ، المغرب ص ٥١ .

٤- ابن سعيد ، نفس المصدر السابق ص ٥١ .

٥- القلقشندي، صبح الأعشى ج٥ ص ٢٢٩ .

٦- الحميرى، الروض المعطار ص ٧٠ .

٧- الحميرى ، الروض المعطار ص ٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص ١٩٥ .

٨- الحميرى، الروض المعطار ص ٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان ج٥ ص ٢١٦ .

٩- القلقشندي، صبح الأعشى ج٥ ص ٢١٨ ، العمري، وصف أفريقيا ص ٤٧ .

١٠- القلقشندي، صبح الأعشى ج٥ ص ٢١٨ ، العمري ص ٤٧ .

٤- البيرة :

أما البيرة فهي بين القبلية والشرق من قرطبة ^(١)، كثيرة الأشجار والأنهار «وما يطول ذكره من صنوف الخيرات» ^(٢). وكانت للبيرة شهرة واسعة في إنتاج الحرير ونسجه ^(٣).

وكذلك غزل الكتان ونسجه ^(٤)، وكانت أكثر بلدان الأندلس إنتاجا للفاكهة وخاصة الموز وقصب السكر ^(٥)، كما اشتهرت بإنتاج أنواع من المعادن أهمها الذهب والفضة والحديد وحجر التوتيا ^(٦). «والرخام من النوع اللين الذى يستعمل فى صناعة الأطباق والأكواب والأقداح حيث يصدر إلى معظم بلدان الأندلس» ^(٧).

كما سبق يتبين كيف كان الانتاج الاقتصادى وفيرا ببلاد الأندلس فى جميع مظاهره الزراعية والصناعة، فكانت الثغور نشطة والصناعات منطوية والانتاج غزيرا.

إلى أن سقطت الخلافة فأصاب الأندلس ما أصابها من نقص فى الانتاج واضطراب فى الاقتصاد .

أهم مراكز التجارة فى بلاد المغرب :

١- برقة :

كانت برقة من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب فيصفها ابن حوقل بقوله : «وأما برقة فمدينة وسطه ليست بالكبيرة الضخمة ولا بالصغيرة ... ولها كور عامرة وغامرة ... وبها من التجار وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع لما فيها من التجارة ، عابرين عليها مغربين

١- الحميرى، الروض المعطار ص ١٨٦ .

٢- ابن سعيد ، المغرب ج ٢ ص ٩١ .

٣- الاصطخرى ، المسالك والممالك ص ٣٦ ، ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٤ .

٤- ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٨٤ ، ياقوت معجم البلدان ص ٢٤٤ .

٥- القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٢ ، الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٤ .

٦- ياقوت، معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٤ ، الحميرى، الروض المعطار ص ٢٤ .

٧- ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٨٣ .

ومشرقين وذلك أنها تنفرد فى التجارة بالقطران الذى يسمى فى كثير من النواحي كهر، والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة، ولها أسواق حادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من الشرق والواردة من الغرب^(١).

وكانت برقة من أهم مراكز صنعة الجلود ودبغها ، وكانت تصدر كميات وفيرة منها^(٢). كما كانت من أهم مراكز عصر الزيوت وخاصة زيت الزيتون^(٣)، وقد أوضح البكرى فى كتابه أهمية مدينة برقة التجارية بقوله : «وهى دائمة الرخاء كثيرة الخيرات وأكثر ذبايح أهل مصر منها ويحمل منها إلى مصر الصوف والعسل والقطران»^(٤).

ويضيف ياقوت «وفى مدينة برقة أسواق ومنبر ولها عدة محارس»^(٥).

٢- طرابلس :

أم مدينة طرابلس فكانت من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب^(٦) فهى خصبة الأرض تكثر بها الفواكه ، وكان مرساها صالحا لرسو السفن^(٧)، وكانت المراكب تحط عليها ليلا ونهارا وترد إليها التجارة على مر الأوقات والساعات صباحا ومساء من بلد الروم وأرض المغرب مليئة بضروب الأمتعة والمطاعم^(٨).

وتكثر بها الأسواق^(٩) التى كانت حافلة جامعة بمختلف أنواع السلع والتجارات^(١٠).

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٦٩ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٦٩ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٦٩ .

٤- البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٥ .

٥- ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٣٨٩ .

٦- ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥ .

٧- ابن حوقل صورة الأرض ص ٧٢ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٢ .

٩- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٢ .

١٠- ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥ .

وكانت هذه الأسواق بها الكثير من النفاذق والحمامات^(١) المجهزة لخدمة التجار الوافدين ، كما عرفت بانتاج «الصوف المرتفع وطبقان الأكسية الفاخرة الزرق، والكحل النفوسية * والسود والبيض الثمينة»^(٢).

كما اشتهرت بتجارة الرقيق الأبيض والأسود ، وذلك لموقعها على رأس احدى الطرق التجارية الهامة المؤدية إلى السودان^(٣) ، ومنها أى طرابلس - كانوا يرسلون إلى الشرق الإسلامى. وأكثر أهل طرابلس تجار يسافرون برا وبحرا ويعرفون بالسماحة وحسن المعاملة^(٤).

٣- القيروان :

لم تكن حاضرة تونس فحسب إنما كانت من أعظم المراكز التجارية فى بلاد المغرب، وصفها المقدسى بقوله : «بأنها مفخر المغرب ومركز السلطان»^(٥).

وترجع أهمية القيروان التجارية إلى أنها كانت مصدرا لتصدير القمح إلى الاسكندرية والرقيق السودانى إلى بلاد البحر المتوسط الشرقية، وربما إلى الأندلس أيضا^(٦)، وأضاف الادريسى أيضا فى وصفه اياها قوله : «أم أمصار، وثاعدة أقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطرا وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا، وأوسعها أحوالا واتقنها بناء، وأنفسها وأريحها تجارة وأكثرها جباية وأنفقها سلعة، وأنماها ريحا»^(٧).

١- البكرى، المغرب ص ٧٠ .

* لم أجد فى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ما يساعد على التعريف بلفظ النفوسية، ولعله نوع من الألوان .

٢- ابن حقل، صورة الأرض ص ٧٢ .

٣- أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية ص ٣٣ .

٤- مجهول، الاستبصار ص ١١٠ .

٥- المقدسى، اسحن التقاسيم ص ٢٢٥ .

٦- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص ٢٥٣ .

٧- الادريسى، صفة المغرب ص ١١٠ .

ويقول البكري إن حوانيت القيروان كانت مصطفة على طول الطريق داخل أسواقها وأنها كانت تمتد الحوانيت حوالى ميلين^(١)، وكانت هذه الأسواق تعقد يومى الخميس^(٢) والأحد^(٣)، بل كانت هذه الأسواق متنوعة ومتخصصة، يقول المقدسى: «فهناك سوق العطارين وسوق اللحامين والصباغين والرماحين»^(٤).

٤- قابس :

وتقع على ساحل البحر غربى مدينة طرابلس^(٥)، وكانت مركزا لانتاج أطيب الحرير وأرقه «وليس يعمل بأفريقية حرير إلا بها»^(٦).

كما اشترت بصناعة دبغ الجلود التى تصدر إلى معظم بلاد المغرب^(٧) كما اشتهرت بزراعة الزيتون وعصره^(٨) «وهى كثيرة الثمار ... والموز بها كثير وليس بأفريقية موز إلا فيها»^(٩). ومدينة قابس حافلة بالأسواق والفنادق^(١٠) والحمامات^(١١)، كما كانت مرفأ ترد بها السفن من كل مكان^(١٢).

١- البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ٢٥.

٢- المقدسى، أحسن التقاسيم ص ٢٢٥.

٣- القيروانى، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ص ٢٣٢.

٤- المقدسى، أحسن التقاسيم ص ٢٢٥.

٥- ياقوت، معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٩.

٦- ياقوت، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٩، مجهول، الاستبصار ص ١١٣، الادريسي، صفة المغرب ص ١٠٦، البكرى، المغرب ص ١٧.

٧- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٢.

٨- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٢، والادريسي، صفة المغرب ص ١٠٦.

٩- مجهول، الاستبصار ص ١١٣.

١٠- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٢.

١١- البكرى، المغرب ص ١١٧، مجهول، الاستبصار ص ١١٣.

١٢- البكرى، المغرب ص ١١٧.

٥- المهديّة (١):

أما مدينة المهديّة فكانت من أهم المراكز التجارية في بلاد المغرب في القرن الرابع الهجري، بعد أن أسسها الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي سنة ٣٠٣ هـ.

وتقع المهديّة على بعد ستين ميلا جنوبي القيروان (٢)، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات (٣). وكانت المدينة سوقا نافقة مائية بالسلع التي كانت تحملها السفن من الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها (٤)، «وهي نظيفة المنازل والدور، حسنة الحمامات والخانات، خصبه رقه الفواكه والغلات» (٥) «طيبة الدخل» (٦) وكانت ذات مرسى عظيم منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا (٧).

وقد رتب الخليفة عبيدالله المهدي أرباب المهن وجعل لكل طبقة منهم سوقا خاصة (٨). وتتميز أسواق المهديّة بأنها كانت مبنية من الصخر ولها بابان من حديد لاخشب فيها، زنة كل واحد منهما ١٠٠٠ قنطار، وطوله ٣٠ شبرا، كما أن بها ٣٦٠ ماجلا للمطر (٩).

١- أنظر :

Derek Hill : Islamic Architecture in North Africa.

أعطانا تفصيلات قيمة عن عمارة المهديّة صفحات ١٠٢ إلى ١٠٦ وفي اللوحة رقم ١٥٢ أورد صورة نادرة لجامع المهديّة من العصر الفاطمي تعتبر الأولى من نوعها وقد تأثرت بها العمارة الفاطمية في مصر حتى العصر المملوكي.

٢- البكري، المغرب ص ٢٩، الاصطخرى، المسالك والممالك ص ٣٨، ٣٩.

٣- البكري، المغرب ص ٢٩، مجهول، الاستبصار ص ١١٧.

٤- البكري، المغرب ص ٢٩.

٥- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٣.

٦- Heyd, Histoire du commerce, Tome I p. 43, 44.

٧- ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٢٣١، القزويني، أثار البلاد ص ٢٠٦.

٨- ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٢٣١، البكري، المغرب نفس المصدر ص ٣٠، ٣١، حسن إبراهيم

حسن، تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٥٩٨، عبيدالله المهدي ص ٢٠٥.

٩- مجهول الاستبصار ص ١١٧، ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٢٣١.

وكان لها ضاحية كبيرة تعرف بزويلة فيها الأسواق والحمامات .

وقام الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي باسكان أرباب المهن من البزازين وغيرهم في الدكاكين المقامة داخل الأسواق بزويلة^(١).

٦- سوسة :

أما سوسة فكانت من أهم المراكز التجارية في بلاد المغرب لوقوعها على الساحل ، فكانت مرفأ من أهم المرافئ ، التجارية الموجودة في بلاد المغرب ، وهي في جنوب تونس يذكرها القلقشندي بقوله : «وهي مدينة أزلية بها سوق وفنادق وحمامات وهي عامرة بالماس ، كثيرة المتاجر ، والمسافرون إليها قاصدون وعننا صادرين ، وعليها سور من حجر حصين»^(٢).

وتتميز مدينة سوسة بكثرة الأسواق والفنادق والحمامات^(٣) ويؤكد ابن حوقل هذا المعنى بقوله : «وهي إحدى فرض البحر ولها أسواق حسنة وفنادق وحمامات طيبة وبها رباط يعرف بالمستنير يقصده أهل أفريقية لوقت من السنة فيقيمون فيها أياما معلومة ، ويحضر بها آخر الأطعمة ونفيس المأكول وقيم جمعهم به مدة ثم يتفرقون إلى أوطانهم»^(٤).

واشتهرت سوسة بانتاجها الوفير من الكتان حيث كان يزرع فيها بكميات وفيرة وأنشئت بها مصانع لغزل ونسج الكتان^(٥) ، وأكثر أهلها حاككة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة وكان ثمن الثوب منها في بلدها عشرة دنائير «ويحملة التجار إلى جميع البلاد شرقا وغربا وباع الغزل بها زنة المثقال بمثقالين ذهب»^(٦) . كما أقيمت في مدينة سوسة دار لصناعة السفن والمراكب^(٧).

١- ياقوت ، معجم البلدان ج٥ ص ٢٣١ ، القزويني ، آثار البلاد ص ٢٧٦ .

٢- القلقشندي ، صبح الأعشى ج٥ ص ١٠٣ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٦٥ .

٤- ابن حوقل ، المصدر السابق ص ٧٥ .

٥- حسن حسني عبد الوهاب ، وراقات عن الحضارة ج٢ ص ٧٣ ، ٧٤ .

٦- ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ص ٢٨٢ .

٧- مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١١٩ ، الادريسي ، صفة المغرب ص ١٢٥ ، البكري ص ٣٤ ، ٣٦ .

٧- سجلماسة :

من أهم المراكز التجارية في بلاد المغرب على طرف الصحراء وبينها وبين غانة في بلاد السودان شهرين^(١) . وترجع أهمية مدينة سجلماسة التجارية في المغرب إلى أنها مركز لتجارة الذهب^(٢) والوارد من بلاد السودان^(٣) . ويقول القلقشندي : «وهي كثيرة العمارة كثيرة البساتين ، رائعة البقاع ذات قصور ومنازل رفيعة ... وبها الرطب والتمر والعنب الكثير والفواكه الجمّة وأهلها مياسير ولها تجارة إلى بلاد السودان يخرجون إليها بالملح والنحاس والدودع ويرجعون منها بالذهب والتبر^(٤) . ويقول المقدسي : «فسجلماسة من المدن التجارية التي اشتهرت بوجود الذهب والفضة في رستاقها»^(٥).

وقامت بالمدينة صناعة غزل ونسج الصوف فكان لنسائهم صناعة عجيبة في غزل الصوف ونسجه^(٦) وكان ثمن الثوب يبلغ أزيد من عشرين مثقالا^(٧) ، فضلا عن بساتينها ونخيلها وأعنابها وفاكهتها^(٨) ، وكانت تنتج من التمر نحو ستة عشر صنفا منه «وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر»^(٩).

كما اشتهرت بإنتاج عذّة أنواع من الحبوب الغذائية مثل القمح^(١٠) والذرة^(١١) ، ويذكر

١- مجهول ، الاستبصار ، المصدر السابق ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٩٩ . Bovill, E. W. : The Golden Trade of the Moors p. 235 .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٩٩ .

٤- القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦٤ .

٥- المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ٢٣٠ .

٦- ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٢ ، البكري ص ١٤٧ .

٧- البكري ص ١٤٧ ، مجهول ، الاستبصار ص ٢٠١ .

٨- مجهول ، الاستبصار ص ٢٠١ .

٩- ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٢ ، القزويني ، آثار البلاد ص ٤٢ .

١٠- يصف البكري قمح سجلماسة «وقمحهم دقيق حين ينسج مد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين ألف جبه» البكري ، المغرب ص ١٥١ .

١١- ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ص ٣٥٩ .

ابن حوقل أن حصيلة الضرائب التى فرضت على أنواع الانتاج الاقتصادى والتجارى بلغت حول ٤٠٠,٠٠٠ ألف دينار فى السنة (١).

وفى القرن الرابع الهجرى زادت أهمية سجلماسة التجارية لما بلغته من شهرة فى تجارة الذهب وغيرها من أنواع التجارة، يصف ابن حوقل مدى ما وصلت إليه سجلماسة من ازدهار ورخاء بقوله: «وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جلييلة الأهل قاخرة العمل وأهلها قوم مياسير يباينون أهل المغرب فى المنظر والمخبر وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب ربيعة على قصورها مشيدة عليه» (٢).

٨- فاس :

وهى من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب الأقصى ، لأنها «قريبة من وادى سبو الذى تسيل منه القوارب والسفن إلى البحر الأعظم وتطلع منه إلى ملتقى واديهما» (٣) وتحتوى مدينة فاس على أكثر من ثلاثمائة رحى (٤)، كما تحتوى على نحو عشرين حماما (٥). كما حوت مدينة فاس عددا كبيرا من الخانات التى ينزل بها التجار الغرباء (٦)، ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ، كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه ، وجميع الثمار (٧)، وترجع أهمية فاس كمركز تجارى هام إلى وفرة المحاصيل الزراعية والصناعات المختلفة، فقد عرفت بانتاج عدة أصناف من الفاكهة أهمها التفاح فى عدوة الأندلسيين «حسن طيب الطعم يعرف بالطرابلسى» (٨) كما اشتهرت أيضا بانتاج التين (٩) وكذلك الزيتون (١٠).



١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٠٠ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٩٠ .

٣- الجزائى ، زهرة الأس فى بناء مدينة فاس ص ٣٣ .

٤- البكرى ، المغرب ص ١١٥ ، ١١٦ .

٥- البكرى ، المصدر السابق ص ١١٥ .

٦- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٨٩ .

٧- مجهول ، الاستبصار ص ١٨١ .

٨- مجهول ، الاستبصار ص ١٨١ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٥ ص ١٥٤ .

٩- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٢٢٩ .

١٠- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٢٢٩ .

ولم تكن مدينة فاس مركزا لانتاج الفاكهة فحسب، إنما كانت مدينة صناعية أيضا اشتهرت بعدة صناعات مختلفة يذكرها ابن سعيد المغربي بقوله : «وهى من خواص المغرب الملاء بالخيرات والصنائع الغربية»^(١)، فامتلات مدينة فاس بالمصانع المختلفة ومنها دور الطراز ، ويقول الجزنائي : «والاطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين ودور عمل الصابون سبعة وأربعين ودور الدباغين ستة وثمانين ودور الصباغ مائة وستة عشرة وكل ذلك بداخل المدينة»^(٢).

كما عرفت المدينة بصناعة المنسوجات والجلود والمصنوعات الخشبية والخزفية والمعدنية^(٣)، وكان يصنع بها الأرجوان، والأكسية القرمزية^(٤) وبرع أهلها فى صناعة الأدوات المصنوعة من النحاس^(٥). ويقول الادريسي «ومدينة فاس هى حاضرتها الكبرى ومقصدها لزشهر وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة»^(٦).

وكانت بها دارات لسك العملة واحدة فى عدوة القرويين والأخرى فى عدوة الأندلسيين ، وكانت هذه الدور تسك العملة الذهبية^(٧).

١- ابن سعيد، بسط الأرض فى الطول والعرض ص ٧٤ .

«دار الطراز» : وهى المصنع الذى تقيمه الدولة حيث تقوم صناعة الطراز، وهى الملابس وقد عرف أيضا باسم دار الديباج وكان على رأس الادارة فى هذه المصانع الحكومية دائما موظف كبير يختار من بين الفقهاء أو رجال الحرب، وقد تصنع فى هذه المصانع الملابس لرجال الدولة على طبقاتهم وقد تعمل للأغراض التجارية كذلك «دائرة المعارف الإسلامية، مادة طراز» .

٢- الجزنائي ، زهرة الأس ص ٣٣ .

٣- عبد العزيز عبد الله، الآثار الإسلامية بالمغرب ، المؤتمر الثالث فى البلاد العربية المنعقد فى فاس نوفمبر سنة ١٩٥٩ ص ٣٧٩، القاهرة ١٩٦١ .

٤- ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٠ .

٥- مجهول ، الاستبصار ص ١٨١ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٥ ص ١٥٧ .

٦- الادريسي، صفة المغرب ص ٧٩ .

٧- محمد المتونى العلوم والآداب والفنون ، على عهد الموحدين تطوان سنة : ١٩٥٠ .

بعض المراكز الأخرى:

وهناك عدة مراكز تجارية أخرى هامة منها طبرق ، مثالا التي كانت كثيرة القمح والشعير « ولها من الغلات والزرع مالم يتوافر بجميع بلاد المغرب ... وهى كثيرة الرخاء وافرة الأرباح على تجارها والمزارعين بها واشتهرت بكثرة ورود المراكب الأندلسية والتجار عليها ونزولهم بها وتعشيرهم فيها »^(١). ومدينة المنصورية شيدها الخليفة المنصور سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م ابن القائم ونقل الخليفة المعز أسواق القيروان إليها فاجتمعت بها جميع الصناعات^(٢) فأصبحت « شديدة العمارة كثيرة الأسواق »^(٣) أما مدينة مرسى الخرز فتعد من المراكز التجارية على الساحل وبها معدن المرجان ، ويقصدها التجار من المراكز التجارية على الساحل وبها معدن المرجان ، ويقصدها التجار من كل مكان ولهم أموال كثيرة من سماسة بيع المرجان وشرائه^(٤).

أما مدينة بونة ووهران وتنس فقد نشطت بها الحركة التجارية وخاصة مع بلاد الأندلس ، فقد امتلأت تلك المدن بأنواع مختلفة من السلع والبضائع^(٥).

نضيف إلى ذلك كله تاهرت التي كانت من المراكز التجارية المليئة بمختلف أنواع السلع والبضائع « فبأرضها مزارع وضياح جمة وأسواق عامرة »^(٦).

وكان يصنع بمدينة تونس نوع من القماش عرف باسم القماش الأفريقى وهو نسيج خليط من القطن والكتان معا^(٧) كما كان يعمل بها غضار حسن الصباغ^(٨) ، وكانت صناعة الخزف بها فى جودة الخزف العراقى المجلوب^(٩).

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٦ .

٢- البكرى ، المغرب ص ٢٥ ، ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٢١٠ .

٣- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٢٢٦ .

٤- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٦ .

٥- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ص ٣٣ .

٦- البكرى ، المغرب ص ٦٠ .

٧- القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٥ ص ١٠٢ ، العمرى ، مسالك الأبصار ص ٤٧ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٥ « الغضار الطين الحر ، وقيل الطين الأخضر ».

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٥ والغضار ، الصفحة المتخذة منه .

وزويلة كانت تقع فى قلب الصحراء «تقرب من بلاد كانم وهى من السودان»^(١) وكان لازدياد نشاط التجارة فى مدينة زويلة أن أقيمت بها الحمامات والأسواق «يجتمع بها الرفاق من كل جهة»^(٢). واشتهرت هذه المدينة بتجارة الرقيق^(٣).

وكانت بلاد السوس الأقصى تضم عدة مدن أهمها تارودنت وهى من أكثر البلاد شهرة فى إنتاج قصب السكر وتصديره إلى الخارج وخاصة إلى بلاد الأندلس^(٤)، وكانت غدامس مركزا تجاريا هاما فى الصحراء على طريق بلاد الكانم^(٥). واشتهرت بتصدير الجلود^(٦)، وإليها ينسب الجلد الغدامسى^(٧).

أما جزائر بنى مزغناى فهى مدينة ساحلية كثرت بها الأسواق الرائجة وأكثر تجارتهم المواشى ويجلب منها التين إلى القيروان ويتاجر أهلها فى العسل والحنطة والشعير لأنه يزيد عن حاجتهم^(٨).

ومدينة تنس كان يقصدها الأندلسيون براكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها^(٩)، يقول ابن سعيد : «وأول ما يلقاك منه مدينة تنس وهى مشهورة بكثرة القمح ومنها يحمل فى المركب إلى سواحل الأندلس»^(١٠).

وكانت السفن القادمة من البحر المتوسط تدخل بجاية التى اشتهرت بصناعة الزجاج^(١١).

١- مجهول ، الاستبصار ص ١٤٦ ابن منظور ، لسان العرب .

٢- البكرى ، المغرب ص ١٠ .

٣- مجهول ، الاستبصار ص ١٤٦ .

٤- مجهول ، نفس المصدر ص ٢١٢ .

٥- أبو الفدا ، تقويم البلدان ص ١٤٧ ، القلتشندى ، صبح الأعشى ج ٨ ص ١٠٨ .

٦- القلتشندى ، المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٨ ، مجهول ، نفس المصدر ص ١٤٥ .

٧- ياقوت ، معجم البلدان ج ٨ ص ١٨٧ ، مجهول الاستبصار ص ١٤٥ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٨ .

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٨ .

١٠- ابن سعيد ، الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العرب ج ١ بيروت سنة ١٩٧٠ ، ص ١٤٢ .

١١- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ص ٣٣٠ . Marcaiz La Beberie Orientale p. 18.

وترجع أهمية سبته التجارية إلى أنها تقع بين بلاد المغرب والأندلس، يقول ابن سعيد : «وهذه المدينة بين بحرین وهی ركاب البحرین تشبه الاسكندرية فی كثرة الحط والاقلاع وفيها التجار الأغنياء الذين يتبايعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها فی صفقة واحدة» (١٢).

وقد كثرت فی مدينة سبتة أشجار الفاكهة المختلفة واشتهرت بزراعة قصب السكر وكان يحمل منها إلى ما جورها من البلدان (١٣)، كما اشتهرت بكثرة مصايد الأسماك (١٤)، ومرساها من أجود المراسى على البحر وهی تشبه المهديّة من هذه الناحية (١٥) وتقع سبتة على ساحل مضيق جبل طارق (١٦)، وازدهرت بها تجارة الذهب القادمة من السودان إلى الأندلس، فقد كانت تنقل عن طريق سبتة كما كانت قفصة تصدر زيتها إلى مصر وصقلية وأوروبا وعدة جهات أخرى من بلاد المغرب (١٧).

وتصنع بقفصه أردية وطاليس وعمائم من صنوف فی نهاية الرقة تضاهى ثياب الشرب، وتصنع بها أوان للماء من خزف تعرف بالريحية، شديدة البياض فی نهاية الرقة ... ويصنع بها زجاج حسن، وأوان عجيبة وأوان مذهبة غريبة (١٨).

عما تقدم يتبين فی وضوح أن بلاد المغرب لم تكن تقل عن الأندلس تنوعا فی مصادر الثروة وغنى فی التجارة ووزنا اقتصاديا عظيم القيمة. كان البلدان كفتان متعادلتان .

بعد أن عرضنا لمراكز التجارة فی القطرين على نحو ما ورد فی المراجع القديمة .

سوف نعرض بعد هذا لأهم الطرق التجارية التي كانت تربط هذه المراكز بعضها ببعض باعتبارها مسالك للحاصلات الزراعية والمنتجات الزراعية .

١- القلقشندي، صبح الأعشى ج٥ ص ١١١ .

٢- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ص ١٣٩، ابن حوقل ، المسالك والممالك ج١ دى غوية ليدن ج١ بريل سنة ١٨٧٣ ص ٥٤ .

٣- ابن سعيد ، تحفة الأنظار ص ٢٧ .

٤- القلقشندي ، صبح الأعشى ج٥ ص ١١١ .

٥- ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ص ١٨٢ .

٦- البكري ، المغرب ص ١٠٣ .

٧- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص ٢٣٢ .

٨- البكري ، المغرب ص ٢٠ .

الطرق التجارية فى الأندلس والمغرب

الطرق التجارية فى بلاد الأندلس

اهتم الخلفاء الأمويون فى بلاد الأندلس بتأمين الطرق التجارية داخل البلاد ، فاهتموا بتوفير الفنادق والحمامات وذلك لخدمة التجار والمسافرين ^(١).

ولقد توفرت للبلاد شبكة من الطرق التجارية التى سهلت ربط المدن والمراكز التجارية الأندلسية بعضها ببعض مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل الأندلس وخارجها.

فمن مدينة قرطبة حاضرة الأندلس كانت تخرج شبكة من الطرق التجارية عددها ستة ^(٢)، وهى على النحو التالى:

طريق من قرطبة إلى أشبيلية ^(٣) فقادس ، فالجزيرة الخضراء ، وعند أشبيلية يتفرع طريق آخر يذهب إلى شلب ^(٤).

أما الطريق الثانى فيخرج من قرطبة إلى طليطلة ^(٥) فسرقسطة فلاردة ^(٦) والطريق الثالث من قرطبة إلى غرناطة إلى مرسية فيلنسية ^(٧) فطرطوشة فلاردة ^(٨) ، والرابع من قرطبة إلى مالقة مارا بأستجة ثم إلى مرسية ^(٩) ثم يتلقى بالسابق.

أما الطريق الخامس فيمضى من قرطبة إلى المعدن ^(١٠) إلى قورية فسلمنقة

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١١١ .

٢- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس مدريد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ص ٢٨٨ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١١٠ .

٤- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ص ٢٨٨ ، وابن حوقل ، صورة الأرض ، نفس الصفحة .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١١١ .

٦- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٢٨٨ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١١١ .

٨- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، نفس الصفحة .

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١١١ .

١٠- ابن حوقل ، المصدر السابق ص ١١٠ .

فسمورة^(١) والطريق السادس من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء مارا باستجة ومورور وشلدونة^(٢).

وتوفرت لبلاد المغرب كذلك شبكة من الطرق التجارية عبرت جميع أنحاء البلاد.

فمن القيروان كانت تخرج عدة طرق تتجه جنوبا، فيخرج طريق من القيروان متجها إلى مدينة قفصة وطريق آخر من القيروان ويتجه إلى نفاوة ويمتد هذا الطريق حتى يصل مدينة قسطلية ثم يتجه صوب غدامس^(٣).

وإلى الجنوب أيضا يخرج طريق من مدينة طرابلس إلى مدينة زويلة مارا بجبل نفوسة وطريق آخر من مدينة أجداية إلى زويلة، وطريق من مدينة سرت إلى زويلة يقطع في اثني عشر يوما^(٤).

ومن مدينة فاس كان يخرج طريق يتجه إلى القيروان فيمر بتازا وتلمسان ومنها إلى تيهرت ثم المسيلة ثم يتجه غربا إلى مكان يسمى مسكبانة ومن هذا المكان يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما يمر بمدينة تبسة وإلى الشمال من هذا الطريق يخرج الفرع الآخر يمر بمدينة مجانة ومنها إلى القيروان^(٥).

كما كان يخرج من مدينة القيروان طريق إلى طرابلس، يمر بمدينة قابس وصبرة، ومن طرابلس يتجه الطريق إلى مدينة سرت ومنها إلى أجداية ثم إلى مدينة برقة^(٦).

أما مدينة فاس فكانت تخرج منها مجموعة من الطرق: طريق يخرج من فاس ويتجه شمالا نحو سبتة وطنجة^(٧). ومن فاس أيضا تخرج عدة طرق أخرى تتجه إلى الداخل، الأول: إلى مدينة سجلماسة، والثاني يتجه نحو أغمات ثم يمتد إلى السويس ويخرج طريق من سجلماسة إلى أغمات وطريق آخر من درعة إلى سجلماسة^(٧).

١- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون ص ٢٨٩.

٢- حسين مؤنس، نفس المرجع ونفس الصفحة.

٣- البكري، المغرب ص ١٠، ص ١١.

٤- البكري، المغرب، ص ١٤١، ص ١٤٦.

٥- البكري، المغرب، ص ٦، ص ١٧.

٦- البكري، المغرب، ص ١٠٩، ص ١١٥.

٧- البكري، المغرب ص ١٤٦.

التجارة الداخلية فى الأندلس والمغرب

فإلى أى حد خدمت هذه الطرق التجارية الداخلية فى البلدين ؟

تمركزت التجارة الداخلية فى الأسواق التى أنشئت لمزاولة النشاط التجارى والصناعى فى بلاد الأندلس والمغرب وذلك لممارسة الصنائع والحرف المختلفة وممارسة البيع والشراء .

ولذا كانت الأسواق التجارية فى الأندلس والمغرب محورا للحياة الاقتصادية .

ولم تختلف أسواق الأندلس والمغرب فى نظمها عن باقى أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت معظم هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة .

ومما هو جدير بالذكر أن أول من قام بترتيب الأسواق التجارية فى البلدان الإسلامية الخليفة هشام بن عبد الملك^(١)، وكانت القيروان من أول المدن الإسلامية فى بلاد المغرب التى حظيت باهتمامه إذ أمر بترتيب أسواقها^(٢) ثم قام والى العباسى يزيد بن حاتم المهلبى سنة ١٥٦هـ / ٧٧٢م بترتيب أسواق القيروان وجعل كل صناعة فى مكان خصص لها^(٣).

أما الخليفة عبيدالله المهدي فقد قام بترتيب أرباب المهن وجعل لكل طبقة سوقا خاصة^(٤) فى حاضرتة الجديدة المهدية .

فى حين قام الخليفة الحكم المستنصر بتنظيم الأسواق داخل مدينة قرطبة فأمر صاحب السوق أحمد بن نصر باخلاء دار البرد وتوسيعها ونقل البرازين إليها « لينفسح يوسقهم وتستوعب صناعتهم إذ شكوا بضيقها »^(٥) كما أمره أيضا بتوسيع سوق قرطبة « لضيقها عن مخترق الناس وأزدحامهم فيها ... كى ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين »^(٥).

١- البكرى، المغرب ص ٢٦ ، حسن حسنى ، عبد الوهاب ، ورقات من الحضارة العربية ، قسم ٢ ص ٦٩ .

٢- ابن عذارى، البيان ج ١ ص ٦٨ .

٣- البكرى، المغرب ، ص ٣٠ ، ص ٣١ ، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى ج ٣ ص ٥٩٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٥ ص ٢٣١ .

٤- ابن حيان ، المقتبس ، ص ٦٦ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ص ٧١ « كانت هذه الدار من بنيان الأمير عبد الرحمن بن معارية (الداخل) ، نفس المرجع والصفحة .

كذلك قام الخليفة المنصور الفاطمي ٤٣٣هـ / ١٠٤١م بتنظيم أسواق مدينة المنصورة ورتب بها جميع الصناعات^(١) ويبدو أن هذه الأسواق كانت تقام في أماكن قريبة من المسجد الجامع الكبير^(٢) فكانت غالبية أسواق قرطبة تحيط بجامع قرطبة^(٣). أما أسواق مدينة القيروان فكانت تحيط بالمسجد الجامع في موضع يسمى السماط الكبير^(٤) وانتشر هذا النظام فشمّل جميع بلاد الأندلس والمغرب^(٥)، وكان معظم التجار المسلمين يتخذون منازلهم بالقرب من الأسواق لممارسة تجارتهم وأعمالهم^(٦).

وكانت أسواق بلاد الأندلس والمغرب لا تختلف كثيرا عن باقى الأسواق التجارية فى باقى المدن الإسلامية الأخرى وكانت المتاجر تعرض بطريقة تجذب المشتريين^(٧) وأغلبها كان مرتبا ترتيبا حسنا بحيث تخصصت كل سوق فى بيع سلعة معينة^(٨) من السلع التجارية.

كانت كل سوق من الأسواق تضم عدة متاجر تتاجر فى سلعة واحدة^(٩) وكان كل نوع من أنواع التجارة أو حرفة من الحرف يحتل دربا أو سوقا باسمه^(١٠) كسوق العطارين وسوق الفاكهة وسوق النحاسين^(١١) وفى قرطبة مثلا سوق للخشابين^(١٢) كما وجد فى مدينة القيروان سوق للصباغين وآخر للحامين وغيرها للرماحين^(١٣).

١- البكرى، المغرب ص ٢٥ .

٢- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٩٩ ، سنة ١٩٦٣ ، حسن حسنى عبد الوهاب ، ومضات من الحضارة العربية قسم ٢ ص ٦٨ ط تونس سنة ١٩٦٦ .

٣- Levi Provencal, L'esp. Musul. aux. S.p. 181 .

٤- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٢٢٥ .

٥- حسن حسنى عبد الوهاب ، ووقات من الحضارة العربية بالقرطبة ج ١ ص ٥٨ ، ص ٥٩ .

٦- عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٠٠ .

٧- ديموين ، النظم الإسلامية ص ٢٩٤ .

٨- المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٢٥ .

٩- عثمان الكماك ، الحضارة العربية فى البحر المتوسط ص ٦٦ ، المقدسى أحسن التقاسيم ص ٢١٥ .

١٠- السقطى ، أدب الحسبة ص ٣٢ ، ابن عبدون ثلاث رسائل فى الحسبة ص ٤٤ .

١١- عثمان الكماك ، الحضارة العربية ص ٦٦ .

١٢- ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ٥٧ .

١٣- عثمان الكماك ، الحضارة العربية ص ٦٦ .

وقد تميزت الأسواق التجارية في المغرب والأندلس بالنظافة وحسن الترتيب ، يذكر ابن حوقل أن أسواق مدينة فاس كانت ترش طرقاتها بالماء في الصيف للتخفيف من شدة الحرارة^(١) وللمحافظة على نظافتها.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأسواق لم تكن مكانا لممارسة النشاط التجاري من بيع وشراء وتجارة صادرة أو واردة فقط، وإنما عبارة عن مدارس لأصحاب الحرف التي تقوم بتعليم الصبيان أصول تلك الصناعة^(٢). كما كان لهذه الأسواق آدابها العامة كأن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في أماكن البيع داخل الأسواق^(٣).

هذه الأسواق كانت لها أيام معينة يعرض فيها التجار بضائعهم فأسواق مدينة شوزر من كورة جيان بالأندلس تعقد يوم الثلاثاء^(٤) أما سوق مدينة قرمونة فكان يعقد يوم الخميس^(٥) وسوق مدينة قبيرة^(٦) يعقد يوم الخميس^(٧) كذلك أما في بلاد المغرب فكان سوق مدينة القيروان يعقد يومين في الأسبوع وهما يوما الأحد^(٨) والخميس^(٩) وسوق مدينة سبتة يعقد يوم الجمعة^(١٠). وسوق مدينة أصيلا يعقد يوم الجمعة أيضا^(١١).

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٨٩ .

٢- ابن حيان ، المقتبس تحقيق الحجى ص ٢٠٧ .

٣- الطرطوسي ، الحوادث والبدع ، تحقيق الطالبي ص ٤١ .

٤- الحميري ، الروض المعطار ص ١١٧ .

٥- الحميري ، الروض المعطار ص ١٥٩ .

٦- قبيرة مدينة بالأندلس على بعد ثلاثين ميلا من قرطبة (الحميري ، الروض المعطار ص ١٤٩) .

٧- الحميري ، نفس المصدر ص ١٤٩ .

٨- القيروان ، قضاة قرطبة وعلماء افريقية ص ٢٣٢ .

٩- المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .

١٠- البكري ، المغرب ص ١٠٨ .

١١- البكري ، المغرب ص ١١١ .

الفنادق :

أدى ازدياد حركة النشاط التجارى فى بلاد المغرب والأندلس فى القرن الرابع الهجرى وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد من الفنادق داخل هذه الأسواق وذلك لمبيت التجار الأجانب والاحتفاظ ببعضهم داخل هذه الفنادق بعد إغلاقها بأقفال رومية الصنع^(١).

وكانت هذه الفنادق من عدة طوابق مقسمة إلى عدة أمكنة خصص بعضها للنوم والراحة والآخر لعقد الصفقات التجارية من عقود بيع وغيرها^(٢).

وزود الفندق بكنيسة ليقيم التجار النصارى شعائهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق موظف يسمى الفندقى^(٣). وقد انتشرت هذه الفنادق فى بلاد الأندلس والمغرب ، فازدهت مدينة المرية بأعداد كثيرة من الفنادق «وتحتوى مدينة المرية على ألف فندق إلا ثلاثين فندقا» أما بجانة فى بلاد الأندلس فقد جهزت أيضا بعدة فنادق^(٤) لخدمة التجارة الغرباء .

وفى بلاد المغرب امتلأت القيروان بالفنادق لخدمة الوافدين عليها^(٥) وكذلك مدينة سوسة وبها «فنادق وحمامات طيبة»^(٦). أما طرابلس «فكثيرة الفنادق والحمامات»^(٧).

١- آدم متر ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج٢ ص ٣٧٨ .

Heyd, Histoire ; du Commerce, Tom, II pp. 430 .

٢- عثمان الكماك، الحضارة العربية ص ٦٤ ، ص ٦٥ «كانت هذه الفنادق تبنى بالحجارة» القزوينى ص ٥٠٩ .

٣- جمال سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٦٠ .

٤- الحميرى، الروض الممطر ص ١٨٤ .

٥- القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٩ .

٦- ابن عذارى، البيان ج١ ص ٢٧٢ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٤ .

٨- البكرى، المغرب ص ٧ .

واحتوت الفنادق على خانات أو مخازن لحفظ أصناف الفاكة^(١) المختلفة وكافة البضائع .
كما كانت هذه المخازن عبارة عن غرف تؤجر للتجار الأجانب المارين بالمدينة وقد زودت
مدينة قرطبة بعدد كبير من الخانات^(٢) ، كما احتوت مدينة فاس على عدد كبير من «الخانات
التي ينزل بها التجار والغرباء»^(٣).

أما القياسر فهي عبارة عن مجموعة من المباني العامة تضم مخازن وحوانيت ومساكن
لمبيت التجار وكانت تعرض فى داخل القياسر أنواع السلع المختلفة وقد اشتهرت قياسر قرطبة
ببيع أنواع من التجارة والسلع الفاخرة^(٤).

وضمت هذه القياسر بعض المساجد ، كما كان يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع
والتجار بأجر^(٥) وكانت الحكومة تقوم ببناء تلك القياسر وتأجيرها لأرباب المهن والصنائع
والتجار مقابل كراء متفق عليه^(٦).

أسعار السلع : أسعار السلع كانت غير ثابتة فهي تخضع للحالة الاقتصادية التي تمر بها
البلاد «ففى بعض الأحيان يكثر الانتاج فيزيد عن الحاجة فكان يصدر إلى الخارج فتنخفض
الأسعار نتيجة لذلك، وتنتعش الأحوال الاقتصادية. أما فى أيام الشدة حين يقل الانتاج
فترتفع الأسعار، فمثلا حدث أن حلت المجاعة بالأندلس سنة ٣٠٢هـ / ٩١٥م بسبب حدوث
قحط شديد فعزت الأقوات وارتفعت الأسعار»^(٧).

كما كان لأحداث الفتنة البربرية التي صاحبت سقوط الخلافة وهجوم البربر على مدينة قرطبة

١- المقدسى، أحسن التقاسيم ص ٢٢٥ .

Levi provencal , l'Esp., Musul. aux . s.p. 181 .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٠٨ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٨٩ .

٤- ابن الأثير ، التكملة لكتاب الصلة ص ٩٠٧ .

٥- المقرئى، الخطط ج٢ ص ٨٧ ، ٨٩ ، سرور تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦ .

٦- حسن حسنى عبد الوهاب، روقات من الحضارة العربية ج٢ ص ٧٢ ، ٧٣ .

٧- عبدالله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول قسم ٢ ص ٣٧٨ .

وتخريبهم لها واضطرار أهل قرطبة إلى طلب الأمان أكبر الأثر فى ارتفاع الأسعار وزيادة الغلاء^(١).

كذلك كان من أسباب ارتفاع الأسعار فى بعض الأحيان تعرض البلاد لثورة من الثورات، مثلما حدث فى بلاد المغرب فى سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية ، وغلاء فى الأسعار أيام ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد. فقد اشتد حصاره على مدينة المهديّة واضطر الخليفة القائم إلى فتح الأهراء التى كان المهدي قد أقامها فى المدينة وزرع ما فيها من حبوب على رجاله^(٢).

وقد ارتفعت الأسعار فى بعض الأحيان بسبب نقص سلعة معينة لاتنتجها بلد معينة ، فسعر الطعام مثلاً فى مدينة قسطنطينية فى بلاد المغرب كان غالى الثمن لاعتمادها فى جلبه على المناطق المجاورة لها، ولكن تميز القرن الرابع الهجرى فى بلاد الأندلس والمغرب بوجه عام برخص الأسعار وكثرة الانتاج ، فأسعار بلاد الأندلس كانت رخيصة فى أغلب الأوقات ، إذ عرفت تلك البلاد بوفرة الانتاج وكثرة الزرع من حبوب وفاكهة وغللات فمدينة بلنسية^(٤) كانت كثيرة الفواكه والثمار رخيصة الأسعار. أما جيان فكانت كثيرة الخصب رخيصة الأسعار^(٥) ، أما مدينة دروكة^(٦) فهى كثيرة الثمار والكروم والبساتين وكل شئ بها كثير رخيص^(٧). أما سرقسطة^(٨) « فهى رخيصة الأسعار حتى أنه بيع وسق القارب من التفاح بها تباع به الأبطال

١- ابن عذارى ، البيان ج٣ ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ ، ص ١١٢ .

٢- البكرى ، المغرب ص ١٦١ ، ص ١٦٢ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٩٤ .

٤- مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير ، وهى شرقى تدمير وشرقى قرطبة ، وهى برية بحرية ذات أشجار وانهار « ياقوت معجم البلدان ج١ ص ٤٩٠ » .

٥- الحميرى ، الروض المعطار ص ٧٠ .

٦- « مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب بينها وبين قلعة أيوب ثمانية عشرة ميلاً (الحميرى، الروض المعطار ص ٧٦ ، ياقوت معجم البلدان ج٢ ص ٤٥٣) .

٧- الحميرى، الروض المعطار ص ٧٧ .

٨- الحميرى ، الروض المعطار ص ٩٧ « تقع سرقسطة فى شرق الأندلس » نفس المصدر ص ٩٧ .

البسيرة»^(١) وكانت قلعة أيوب كثيرة الأشجار والشمار، كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار^(٢)، وبلاد المغرب كانت فى نفس الوضع، فمدينة تنس مثلاً كانت رخيصة الأسعار لكثرة الزرع بها ووفرة الانتاج الذى كانت تقوم بتصديره إلى سائر البلاد وخاصة بلاد الأندلس «حيث ينقل إليها الطعام»^(٣).

كذلك كانت مدينة ميله^(٤) ومدينة سطيف^(٥) رخيصة الأسعار^(٦) وقابس أيضاً كانت كثيرة الفاكهة فائضة الرخص^(٧). أما برقة فإن أسعارها فى معظم الأوقات كانت «فائضة الرخص فى جميع الأغذية»^(٨).

تسعير السلع :

ومن السمات التجارية التى حظيت الاهتمام داخل أسواق الأندلس والمغرب، تسعير السلع الاستهلاكية مثل القمح والشعير وغيرها من السلع الغذائية الهامة التى يعتمد عليها عامة الناس وذلك «حماية للناس والعامة»^(٩).

وفى أغلب الأحيان كانت الحكومة سواء فى بلاد الأندلس أو المغرب تتدخل لتحديد أسعار السلع بطريقة مناسبة حتى لا يقع فيها ظلم سواء على المستهلك أو التاجر، ويرى الفقيه يحيى

١- الحميرى، الروض المغطر ص ٧٧.

٢- الحميرى، الروض المغطر ص ١٦٣، ياقوت، معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٢.

٣- مجهول، الاستبصار ص ١١٣ (عن مدينة تنسى أنظر البكرى ص ٦١، ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨، والادريسي ص ٨٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٨).

٤- ميله مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاث أيام «ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٤.

٥- «سطيف مدينة فى جبال كتامة بين تاهرت والقيروان (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٢٠، أنظر البكرى، ص ٧٦، الادريسي ص ٩٨، ابن حوقل صورة الأرض، ص ٩١).

٦- مجهول، الاستبصار ص ١٦٦.

٧- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٢.

٨- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٦٨.

٩- أحمد سعيد المجلدى، التسعير فى أحكام التسعير، تحقيق موسى يقبال الجزائر سنة ١٩٧٠، ص ٤٩.

بن عمر ضرورة التشدد فى مراقبة الأسواق وضرورة تسعير السلع الغذائية الهامة مثل القمح لأنها غذاء العامة وعدم احتكار هذه السلع حتى تصبح فى متناول الجميع « وأرى على صاحب السوق أن يأمر البدويين أهل الأرياف والمناطق الزراعية ، إذا أتوا بالطعام يبيعونه فلا ينزلوه فى الدور أو الفنادق وأن يخرجوه إلى أسواق المسلمين حيث يدركه الضعيف والعجوز والكبير^(١) وكان تسعير السلع الغذائية يتم بالتراضى بين المحتسب والتجار^(٢).

الإشراف على الأسواق :

اتخذت الحكومة الإسلامية فى الأندلس والمغرب نظاما دقيقا للإشراف على التجار والأسواق وكان هذا النظام يتمثل فى المحتسب الذى كان يتولى مهمة الإشراف على الأسواق .

وقد عرف المحتسب فى بلاد الأندلس والمغرب باسم صاحب السوق^(٣).

وقد لعبت الحسبة دورا عظيما بجانب وظيفتى القضاء والمظالم فى إقرار العدل بين الناس فى القطرين ، فالحسبة كانت من الوظائف الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٤).

وقد حدد العلماء الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بوظيفة المحتسب فيجب أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة حرا عدلا ذا صرامة وخشونة فى الدين لا يميل ولا يرتشى^(٥).

١- يحيى بن عمر «أحكام السوق ، التيسير فى أحكام التسعير ص ٥١ ، ص ٥٢ ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد مجلة ٤ سنة ١٩٥٦ ، تحقيق حسين مؤنس .

٢- ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ص ٨٩ ، نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٥٥ .

٣- يحيى بن عمر : أحكام السوق ، ص ١٠٨ « وكذلك فى المشرق : انظر تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٦٢ .

٤- ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ص ٢٢٥ ، ومطبعة الشح ، ص ٢٠٢ ، ابن تيمية ، الحسبة فى الإسلام ، ص ٩ ، ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٠ ، الماوردى ، الأحكام السلطانية ص ٢٢٧ .

٥- الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٦ ، تحقيق الباز العرنى ، الماوردى ، الأحكام السلطانية ص ٢٤١ ، سنة ١٩٦٧ ، مطبعة الحلبي ، ابن عبدون رسالة الحسبة ص ٢٠ ، عطية مشرفة ، القضاء فى الإسلام ص ١٧٩ .

وظيفة المحتسب داخلة فى عموم ولاية القاضى ، يولى باختياره^(١) وفى بعض الأحيان كان الوالى هو الذى يقوم بتعيين صاحب السوق^(٢).

والحاجة إلى صاحب السوق (المحتسب) كانت ضرورية «لأن الناس معوجون مخالِبون أشرار»^(٣).

وتعتبر خطة السوق (الحسبة) من أعظم الوظائف فى الدولة الإسلامية لأنها تجمع «بين نظر شرعى وزجر سلطانى»^(٤).

ولما كانت وظيفة صاحب السوق (المحتسب) ذات طابع اسلامى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به^(٥).

كما كان من اختصاص صاحب السوق أيضا أن يأمر الناس بإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة^(٦)، ثم مراقبة المعاملات التجارية داخل أسواق الأندلس والمغرب كمراقبة البيع والشراء ومراقبة الموازين والمكاييل ، فكان يجب عليه التأكيد من سلامة الوزن^(٧).

وكان من عمل صاحب السوق أيضا فى داخل الأسواق أن يحول دون بروز الخوانيت حتى لاتعوق المارة ومراقبة دور الضرب والتأكد من سلامة وزن وعيار العملة، ومراعاة اثبات اسم الخليفة على العملة ، وأن يراعى تنفيذ الشروط الصحية المفروضة على المحلات بتفتيش قدور الأطعمة وختم اللحوم، بالإضافة إلى مراقبة الأسعار ، ومنع الاحتكار^(٨).

١- ابن خلدون المقدمة ص ٢٠١ ، النباهى، تاريخ قضاة الأندلس ص ٥ .

٢- يحيى بن عمر ، أحكام السوق ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ .

٣- ابن عبلون ، رسالة فى الحسبة، ص ٢٠ .

٤- السقلى ، آداب الحسبة ص ٢ .

٥- النباهى، قضاة الأندلس.

٦- ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ص ٩ ، ص ١٠ ، ص ١١ سنة ١٩٦٧م دمشق .

٧- السقلى، آداب الحسبة ص ١٢ ، ابن عبلون ص ٤٣ .

٨- الشيزى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص ٩ ، ص ١٢ .

كما كما من حقه تحديد أسعار المبيعات ومراقبة من يبيع بسعر أعلى^(١) ومراقبة التجار داخل الأسواق التجارية^(٢). وكان صاحب السوق يستطيع أن يعاقب المخالفين للمرة الأولى بالتوبيخ والزجر وفي المرة الثانية بالسجن والوعيد وفي الثالثة بالضرب والتشهير. وإن عاد المخالف للمرة الرابعة فيعاقبه بالتنكيل ورفعته عن سوق المسلمين^(٣) ونفيه عن الوطن^(٤).

كما كان من حق المحتسب طرح الشيء المغشوش وإتلافه^(٥).

وحتى يؤدي صاحب السوق وظيفته كاملة كان يستعين بالأعوان والغلمان^(٦) لمساعدته في عمله، فكان يختار رجالا يثق فيهم من أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع ويستظهر بهم على الباقين حتى يطلعوه على ما خفى من أسرارهم وخبيث تصرفاتهم وما يجلب إلى سوقهم وما تستقر عليه من الأسعار وغير ذلك من الأسباب التي يلزم صاحب السوق معرفتها^(٨) وفي بلاد الأندلس والمغرب كان صاحب هذه الوظيفة يسمى العريف، وكان مسئولاً أمام صاحب السوق وشيخ التجار^(٩)، هؤلاء الأعوان أو العرفاء كانوا بمثابة العيون التي توصل لصاحب السوق الأخبار مما يؤدي إلى بث الرعب والخوف في قلوب العامة^(١٠).

وسائل المعاملات : ومن أهم وسائل المعاملات داخل أسواق بلاد الأندلس والمغرب السكة (العملة)^(١١) ويعرف ابن خلدون العملة (السكة) بقوله «وهي النظر في النقود والمتعامل بها

١- المقرئ ، نفع الطيب ، ج١ ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ .

٢- ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٥ .

٣- السقطي ، آداب الحسبة ، ص ٩ .

٤- الشيزري ، نهاية الرتبة ص ١٤ .

٥- عبد المنعم ماجد ، الحضارة الإسلامية ص ٥٦ .

٦- ابن هسام ، ص ١٠ ، ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٢٥ .

٧- السقطي ، نفس المصدر ص ٩ .

٨- الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١١ .

٩- سالم (عبد العزيز) قرطبة في عصر الخلافة ج ٢ ص ١٣١ .

١٠- ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ص ٩ ، ص ١٠ ، ص ١١ سنة ١٩٦٧ .

١١- ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٦ .

بين الناس وحفظها مما يداخلها من غش أو نقصان ، إن كان المتعامل بها عدداً أو ما يتعلق بذلك ويوصل إليه من جميع الاعتبارات، ثم فى وضع علامة السلطان على تلك النفوذ بالاستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوشاً خاصة به فيوضع على دينار بعد أن يقوم الضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه النقوش ، وتكون علامة على صورته بحسب الغاية على وقف عندها السبك والتخليص فى متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة^(١).

وترجع أهمية العملة إلى أنها وسيلة من الوسائل الهامة فى التبادل التجارى من عمليات البيع والشراء، فقد استخدمها التجار فى عملياتهم التجارية .

كما ترجع أهمية العملة أيضاً إلى أنها توضح مدى التقدم والازدهار الاقتصادى والحضارى للدولة. فالعملة تعطينا صورة من صور التعامل الاقتصادى ومدى رواج التجارة أو تدهورها . كما كانت تدل أيضاً على مدى قوة الدولة أو ضعفها وما تتمتع به تلك الدولة من استقرار أو اضطراب سياسى.

وكان وزن العملة يتغير وسعرها يرتفع أو ينقص حسب الأحوال السياسية والاقتصادية للدولة، فمثلاً ارتفع وزن العملة من الدراهم الفضة فى عصر الخلافة عنه فى عصر الامارة والولاة ، كما ارتفع أيضاً فى عصر ملوك الطوائف^(٢).

كذلك كانت العملة نوعاً من أنواع تأكيد السيادة السياسية على الدولة ولتأكيد هذه السياسة، حرص الخلفاء الأمويون فى الأندلس على تأكيد سيادتهم فى الأجزاء المغربية الخاضعة لهم وذلك بضرب عملات تحمل أسماءهم.

فقد وجدت فى مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى بعض عملات، نقش عليها اسم الخليفة هشام الثانى (المؤيد) وذلك فى سنوات (٣٦٦، ٣٧٨ هـ / ٣٩٥ هـ / ٩٧٦ م، ٩٨٨ م، ١٠٠٤ م)^(٣)، كما وجدت فى مدينة فاس أيضاً عملات أموية تحمل اسم الخليفة هشام الثانى

١- ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٢٦ .

٢- عبد الرحمن فهمى ، موسوعة النقود الإسلامية ج ١ ص ٨٦٠ ، ص ٨٦٧ .

٣- Miles G.C. The Coinage of the Umayyads of Spain, pp. 46, 47 .

المؤيد وذلك فى الفترة ٣٧٧ / ٣٩٨ هـ ٩٨٧ م / ١٠٠٧ م^(١)، فقد وجد فى مدينة فاس مثلاً عملة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م نقش عليها (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) . وفى الهامش (بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدرهم فى مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة) أما على الوجه الآخر للعملة فقد نقش عليها الإمام أمير المؤمنين المؤيد بالله «عامر» وفى الهامش محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله^(٢).

أما فى بلاد المغرب ، فقد كانت العملة أيضاً نوعاً من أنواع تأكيد السيادة على الدولة كما سبق أن ذكرنا ، فنرى أن أبا عبد الله الشيعى قد أمر بضرب أول عملة ذهبية تحمل اسم الدولة الفاطمية، فور دخوله مدينة رقادة وذلك لتأكيد السيادة الفاطمية على بلاد المغرب، وقد سميت هذه العملة بالسيدية^(٣).

وفى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م قام الخليفة عبيد الله المهدي بضرب العملة الفاطمية من الدنانير الذهبية وقام بنقش اسمه عليها فى الوجه نقش عليها (عبد الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمير المؤمنين) وفى الهامش (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وعلى الوجه الآخر للعملة (الإمام محمد رسول الله المهدي بالله) وفى الهامش (بسم الله ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلاث ومائة)^(٤).

لم تكن العملة الذهبية هى وحدة التعامل فقط، فقد اشتملت العملة على عدة أنواع من الدراهم الفضية والفلوس النحاسية ، فقام الخليفة المهدي بسك عملات من الدراهم الفضية فى كل من المهديّة والقيروان^(٥).

١- Miles, Op. cit pp. 49-50 .

٢- عبد الرحمن فهمى، موسوعة النقود العربية وعلم دار الكتب ص ٨٦٨، ٨٦٩ Miles, Op. cit pp. 49-50 .

٣- ابن عذارى ابييان ج ١ ص ١٤٨ .

٤- Stanly lane - poole Catalogue of Oriental Coins in the British Musucum vol . IV - ٤ London 1879 .

٥- أنظر : S. Lane Poole Op. cit p. 3 , 4 , 5 .

« لم تظهر باقى الكتابة بحيث لم يعرف لها تاريخ » .

تابع الخلفاء الفاطميون سياستهم فى سك العملات لتأكيد سيادتهم على بلاد المغرب. فقام الخليفة القائم بالله زيو القاسم محمد ٣٢٢ / ٣٣٤ هـ (٩٣٣-٩٤٥ م) بضرب عملات ذهبية نقش عليها فى الوجه (محمد أبو القاسم لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهدي بالله) وفى الهامش (محمد رسول الله ... الخ) وعلى الوجه الآخر للعملة نقش (الإمام القائم بالله محمد رسول الله أمير المؤمنين) وفى الهامش (بسم الله ضرب هذا الدينار...) (١).

كما قام الخليفة المنصور بالله أبو الطاهر اسماعيل ٣٣٤-٣٤١ هـ / ٩٤٥ / ٩٥٢ م بسك عملات ذهبية وفضية فى مدينة المهدية والمنصورية (٢).

أما الخليفة المعز لدين الله ٣٤١ هـ / ٣٦٥ هـ (٩٥٢-٩٧٥ م) فقد اضاف اضافات جديدة على الكتابات التى تنقش على الدينار، ومثال ذلك الدينار الذى ضرب فى مدينة المنصورية سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م حيث نقش على الوجه الأول (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وفى الهامش (على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (بسم الله ضرب هذا الدينار بالمنصورية سنة ٣٤٣ هـ) (٣).

ويذكر بعض المؤرخين أمثال ابن عذارى وابن سعيد أن أول من قام بسك العملة باسم الدولة هو الأمير عبد الرحمن الثانى (٤) (٢٠٦ هـ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ / ٨٥٢ م).

وكانت أغلبية العملة المتداولة فى عصر الولاة وعصر الامارة تأتى من خارج البلاد (٥) عن طريق التجار الوافدين على الأندلس ، ولكن لايعنى هذا أنه لم تسك فى الأندلس عملة قبل عهد الأمير عبد الرحمن الثانى، فقد وجد فى عصر الولاة بعض العملات الذهبية والفضية سكت داخل الأندلس مثال ذلك عملة نقش عليها فى الوجه «بسم الله الرحمن الرحيم» وعلى الوجه الآخر للعملة نقش لا إله إلا الله وحده « «ضرب هذا الدينار سنة اثنتين ومائة» (٦).

١- S. Lane - poole, Op. cit p. 5 .

٢- S. Lane Poole, op. cit pp. 6 ; 7 ; 8 .

٣- S. Lane - poole : Catalogue of oriental coins vol IV p. 9 London 1879 .

٤- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٩١ ، ابن سعيد ، المغرب ج١ ص ٤٦ .

٥- G.C. Miles: The Coinage of the Umayyads of Spain pp. 39, 40 .

٦- G. C. Miles op. cit, p. 113, 114 , 115 .

أما فى عصر الخلافة فقد سكّت كثير من الدنانير الذهبية والدرهم الفضية فى الأندلس ومدينة الزهراء لتأكيد سيادة الدولة ورفع مكانة واسم الخلافة .

فقام الخليفة عبد الرحمن عبد الناصر بسك عملات ذهبية ودرهم فضية تمثل اسم ولقب أمير المؤمنين، ومن هذه العملات، عملة سكّت بمدينة الزهراء ٣٤٣هـ نقش على الوجه الأول منها (لا رله إلا الله وحده لا شريك له محمد) وفى الهامش . بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة الزهراء سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة) وعلى الوجه الآخر (الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين) وفى الهامش (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»^(١).

كما قام بسك عملات من الدرهم الفضية فى الأندلس سنة ٣٢٤هـ، ٣٣١هـ، ٣٣٤هـ، ٣٣٦هـ، وبالزهراء سنة ٣٣٨هـ، ٣٣٩هـ، ٣٤٠هـ، ٣٤٢هـ إلى سنة ٣٤٩هـ^(٢).

وتوالى سك العملات الذهبية والدرهم الفضية فى الأندلس ومدينة الزهراء بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وخاصة فى عهد الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد.

هذا وتشمل العملة على عدة أنواع وهى الدنانير الذهبية والدرهم الفضية والفلس النحاسية كما سبق أن ذكرنا ، وكان الدنانير يعادل عشرة دراهم قديمة والدرهم نوعان، درهم قديمة جديدة والتقديم كان مخلوطا بالنحاس، أما الدرهم الجديدة، فكانت من الفضة الخالصة ، ولذلك كان كل عشرة دراهم قديمة تعادل ثمانية دراهم جديدة^(٤).

لم تكن العملة هى وسيلة التعامل الوحيدة فى بلاد المغرب والأندلس فقد وجدت إلى جانب العملة السفاتج^(٥) والصكوك^(٦) وهى من وسائل المعاملات الهامة فى ذلك الوقت .

١- S. Lane - poole, Catalogue of Oriental Coins pp. 14 , 15 .

٢- S. Lane- Poole op. cit pp. 15 , 16 , 17 , 18 .

٣- Ibid pp. 19 , 20 , 21 , 23 , 24 , 25 , 26 , 27 .

٤- القلقشندي ، صبح الأعشى ج٥ ص ١١٤ .

٥- السفاتج «وهى كلمة فارسية مفردتها سفتجة ومعناها خطاب ضمان مال» جمال سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ص ١٦٣ .

٦- أما الصك ، فمعناها سند الدين وهى تشبه فى الوقت الحاضر الكمبيالة أو الشيك (محمد على حيدر، الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق ص ٢٨٦ .

ولقد استخدم التجار الأندلسيون والمغاربة فى معاملاتهم التجارية السفاتج والصكوك وذلك ضمنا لاقام العمليات التجارية وتسهيلها وكانت السفاتج والصكوك وسيلة من الوسائل المأمورية من الضياع والسرقة .. وقد استخدمت الصكوك فى المعاملات التجارية كدفع الديون^(١) وفى أعمال البيع المختلفة.

أما الموازين والمكاييل فقد استعملها الأندلسيون والمغاربة على السواء فى معاملاتهم التجارية. وكانت وحدة الوزن فى بلاد الأندلس والمغرب هى القنطار والرطل والأوقية والدرهم ، وكان الرطل يحتوى على ١٦ أوقية وكل أوقية ٢١ درهما^(٢).

وقد اختلفت قيمة الوزن حسب نوع السلعة ، كذلك اختلفت الأوزان باختلاف المكان فكان لكل «اقليم وبلد فى المعاملة على أوطال تتضاءل فى الزيادة والنقصان»^(٣) ويتضح من هذا النص أنه كان لكل اقليم أوزانه الخاصة به «فكان الرطل فى بلاد الأندلس يحتوى على ١٦ أوقية ، أما الأوقية فكانت تساوى ٢١ درهما^(٤).

أما أهل مدينة فاس فى المغرب الأقصى فقد استعملوا الأوقية^(٥) فكانت جميع السلع التجارية ، وخاصة أنواع الطعام المختلفة من عسل وزبيب تباع بالأواق^(٦) ، أما تونس فاستخدمت إلى جانب الموازين المختلفة ، الرطل ، وكان الرطل فى مدينة تونس يساوى ١٢ درهما^(٧).

= «انتشر استعمال هذه الصكوك فى بلاد المغرب والأندلس حتى أن تجار سجلماسة كانوا يتبادلون فيما بينهم صكوكا تبلغ قيمتها نحو أربعين ألف دينار ، الاصطخرى ، المسالك والممالك ص ٣٧ ، ٣٨ .

١- مصطفى الهمشرى ، الأعمال المصرفية فى الإسلام ص ٢١ ، ص ٢٢ .

٢- القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٥ ص ١١٤ ، ص ١٧٧ .

٣- الشيزى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٥ .

٤- القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٥ ص ١١٤ .

٥- البكرى ، المغرب ص ١١٧ .

٦- البكرى ، المغرب ، نفس الصفحة .

٧- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٢٤٠ .

أما المكاييل فهي نوعان ، الأول يسمى القفيز ويساوى ١٦ وبة ، وكل وبة ١٢ مدا^(١) والثانى يسمى الصفحة أو الوسق ، وكل صفحة تساوى ١٢ مدا وكانت الصفحة تساوى ٦٠ صاعا ، فكان المد يعادل خمسة صاعات^(٢) ولم تكن هذه المكاييل موحدة إذ كانت هي الأخرى تختلف من إقليم إلى آخر حسب أحوال وظروف ذلك الإقليم ، فمثلا كان المد فى مدينة فاس يعادل ثمانين أوقية^(٣).

أما الوسق فكان يباع فى مدينة فاس كل أربعة أوسقة من القمح بنصف مثقال، كما كانت تباع الثمانين وسقا من الفاكهة والشمار بنصف مثقال أيضا^(٤). أما قرطبة فكان مد القمح بثلاثة دراهم^(٥).

١- «المد كيل معين اختلف سعته فى العالم الإسلامى حسب الأمكنة والعصور والمذاهب، وكان المد يتداول فى بلاد المغرب والأندلس فى العصر الوسيط، فكان مد مدينة أصيلة سعته عشرين مدا نبويا وسعة المد فى مليلة ٢٥ مدا نبويا، أما سعة المد فى قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر فقد حدده النويرى قوله «فاشتد بها الغلاء فبيع مدى القمح - وهو قفيزان ونصف بالقروى- نسبة إلى القيروان بثلاثة دراسهم انظر أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة، نشر مؤنس ص ٨٦، مدريد سنة ١٩٦٠، كتاب إمام السوق للنوشرىش : نشر محمود على مكى، معهد الدراسات المصرى، دورية العدد ١-٢ (١٩٥٦) .

٢- القلقشندى ، المصدر السابق ج ٥ ص ١١٤ .

٣- البكرى، المغرب ص ١١٧ .

٤- ابن أبى زرع ، الأندلس والمغرب ، ج ٢ ص ٩٤ ج ١ .

٥- أبو الحسن على بن يوسف ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة نشر مؤنس، ص ٨٦ ، كتاب إمام السوق للنوشرىش ، نشر محمود على مكى، معهد الدراسات المصرى ، مدريد العدد ١-٢ (١٩٥٦ م) .

التجارة الخارجية المتبادلة بين الأندلس والمغرب

الطرق التجارية بين بلاد الأندلس والمغرب

نشطت الحركة التجارية بين بلاد الأندلس والمغرب وذلك نتيجة للازدهار الزراعى والصناعى والتقدم الحضارى الذى ظهر خلال القرن الرابع الهجرى وصارت أسواق الأندلس والمغرب تزدهم بالمنتجات المغربية والأندلسية ونشطت هذه الأسواق نشاطا عظيما، مرجع ذلك إلى الارتباط الوثيق الذى ربط بين هذين القطرين .

هذا وقد لعب الموقع الجغرافى والظروف المناخية المتشابهة لكل من الأندلس والمغرب دورا عظيما فى ازدياد النشاط التجارى بين القطرين .

وقد ربطت بين الأندلس والمغرب خطوط بحرية، حيث كانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل بلاد الأندلس والمغرب فكانت السفن التجارية تنتقل فى البحرين مالقة أو المرية وبين تنس التى أنشأها البحريون من الأندلسيين^(١) فى بلاد المغرب، كما ترددت هذه أيضا بين مالقة وبين نكور فى بلاد المغرب^(٢).

أما ميناء قرية طبرقة فقد اشتهرت بكثرة ورد التجار الاندلسيين^(٣) إليها، كما كان ميناء بونة^(٤) وتونس^(٥) من الموانى الهامة التى يصلها تجار الاندلس حاملين منتجاتهم إلى تلك المناطق .

أما ميناء وهران فى المغرب الأوسط «فهى فرضة الأندلس إليها ترد السلع ومنها تحمل الغلال»^(٦) فكانت السفن التجارية تتردد بين وهران والمرية حاملة مختلف أنواع التجارات والعلماء المسافرين عبر الثغرين.

١- ابن عذارى، البيان ج١ ص ١٥٤ ، ابن حوقل، صورة الزرى ص ٧٨ .

٢- ابن عذارى، المصدر السابق ج١ ص ٢٥٢ .

٣- ابن حوقل ، المصدر السابق ص ٧٦ .

٤- البكرى، المغرب ص ٥٥ .

٥- الاصطخرى، المسالك والممالك ص ٣٨ .

٦- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٩ .

كما كانت موانئ سبتة وطنجة وأزيلي مرافئ للحط والأقلاع للسفن الأندلسية حيث كانت أزيلي آخر المعابر المغربية إلى الأندلس^(١).

أما سبتة وطنجة فكان لهما أثر عظيم في رواج التجارة الأندلسية والمغربية ، وذلك لوقوع هذين الشغرين تحت السيطرة الأموية في الأندلس .

ولذلك كانت سبتة وطنجة معبرا تجاريا عظيما ربط الأندلس بالمغرب ولذا كان الطريق البحري عبر مضيق جبل طارق من أهم الطرق التجارية بالنسبة للعلاقات الاقتصادية بين البلدين .

السلع المتبادلة :

السلع الأندلسية المصدر إلى بلاد المغرب:

القطن :

كن القطن من الحاصلات الزراعية الهامة التي تصدرها الأندلس إلى بلاد المغرب . فقد صدرت الأندلس إلى بلاد المغرب كميات كبيرة منه .

وكانت أشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدر للقطن حيث كانت تنتج كميات وفيرة^(٢) والقطن يوجد بأرضها فيعم بلاد المشرق ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسجلماصة وما والاها^(٣).

زيت الزيتون :

وهو من أهم الحاصلات في بلاد الأندلس، وتعتبر مدينة أشبيلية من أهم مدن الأندلس انتاجا لزيت الزيتون^(٤) ، حيث قامت بتصديره إلى سلا في بلاد المغرب^(٥).

١- الاصطخرى، المسالك والممالك ص ٣٨ ، ٣٩ .

٢- الحميري، الروض المعطار ص ٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٩٥ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٩٢ ، ٢٨٤ .

٣- الحميري ، الروض المعطار ص ٢٠ ، ٢١ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٢٩٢ .

٤- الإدريسي، صفة المغرب ص ١٧٨ ، ابن سعيد ، نزهة الأنظار ج ١ ص ١٤٨ ، الحميري ، الروض المعطار ص ٢٤ ، تاريخ ابن الكردبوس ص ١٣٩ ، حاشية ٢ .

٥- الإدريسي ، صفة المغرب ص ١٣٦ ، ١٧٨ ، ابن سعيد ، المصدر السابق ج ١ ص ١٤ ، عبد الحميد محمود الشرقاوي ، الحياة الاقتصادية في الأندلس الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ١٠٢ (رسالة غير مطبوعة) .

الفاكهة :

ازدهرت زراعة الفاكهة فى بلاد الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، بفضل ما لقيته من عناية واهتمام ويوضح المقرئ نقلا عن ابن سعيد مدى ما وصلت إليه بلاد الأندلس من شهرة فى زراعة وانتاج عدة أنواع من الفاكهة «وأما التجار وأصناف الفواكه ، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز ... ولا يعدم منها إلا التمر ، ولها من أنواع الفواكه ما يعدم فى غيرها أو يقل كالتين القوطى والتين السفرى فى أشبيلية ... وكذلك التين المالى والزبيب المنكبى والزبيب العلى والرمان السقري ، والخوخ والجوز واللوز ، وغير ذلك مما يطول ذكره» (١) .

هذا وقد حظيت بلاد المغرب بنصيب كبير منها ومن أهم الفواكه المصدر إلى بلاد المغرب التين والعنب والزيتون (٢) ، وكانت هذه الفاكهة تباع فى أسواق المغرب .

وكانت مألقة من أهم المدن الأندلسية انتاجا لأنواع كثيرة من الفاكهة منها التين الذى عرف بالتين المالى (٣) . فقد أمتاز هذا النوع من الفاكهة الأندلسية بحلاوة الطعم وعدم تسوسه واحتماله البقاء مدة طويلة دون أن يفسد (٥) .

المعادن :

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد المغرب بكثير من أنواعها المختلفة لعل من أهمها معدن الزئبق ، وتعد مدينة قرطبة من أهم المدن الأندلسية المنتجة والمصدرة لمعادن الزئبق (٦) والفضة والحديد والرصاص (٧) ، كذلك أمدت الأندلس بلاد المغرب بمعدن التوتيا حيث كانت غرناطة (٨) تنتج كميات وفيرة.

١- المقرئ ، فتح الطيب ج١ ص ١٦٦ .

٢- ابن سعيد ، نزهة الأنظار ص ١٤ .

٣- الحميرى ، الروض المعطار ص ١٧٨ ، المقرئ ج١ .

٤- الحميرى ، الروض المعطار ص ١٧٨ ، المقرئ ج١ ص ٢٠٥ .

٥- ابن الوردى ، فريدة المعجائب وخريدة الغرائب ص ٣ .

٦- المراكشى ، المعجب ص ٣٦٣ ، الأدرسى ، صفة المغرب ص ٢١٣ ، البكرى ، جغرافية الأندلس ص ١٢٩ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٩٥ .

٨- الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٤ ، ابن الخطيب الإحاطة فى أخبار غرناطة ج١ ص ١٤ .

الصناعات الأندلسية :

برعت بلاد الأندلس فى صناعات عدة ويؤيد المقرئ هذا القول نقلا عن ابن سعيد بقوله «والى مصنوعات الأندلس ينتهى التفضيل وللمتعصبين لها فى ذلك كلام كثير^(١)، أما المنسوجات المختلفة فقد حظيت بلاد المغرب بكميات عظيمة من المنسوجات الأندلسية حيث صدرت المرية أنواعا فاخرة من المنسوجات الحريرية^(٢)، كما صدرت مالقة أنواعا فاخرة من الحرير الموشى المذهب^(٣).

أما البيرة^(٤) وجيان^(٥) فقد أمدت بلاد المغرب بكميات وفيرة من الحرير الفاخر. كما صدرت الأندلس بالإضافة إلى المنسوجات الفاخرة من الحرير، الأكسية الصوفية الرفيعة^(٦). كذلك أمدت بلنسية بلاد المغرب بالمنسوجات المختلفة^(٧).

ومن المصنوعات الأندلسية التى كانت تصدر إلى بلاد المغرب الفخار الذى اشتهرت مالقة بصناعته الدقيقة^(٨). وكذلك «الصفى الحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى ما يبهى العقل ومنها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد أفريقية وغيرها^(٩)، كما كان يرد إلى بلاد المغرب من مدينة شاطبة فى الأندلس أنواع من الورق اشتهرت الأندلس عموما بصناعته^(١٠).

١- الحميرى، الروض المعطار ص ١٨٤، ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ١١٩، المقرئ، المصدر السابق ج ١ ص ١٨٦، ١٨٧، سالم (عبد العزيز) تاريخ مدينة المرية ص ١٥٥.

٢- المقرئ نفح الطيب ج ١ ص ١٨٦.

٣- الحميرى، الروض المعطار ص ٢٤، الاصطخرى المسالك والممالك ص ٢٦.

٤- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٩٥.

٥- ابن حوقل، صورة الأرض ص ٩٥.

٦- المقرئ، نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٧، القاهرة.

٧- الأدريسى، صفة المغرب ص ١٩٢، المقرئ ج ١ ص ١٥٦.

٨- المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ١٨٦، ١٨٧، سالم (عبد العزيز) تاريخ المرية ص ١٧١.

٩- ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٠٩.

أما الأخشاب فقد صدرت الأندلس الكثير منه إلى بلاد المغرب حيث كان يأتي من حصن « فيجاظه »^(١) . (QUESADA)

كما أمدت الأندلس بلاد المغرب بأنواع متفرقة من أنتاجها فصدرت إلى تونس فراء القنلية^(٢) ، أما جلد السفن^(٣) فقد صدرت الأندلس كميات وفيرة منه إلى بلاد المغرب^(٤) . أما الزعفران وعروق الزنجبيل^(٥) فكانت تحمل من بياسة وجيان^(٦) إلى بلاد المغرب.

صادرات المغرب إلى الأندلس^(٧):

أمدت المغرب بلاد الأندلس بعدة أنواع من السلع الغذائية المختلفة حيث كانت تنقلها المراكب الأندلسية من مراس بلاد المغرب المنتشرة على طول الساحل الإفريقي^(٨) .

كانت أهم هذه السلع الغذائية : القمح :

حيث تنقله المراكب إلى الأندلس من ميناء وهران وطبرق^(٩) .

١- الادريسي ، صفة المغرب ص ٢٠٧ ، الحميري ، الروض المعطار ص ١٦٥ .

٢- القنلية حيوان أدق من الأرنب .. وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى « المقرئ نفع الطيب ج ١ ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ » .

٣- « جلد غليظ يشبه جلد التماسيح كان يتخذ جلده مقابض للسيوف » الاصطخرى المسالك والممالك ص ٣٥ .

٤- الاصطخرى ، المصدر السابق ص ٣٥ .

٥- ش: ب: أرسلان ، الحلل السندسية ج ٢ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٦- المقرئ ، نفع الطيب ج ٢ ص ٢٠٤ ، شكيب أرسلان المرجع السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٧- هذا وقد انتشرت الصناعات الأندلسية عبر العالم الإسلامي كله ، وقد نقل قائمة طبية عن المقرئ وابن خلدون عن أهم السلع الأندلسية المصدرة إلى المشرق . انظر :

Serjeant: Islamic Textiles p. 167 .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٨٢ .

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٦ ، ٧٩ .

الفاكهة :

أما الفاكهة فقد صدرت سبته إلى بلاد الأندلس كميات وفيرة من الفاكهة المختلفة^(١)، أما الجوز واللوز والفستق فقد صدرت منه المغرب إلى بلاد الأندلس الكثير حيث كان يأتيها من قفصه^(٢). أما قصب السكر فقد كان من أكثر ما يصدر إلى بلاد الأندلس من قرية تاوردنت على نهر وادي ماسة بالسوس الأقصى ببلاد المغرب الأقصى^(٣) أما الزيت فكان يرد إلى الأندلس من سفاقس^(٤)، كذلك صدرت بلاد المغرب إلى الأندلس المنسوجات الصوفية^(٥).

أما الأغنام والماشية^(٦) فكانت المغرب وخاصة برقة وأودغست تصدر الكثير منها إلى بلاد الأندلس. كذلك كان يرد إلى الأندلس جلد النمر الذي يجلب من ساحل الجزيرة الخضراء^(٧). أما فراء حيوان القنلية^(٨) فكان يجلب إلى الأندلس من سبته حيث يلبسه المسلمون والنصارى^(٩).

أما الصمغ السماوي الذي يستخدم في صبغ الديباج، فقد كان يرد إلى الأندلس من أودغست في المغرب الأقصى^(١٠)، كما استوردت الأندلس من بلاد المغرب، الرخام الوردي والأخضر، حيث كان يرد من سفاقس وأفريقية (تونس) قرطاجنة^(١١).

١- الادريسي، صفة المغرب ص ١٦٧.

٢- البكري، المغرب ص ٤٧.

٣- مجهول، الاستبصار ص ٢١١، ٢١٢.

٤- البكري ص ٢٠، ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٣.

٥- ابن حوقل المصدر السابق ص ٦٩.

٦- ابن حوقل المصدر السابق ص ٧٧.

٧- العذري ص ١٢٠.

٨- هو حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبرا.

٩- المقرئ، نفع الطيب ج ٤ ص ١٨٤، ١٨٥.

١٠- البكري، المغرب ص ١٥٨.

١١- المقرئ، نفع الطيب ج ٢ ص ٦٧.

الخلاصة أن العلاقات الاقتصادية كانت صورة طيبة للعلاقات بين القطرين ظهر فيها أثر العلاقات السياسية واضحا حيث كانت الخلافة الأموية تسيطر على جزء كبير من المغرب الأقصى .

كما ظهر فيها العامل البحرى واضحا غاية الوضوح ولعبت البحرية التجارية دورا بارزا فى نقل فائض الانتاج من بلد إلى آخر ، ولعب التكامل الاقتصادى بين القطرين دوره أيضا فكان فائض الانتاج هنا يصدر إلى هناك وهكذا .

فلا عيب أن حظى القطران بذلك الزدهار الاقتصادى الذى عرضنا لبعض مظاهره .

لكن سقوط الخلافة الأندلسية وتفكك الاندلس إلى دويلات طوائف والأحداث التى دهمت المغرب من أنقسامات سياسية وغزوات عرب هلالية ستقطع هذه الصلات المزدهرة وتظل الصلات شبه مقطوعة إلى أن يعيد المرابطون والموحدون هذه العلاقات مرة أخرى .

الفصل الرابع

العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب فى عصر الخلافة

- العوامل المؤثرة فى العلاقات الثقافية- الصلات الجغرافية -
- الرحلات المتبادلة بين القطرين - المحاضرات الثقافية والتبادل الفكرى
- بينها - تفاصيل عن العلاقات الثقافية بين القطرين - الفقه -
- المذهب الشيعى- الدراسات اللغوية والأدبية - العلوم .

العوامل المؤثرة فى العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب

اجتمعت عوامل متعددة تركت أثرها الواضح فى تاريخ العلاقات بين المغرب والأندلس فى عصر الخلافة على وجه خاص جعلت التبادل الفكرى أسرع منالا وأشد فعالية، ويسرت التبادل الفكرى بين القطرين فجعلتهما أوثق صلة، وكادت أن تصنع منهما عالما خاصا له قوامه ومميزاته فى عالم الثقافة العربية الإسلامية .

فالقرب الجغرافى من أهم الأسباب التى توثق العلاقات بين إقليم وآخر . والصلات بين الأندلس والمغرب ما أقربها ، فالمضيق الفاصل بينهما كان من السهل عبوره فى أى وقت ، لذلك كان هذا المضيق قناة هامة من قنوات الاتصال بين البلدين فكاد أن يصيرا بلدا واحدا .

وكانت الرحلات المتبادلة بين علماء بلاد الأندلس والمغرب من أهم الروابط التى ربطت بين القطرين ثقافيا . هذا وقد ترجم المؤرخ ابن الفرضى فى كتابه « تاريخ علماء الأندلس » لأكثر من مائة عالم رحلوا من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب وبالعكس ، لطلب العلم والتزود به .

كما ترجم الحميدى فى كتابه « جذوة المقتبس » لكثير من العلماء الأندلسيين والمغاربة الذين رحلوا إلى بلاد المغرب والأندلس .

أما الخشنى فإنه يورد فى كتابه « قضاة قرطبة » أسماء الكثيرين من قضاة قرطبة الذين تلقوا العلم فى بلاد المغرب وخاصة فى القيروان .

أما القاضى عياض فإنه يترجم فى كتابه « ترتيب المدارك » لكثير من العلماء الأندلسيين والذين شدوا الرجال طلبا للعلم والتزود به .

وسوف نتحدث بالتفصيل عن أهم هؤلاء العلماء المغاربة والأندلسيين الذين رحلوا في الفترة التي نؤرخ لها .

العلماء المغاربة الراحلون إلى الأندلس:

منهم عيسى بن علاء بن نذير بن أيمن من أهل سبتة^(١)، يكنى أبا الأصبغ سمع بقرطبة من أحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك وقاسم بن أصبغ وغيرهما من علماء الأندلس وفقهائها، وقد استقر بقرطبة زمنا، وكان فقيها عالما ومحدثا وضابطا، وتوفي سنة ٣٠٦هـ^(٢).

محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر البلوي، من أهل القيروان^(٣)، يكنى أبا عبد الله، رحل إلى الأندلس حيث سكن بجانه، حدث عن أبي الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصبهاني - وكان قد قدم عليهم من أفريقية - وأحمد بن زياد وغيرهم، حدث بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة حتى سنة أربعين وثلاثمائة^(٤).

محمد بن هشام بن الليث اليحصي من علماء القيروان^(٥)، يكنى أبا عبد الله، وصل إلى الأندلس واستقر في قرطبة أيضا، وروى عن يحيى بن عمرو عبد الله بن محمد بن عثمان وأحمد بن إبراهيم بن فتح وخلف بن محمد وغيرهم من العلماء^(٦)، وتوفي بقرطبة سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م^(٧).

أما مدينة فاس فقد رحل منها العالم الفقيه دراس بن إسماعيل الفاسي^(٨) وهو أول من

١- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٣٧.

٢- ابن الفرضي، نفس المصدر ج ١ ص ٣٣٨.

٣- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١١١.

٤- ابن الفرضي، المصدر السابق ص ١١١.

٥- ابن الفرضي، نفس المصدر ج ٢ ص ١١١.

٦- ابن الفرضي، نفس المصدر ج ٢ ص ١١١.

٧- ابن الفرضي، المصدر السابق ج ٢ ص ١١١.

٨- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ج ١ ط الأولى ص ١١٦.

أدخل المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الأقصى^(١)، كان فقيها حافظا للرأى رحل إلى الاسكندرية حيث التقى ببعض علمائها أمثال على بن عبد الله بن مطر ثم رحل إلى القيروان حيث سمع منه بعض تلاميذه أمثال أبو الحسن القابس ودخل الأندلس وتردد بين الشفور مجاهدا^(٢) «وقد توفى فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧ هـ بمدينة فاس^(٣)».

أما محمد بن أحمد بن محمد الفارسى فهر من علماء القيروان وقد تعلم بها ثم رحل إلى مكة والاسكندرية وعاد ثانية إلى القيروان ومنها رحل إلى الأندلس، فكان يتنقل بين قرطبة وشذونة وأشبيلية واستقر بقرطبة وسمع منه الناس كثيرا من العلم والمعرفة «وكان خيرا متمسكا بالسنة شديد الإنكار على أهل البدع^(٤)» وتوفى سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م.

ومنهم أيضا محمد بن الحارث الخشنى ولد ونشأ بالقيروان حيث تعلم بها على أيد فقهاء وعلمائها أمثال أحمد بن زياد وأحمد بن نصر، كما سمع من عدة رجال من أفريقية^(٥) «وكان حافظا للفقہ عالما بالفتيا، حسن القياس، ولى الشورى بقرطبة^(٦)»، وقد أشاد الضبى فى كتابه بغية الملتبس «إلى أنه جمع كتابا فى أخبار القضاة بالأندلس وكتابا فى أخبار الفقهاء والمحدثين^(٧)».

وأشار الحميدى إلى أنه جمع كتابا فى الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه^(٨)، وقد صنف الخشنى للخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م) مائة ديوان وجمع

١- حسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ ص ١٢٤.

٢- ابن فرحون، الديباج المذهب ص ١١٦.

٣- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٤٦.

٤- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١١٢.

٥- الخشنى، قضاة قرطبة ترجمة لكتاب المؤلف ص د، ابن الفرضى نفس المصدر ص ١١٢.

٦- الخشنى، المصدر السابق ص د، ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١١٢.

٧- الضبى، بغية الملتبس ص ٧١.

٨- الحميدى، جذوة المقتبس ص ٤١، الضبى، المصدر السابق ص ٧١.

له فى رجال الأندلس مؤلف كبير ^(١)، وتوفى الخشنى بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٦١هـ ^(٢)، ومحمد بن الحسين بن النعمان بن المقرئ القيروانى، وقد عنى بالقرآن وجوده على علماء القراءة فى القيروان ومصر ثم رحل إلى الأندلس فقرأ عليه كثير من الناس، وتوفى الأندلس سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م ^(٣).

قيم بن محمد التميمى من علماء القيروان رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة حيث حدث عن أبيه وعن عبدالله بن محمد الرعينى وجماعة سواهم وقد سمع منه الناس كثيرا من الأحاديث النبوية ^(٤) وتوفى سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م ^(٥).

وحباسة بن حسن اليحصبى، تلقى العلم بالقيروان على أيدي علمائها أمثال زياد بن عبدالرحمن بن زياد وأبراهيم بن عبدالله الزبيدى المعروف بالقلاتسى، ثم رحل إلى الأندلس فلزم العبادة ودراسة العلم والجهاد إلى أن توفى بقرطبة سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ^(٦).

محمد بن يوسف الوراق ^(٧)، وكان من العلماء الذين أغراهم كرم الحكم المستنصر وتشجيعه له، تعلم بالقيروان حيث نشأ ^(٨) بها ورحل إلى الأندلس، واستوطن قرطبة وألف بالأندلس للحكم المستنصر كتابا ضخما فى مسالك أفريقية وممالكها كما ألف فى تاريخ ملوك أفريقية وتاهرت ووهران وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها من مدن المغرب ^(٩).

١- ترجمة الخشنى من كتابه قضاة قرطبة .

٢- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ج ١١٣، ابن فرحون الديباج المذهب ص ٢٥٩ .

٣- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ج ١١٣ .

٤- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ج ٩٩ .

٥- المصدر السابق نفس الصفحة .

٦- المصدر السابق ص ١٢٨ .

٧- الحميدى، الجذوة ص ٩٧ .

٨- عبد العزيز سالم، قرطبة فى علم الخلافة ص ١٦٥ .

٩- الحميدى، الجذوة ص ٣٥١ .

ومن العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى الأندلس أيضا وقام بالتدريس بها الفقيه مكى بن محمد حموش المقرئ. ولد بالقيروان ونشأ بها ورحل إلى مصر حيث قرأ على شيوخها أمثال على بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ الجلى ثم رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة وكان أماما مشهورا فى القراءة^(١).

كما وفد على الأندلس من فاس الفقيه موسى بن يحيى الصدينى كان فقيها للمسائل عالما بالرأى رحل إلى المشرق ولقى أبا جعفر الأسوانى المالكى. دخل الأندلس وتردد فى الشفر، وحدث عنه عبدوس وغيره من تلاميذه، وتوفى بمدينة فاس سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م)^(٣).

ومن العلماء الذين وفدوا على الأندلس أيضا الفقيه عبد الله أبو محمد بن أبى زيد نغزى النسب^(٤). سكن القيروان، وكان أمام المالكية فى وقته وقد جمع مذهب مالك وعلق عليه بالشرح والتحليل، «كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية... فصيح القلم ذا بيان ومعرفة^(٥)» ينظم الشعر ويجيده حتى لقد كان يعرف بمالك الصغير.

سمع من مشاهير علماء القيروان أمثال أبى بكر بن اللباد ورحل إلى المشرق فسمع من الأعرابى وإبراهيم من المنذر ثم رحل إلى الأندلس فسمع من محمد بن موهب القبرى وغيرهم من فقهاء الأندلس، ومن أشهر مؤلفاته «الزيادات على المدونة» و«كتاب الاقتداء بأهل المدينة» و«كتاب تفسير أوقات الصلوات» و«كتاب الرسالة»^(٦)، توفى سنة ستة وثمانين وثلاثمائة^(٧).

١- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٥٠.

٢- ابن الفرضى، المصدر السابق ج نفس الصفحة.

٣- ابن فرحون، الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ص ١٣٧ ج ١ ص ١٣٢٩هـ.

٤- ابن فرحون، المصدر السابق ص ١٣٧.

٥- ابن فرحون، نفس المصدر ص ١٣٧.

٦- ابن فرحون الديباج المذهب ص ١٣٧.

٧- ابن فرحون الديباج المذهب ص ١٣٨.

زكريا بن بكر بن أحمد الفساني، يعرف بابن الأشبح ويكنى أبا جعفر^(١) وهو من أهل تيهرت دخل الأندلس مع أخيه وأبيه سنة ست وعشرين وثلاثمائة، فسمع المدونة من محمد بن عبد الملك بن أمين، كما سمع من قاسم بن أصبغ وكانت له رحلة إلى المشرق، فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة مسلم بن الفضل، كما التقى في مصر الشاعر أبي الطيب أحمد ابن الحسين المتنبى حيث أخذ عنه ديوان شعره رواية ثم عاد إلى الأندلس « فلم يزل مقيما بقرطبة إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م^(٢) ».

العلماء الراحلون إلى المغرب:

وبالتالي تتابعت رحلات علماء الأندلس إلى المغرب للتعلم على أيدي علمائها وخاصة كنون بن سعيد وولده محمد وكانا أبحر فقهاء المالكية في بلاد المغرب وتلاميذهم أمثال ابن اللباد وأحمد بن يوسف وأحمد بن نصر وغيرهم من فقهاء القيروان.

ومن الفقهاء الأندلسيين الذين شدوا الرحال إلى المغرب عبدالله ابن محمد بن عبدالله بنهدرون من أهل قرطبة سمع من العتبي وعبدالله ابن محمد بن خالد، ورحل إلى القيروان حيث درس وسمع من محمد بن سحنون^(٣).

وكان ابن بدرون بليغا بصيرا باللغة والاعراب، توفي سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م^(٤).

صالح بن محمد المرادى، من أهل وشقة يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الوركاني كان حافظا فقيها^(٥).

رحل إلى بلاد المغرب حيث درس في القيروان على أيدي نخبة من علماء القيروان أمثال يحيى بن عمر وأحمد بن يزيد وغيرهما، وتوفي سنة ٣٠٢هـ^(٦).

١- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٥٢.

٢- ابن الفرضي، المصدر السابق ج ١ ص ١٥٢.

٣- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص ٢٢٠.

٤- ابن الفرضي، المصدر السابق ص ٢١٩، ٢٢٠.

٥- ابن الفرضي، نفس المصدر ص ٢٠١.

٦- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٢٠١.

وقد رحل من أهل شذونه بالأندلس محمد بن وضاح الصدفى المكنى بابن عبدالله سمع من
الفقيه محمد بن وضاح المدونة فى قرطبة ثم رحل إلى المشرق ودخل القيروان حيث روى هناك
تفسير القرآن ليحيى بن سلام عن أبى داود وأحمد بن موسى بن جرير القروى روى عنه هارون
بن عتاب ، توفى فى صدر أيام عبد الرحمن الناصر^(١).

كما رحل إلى بلاد المغرب أيضا محمد بن حيون من أهل وادى الحجارة سمع من أبى
عبدالله الخشنى ، وابن وضاح وعبدالله بن مرة ، ومحمد بن الغازى وجماعة من نظرائهم
بالأندلس .

رحل إلى المشرق ، فدرس فى مكة على أيدي بعض علمائها أمثال على ابن عبد العزيز
وأبى مسلم الكش ثم رحل إلى بغداد حيث درس الحديث على بعض محدثيها ثم ذهب إلى
مصر حيث سمع من عبد السلام النيسابورى وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ثم دخل القيروان
فسمع الحديث من تميم ابن محمد التميمى وغيره وتوفى بقرطبة سنة ٣٠٥هـ^(٢).

سعيد بن سعيد بن كثير المرادى من أهل وشقة، يكنى أبا عثمان^(٣).

سمع الحديث بقرطبة على أيدي محمد بن يوسف بن مطروح وأبى زيد عبد الرحمن بن
إبراهيم وابن مزين وغيرهم . وكانت له رحلة إلى المشرق ثم رحل إلى القيروان حيث سمع من
يحيى بن عمر^(٤) وتوفى سنة ٣٠٦هـ^(٥).

وعبد الله بن محمد بن أبى الوليد الأعرج من أهل شذونة سكن قرطبة، يكنى أبا محمد.
سمع الحديث بقرطبة على أيدي بعض محدثيها أمثال ابن مزين وغيره ورحل إلى القيروان
حيث سمع من محمد بن سحنون وقد قام بتبويب المدونة عن العتبى وتوفى سنة ٣٠٩هـ/
٩٢١م^(٦).

١- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص ٣٠ .

٢- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص ٢٦ ، ٢٧ .

٣- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص ١٦٤ .

٤- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٥- المصدر السابق ص ١٦٥ .

٦- المصدر السابق ص ١٦٥ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

محمد بن عمر بن يوسف بن عامر الأندلسي مولى بن أمية ، يكنى أبا عبدالله ، روى عن الحارث بن مسكين وابن أبي الضياف^(١) وقوم من أهل المغرب وتوفي سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م. (٢)

محمد بن عبيدالله بن أيوب المعروف بالدباج^(٣) ، رحل إلى بغداد حيث سمع من عبدالله بن أحمد بن حنبل واسماعيل القاضي ، قاضي بغداد وغيرهم وعاد إلى القيروان فأقام في فندق ابن خيرون^(٤) حيث سمع منه عمر بن يوسف وغيره وتوفي سنة ٣١٧هـ^(٥).

وعثمان بن جرير بن حميد الكلبي من أهل البيرة يكنى أبا سعيد ، سمع من محمد بن أحمد العتبي ويحيى بن إبراهيم وبقى ابن مخلد ورحل إلى القيروان فسمع من محمد بن سحنون وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد وتوفي سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م ، وقبل سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م^(٦).

محمد بن أبي خالد ، من أهل بجاعة ، تحول عنها إلى البيرة ، يكنى أبا عبدالله .

سمع من ابن وضاح وغيره^(٧) وسمع بالقيروان من جماعة من أصحاب سحنون ، ودرس بالبيرة الموطأ من أبي المصعب ومن أحمد بن سليمان المعروف بابن الربيعي^(٨) ، وتوفي سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م .

ومن أهل البيرة أيضا محمد بن فطيس بن واصل الغافقي روى بالأندلس عن محمد بن أحمد العتبي وأبان بن عيسى بن دينار ويحيى بن إبراهيم ابن مزين وبقى بن مخلد وعبيدالله

١- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٢ ، ٣٣ .

٢- الحميدى ، جذوة المقتبس ص ٢٦٥ .

٣- كان يجيد عمل الديباج ولذلك سمي بالدباج (ابن الفرضي ، نفس المصدر ص ٣٧) .

٤- أحد الفقهاء الأندلسيين الذين هاجروا إلى القيروان حيث أقام بها وبنى الفندق ومسجدا سمي باسمه (أنظر فصل العلاقات السياسية) .

٥- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٨ :

٦- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

٧- المصدر السابق ص ٣٦ .

٨- ابن الفرضي ، نفس المصدر ص ٣٧ .

بن عبد الملك بن حبيب ومحمد بن وضاح وغيرهم، ورحل إلى مصر فسمع من يونس بن الأعلی ومحمد بن عبدالله واسماعيل ابن يحيى المزني ومحمد بن أصبغ بن الفرج وغيرهم . وسمع بمكة من أبي بكر عبدالله بن حمزة القرشي وأبي يحيى بن أبي مرة، ومحمد بن أدریس وراق الحميدي وأحمد بن يحيى المعروف بالصوفي . وسمع بطرابلس من أحمد بن عبدالله بن صالح الكوفي . وسمع بافريقية من شخوة بن عيسى القاضي ، ومن أبي زكريا يحيى بن عون ، وإبراهيم بن غياث الخولاني وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد وغيرهم من أئمة الحديث وأعلام الرواية^(١) ، وتوفي بمدينة ألبيرة سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م^(٢) .

عبدالله بن الحسن المعروف ابن السندی ، من أهل وشقة سمع بقرطبة ورحل فلقى بافريقية يحيى بن عمر حيث روى عنه موطأ مالك^(٣) ، رواية ابن بكر ، وانصرف إلى بلده حيث ولاه أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر القضاء على وشقه ، وتوفي سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م^(٤) .

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف ناصح بن عطاء مولى أمير المؤمنين ، الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٥) . سمع بقرطبة من بقى بن مخلد ، وأبي عبدالله الخشنى ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس ، وأصبغ بن خليل وإبراهيم ابن قاسم بن هلال ، وعبد الله بن قاسم بن هلال وعبدالله بن مسرة ومحمد ابن عبدالله الغازي وغيرهم من علماء الفقه والحديث في الأندلس . ورحل إلى المشرق الصائغ ، كما دخل العراق فلقى من أهل الكوفة إبراهيم بن أبي العنبر قاضيها وإبراهيم بن عبدالله العباس القصار ، حدثهم عن وكيع ، وسمع ببغداد من اسماعيل بن اسحاق قاضي القضاة ، وأحمد بن محمد البرتي القاضي وأحمد بن زهير وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين ومشاهير الرواة ثم رجع إلى أقيروان فسمع من أحمد بن يزيد المعلم ويكر بن حماد التاهرتي الشاعر^(٥) .

١- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص ٤٠ .

٢- المصدر السابق ص ٤١ .

٣- المصدر السابق ج ٢٢٧ .

٤- الحميدي ، جذوة المقتبس ص ٣٣٠ .

٥- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٦٤ .

ثم عاد قاسم بن أصبغ إلى الأندلس بهذا العلم الغزير ومال الناس إليه وسمع منه أكثر هذه الكتب أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ، كما سمع منه أبنه وولى عهده الحكم ، وكان قاسم بن أصبغ هذا بصيرا بالحديث والرجال ضليعا فى النحو والشعر وكان يشاور فى الأحكام .
وتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م^(١).

عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم من أهل قلعة أيوب من ثغر شرق الأندلس رحل إلى القيروان حيث سمع من ابن اللباد^(٢) وغيره من علماء القيروان وتوفى سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م^(٣).

وعلاء بن محمد من أهل تدمير ، رحل إلى مصر حيث سمع من بعض فقهاءها أمثال جعفر بن عبد السلام البزاز وغيره وسمع بأفريقية من عدة من العلماء ، وسمع بتونس من لقمان بن يوسف وأبى البشر التونسي مطر بن بشار وبالقيروان من أبى بكر بن اللباد وغيره^(٤).

وكان كثير التأليف ، توفى فى مدينة بونه سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م^(٥).

مسلمه بن القاسم بن ابراهيم بن عبدالله بن حاتم من أهل قرطبة^(٦).

سمع بالأندلس من محمد بن عمر بن لبابه ، وأبى حفص بن أبى تمام وأحمد بن خالد ، ومحمد بن قاسم ، ومحمد بن زكريا ، وقاسم بن أصبغ : رحل إلى القيروان حيث سمع من أحمد بن موسى المعروف بالنار ، ومن محمد بن عبدالله بن طيس وعبدالله بن سرور وسمع بطرابلس من صالح ابن أحمد الكوفى وغيره وتوفى سنة ٣٥٣هـ^(٧).

١- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

٢- القاضى عياض ، ترتيب المدارك ص ٧٥٤ ، ٧٥٧ .

٣- عياض ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٢٩ .

٥- ابن الفرضى ، المصدر السابق ص ٣٢٩ .

٦- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص ١٢٨ .

٧- ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ص ١٢٨ .

ومحمد بن عمر بن حزم بن سلمه بن وهب اللخمي؛ من أهل قرطبة يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن السراج، سمع من عمر بن حفص بن أبي تمام ومن محمد عمر بن لبابه ونظرانها^(١)، رحل إلى مصر والقيروان حيث سمع من أبي بكر بن بكر بن اللباد. ومن تلاميذه الذين سمعوا منه عبد الرحمن بن عبيد الله ابن سعيد البلوي وخلف بن القاسم وغيرهم وتوفي حول سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م^(٢).

عبدالله بن محمد بن أمية الأنصاري، ويعرف بابن غلبون ويكنى: أبا محمد أصله من قرطبة سكن طليطلة وتولى قضاء طلبيره، سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ والحسن بن سعد ونظرانها، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة: من أبي سعيد ابن الاعرابي وغيره، وسمع بأفريقية من أبي عبدالله محمد بن أبي المنصور القروي.

كان من العلماء الموثوق بهم وسمع منه بعض تلاميذه أمثال عبيدوس بن محمد ابن محمد الثغري وتوفي سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م^(٣).

وتقام بن عبدالله المعافري الطليطلي رحل إلى القيروان حيث سمع من أبي عبدالله بن سرور الغسال^(٤) وغيره وتوفي بطليطلة سنة ٣٧٧ / ٩٨٧هـ^(٥).

عيسى بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن خصيب الأموي، يعرف بابن الإمام، من أهل تطيلة، يكنى أبا الاصبغ سمع من عمه عمر بن يوسف، ومحمد ابن شبل وسمع بقرطبة من ابن عيسى ونظرانها. رحل إلى المشرق فسمع بالقيروان من القاسم الصقلي وغيره وولى الصلاة هناك وتوفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م^(٦).

١- ابن الفرضي: نفس المصدر ج ص ٧١.

٢- ابن الفرضي: نفس المصدر ج ص ٧١.

٣- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ص ٢٣٦، ص ٢٣٧.

٤- عياض ترتيب المدارس ج ٤ ص ٥٧٨.

٥- عياض، المصدر السابق ج ٤ ص ٥٧٨، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص ٩٨.

٦- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ص ٣٣٦.

عبدالله بن إبراهيم أصله من كورة شذونة ورحل أبوه إلى أصيلا من بلاد العدو فسكنها ونشأ بها أبو محمد وطلب بها العلم وتفقه بقرطبة منذ صباه على أيدي الفقيه اللؤلؤي (١). وأبى إبراهيم وسمع من ابن الشباط والقاضي أبي سليم وإبان بن عيسى ونظرانهم وأخذ عن وهب بن مسرة بوادي الحجارة وغيرهم رحل إلى المشرق فلقى شيوخ أفريقية كأبى العباس الأبياني وأبى العرب وعلى ابن مسرور وعبدالله بن أبي زيد، وفي مصر التقى بالقاضي أبي الطاهر البغدادي، وابن أشعب والنيسابوري وغيرهم وحج فلقى بمكة أبا زيد المروزي وسمع منه أبو بكر الآجري وفي العراق التقى بالأبهري رئيس المالكية (٢) هناك وكان عبدالله بن إبراهيم من حفاظ مذهب مالك وأعلمهم بالحديث وأرسلهم قدما وقد ولي قضاء سرقسطة وولى الشورى بقرطبة، حتى أصبح نظيرا لابن أبي زيد القيروان (٣) وإليه انتهت رئاسة المالكية بالأندلس، وألف كتباً على الموطأ أسماء الدليل ذكر فيه خلاف مالك والشافعي وأبى حنيفة توفي سنة ٣٩٢هـ (٤).

ومن رحل إلى بلاد المغرب أيضا سعيد بن محمد بن سيد أبيه رحل إلى القيروان لتلقى العلم على شيوخها توفي سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦ م.

أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي، يعرف بأبن ميمونه، من أهل طليطلة، يكنى أبا جعفر صاحب أبى اسحاق بن شنظير روى بطليطلة عن بعض شيوخها أمثال أبى محمد عبدالله بن محمد بن أمية وأبى محمد عبدالله ابن فتح بن معروف وغيرهم. رحل إلى المشرق سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠ م، حيث سمع بمكة من أبى الطاهر بن محمد، وأبى يعقوب يوسف بن محمد الصيدلاني وأبى القاسم السقطي وغيره (٦). ثم رحل إلى القيروان فسمع من أبى القاسم

١- ابن فرحون : الديباج ، المذهب ج١ ص ٢٣٨ .

٢- ابن فرحون : المصدر السابق ج١ ص ١٣٩ .

٣- ابن فرحون : نفس المصدر ج١ ص ١٣٩ .

٤- ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٩ .

٥- ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ج١ ص ٢٠٩ ط مجرط سنة ١٨٨٢ .

٦- ابن بشكوال : المصدر السابق، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م، ص ٢٠-٢٢ .

عبد الرحمن بن محمد البكري وكان حافظا لرأى مالك وأصحابه توفى سنة ٤٠٠هـ^(١).

ولم يرحل إلى المغرب طلاب العلم فحسب بل رحل إليها القضاة طلبا للمزيد من الخبرة والتجربة ، ومن هؤلاء القضاة الراحلين إلى المغرب القاضى أسلمه بن عبد العزيز الذى تولى القضاء فى قرطبة من سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م إلى ٣٠٩هـ / ٩٢١م^(٢)، رحل إلى القيروان حيث سمع من شيوخها سليمان بن عمران^(٣) كما لقي بمصر محمد بن عبدالله بن عبد الحكم واسماعيل بن يحيى المزنى وغيرهم^(٤).

كما رحل إلى بلاد المغرب أيضا قاضى الجماعة فى قرطبة محمد بن عبدالله ابن عيسى توفى سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م^(٥)، رحل إلى القيروان حيث لقي شيوخها أمثال محمد بن محمد بن اللباد ومحمد بن على البجلي وغيرهما^(٦).

فماذا نستخلص من هذه الرحلات المتبادلة ؟

الراحلون إلى المغرب كان أغلبهم من المشتوقين إلى علم مالك خاصة وعلوم الحديث والنقد عامة لأن الثقافة العربية بالأندلس اعتمدت على الرحلة إلى المشرق تماما . لذلك كان أغلب هؤلاء العلماء يرحلون إلى مصر والحجاز والعراق ثم يعرجون على القيروان فيستزيدون من علم مالك فيأخذون ما يسمعون ويعطون ما عرفوه من علماء المشرق ثم يعودون إلى الأندلس . وقد نضجوا علما وتجربة فيجلسون للتدريس فى عواصمها الكبرى ويؤمهم طلاب العلم ويتصلون بالخلفاء ويتولون القضاء .

أما المغاربة الذين رحلوا إلى الأندلس فلم يكونوا يفعلون ذلك إلا بعد رحلة طويلة إلى المشرق وسماع كثير على جلة علماء الشرق ويتشبعون من العلم الذى شاع بالقيروان ثم

١- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٠ ، ص ٢٢ .

٢- الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ص ١٠٦ .

٣- الخشنى : نفس المصدر ص ١٠٦ .

٤- الخشنى : نفس المصدر ص ١٠٦ .

٥- الخشنى : نفس المصدر ص ١١٩ .

٦- الخشنى : نفس المصدر ص ١١٩ .

يدخلون الأندلس لينفخوا الناس بما حملوا من تراث غزير ويجدون الترحيب الكامل من أهل الأندلس الذين عرفوا بشغفهم بالجديد فى كل فن كما يجدون التشجيع من الخلفاء ورجال الدولة فتطيب اقامتهم هناك وقل منهم من عاد إلى بلده مرة أخرى .

فكان طبيعيا أن يهيم ذلك كله لذلك التكامل الثقافى الوثيق بين الأندلس والمغرب . هذا التكامل الذى نضج فى عصر الخلافة وهى للمغرب الإسلامى أن ينفرد بشخصية خاصة وأن يكون له طابعه الخاص فى ميدان الفقه والحديث .

ومن العوامل التى هيات لهذا الامتزاج الثقافى فوق ما ذكرنا انتشار الحواضر الثقافية فى البلدين واتصالهما اتصالا وثيقا فى عصر الخلافة وستحدث عن حواضر المغرب أولا لأنها أقدم نشأة وأرسخ قدما .

أهم الحواضر الثقافية فى بلاد المغرب والأندلس فى عصر الخلافة

القيروان :

كانت مدينة القيروان من أعظم المراكز الثقافية فى بلاد المغرب ، وقد حظيت بهذه المكانة خلال تاريخها الطويل وقد وصفها المقدسى فى القرن الرابع الهجرى بقوله « وكانت مصرا بهيا عظيما قد جمع أصداد الفواكه ، والسهل والجبل مع علم كثير - لا ترى أرفق من أهلها - ليس بينهم غير حنفى ومالكى مع ألفة عجيبة ، لا شغب بينهم ولا عصبية - فهى مفخرة المغرب ، ومركز السلطان ، وأحد الأركان ، أرفق من نيسابور ، وأكبر من دمشق وأجل من أصبهان ... جامعها بموضع يسمى السماط الكبير وهو أيسر من جامع ابن طولون بأعمدة من الرخام ، ومفروش بالرخام » (٢) .

ولم تلبث القيروان أن أصبحت مدينة من مدن العالم الشهيرة التى وفد إليها طلاب العلم من المشرق والمغرب والأندلس لتلقى العلم على أيدي علمائها وخاصة عن سحنون بن سعيد (٣)

١- اختطت مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ وقد قام ببنائها الأمير عقبة بن نافع لإقرار الجيش العربى الفاتح فى افريقية وتكمينه من الانتشار ومواصلة الفتح « عن القيروان ، انظر (ياقوت معجم البلدان ج٢ ص ٤٢٠ ، ٤٢١) انظر (مصطفى زيبس بين الآثار الإسلامية فى تونس منشورات دار الثقافة سنة ١٩٦٦م) .

٢- المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ، وما بعدها .

٣- وهو عربى من تنوخ ، كان أبوه من العرب الذين نزلوا القيروان «أحد أمين ضحى الإسلام ج١ ص ٢٩٨ .

وتلاميذه من فقهاء المذهب المالكي^(١) ، وكان طلاب العلم الأندلسيون يفتنمون فرصة مرورهم بالقيروان فيقيمون فيها وقتا يتعلمون من علمائها^(٢).

ومع كثرة من سمع من سحنون في القيروان من أهل الأندلس فإن وفودهم كانت تتابع للسماع منه حتى يوم وفاته ، وقد روى أن سليمان بن سالم رأى يوم مات سحنون مشايخ أهل الأندلس يبكون ويضربون صدورهم كالنساء يقولون « يا أبا محمد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا »^(٣).

ولم تكن الصلة بالقيروان قاصرة على الرحلة والتلقى مشافهة بل كانت هناك علاقات فكرية بين القيروان وبين الأندلس عن طريق المراسلة، فقد أشار القاضي^(٤) عياض إلى مراسلة بين قاضي القيروان سحنون وبين قاضي قرطبة ، إذ يقول : « أنه جاء في كتاب سحنون إلى محمد إلى محمد بن زياد قاضي قرطبة يأمره بالشدة والمعاقبة لمن تفالس وتكرار الآداب والعذاب عليه حتى يؤدي أو يموت ، قال سحنون بذلك أخذت في ابن أبي الجواد ضريته أربعاً وعشرين ومائة درة وأوقفته يوم الجمعة للناس في صحن الجامع وسوف أضربه أبداً حتى يؤدي تحت الدرة أو يموت »^(٥).

هكذا أصبحت القيروان من منابع الفكر العربي انتظم بها التعليم في الكتاتيب والمساجد وتكونت المكتبات العامة التي ضمت الكتب العلمية والأدبية وأنشئ بها معهد لدراسة

١- « دخل المذهب المالكي إلى الأندلس على أيدي جماعة من فقهاء الأندلس الذين درسوا هذا المذهب على يد الإمام مالك في المدينة ثم عادوا إلى بلادهم وعملوا على نشر هذا المذهب بين أهلهم وكانوا على مذهب أبي حنيفة ومن هؤلاء زياد بن عبد الرحمن اللخمي ٤٣٩ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، المقرئ ، نفع الطيب ج ٢ ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٥١ م ومن أئمة فقهاء المذهب المالكي أيضا يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤ هـ) ، (ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس في المغرب حتى زيتون منتصف القرن الرابع الهجري ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثالث ١٣٩٩ / ١٩٧٩ ص ١٩٨) .

٢- المالكي : رياض النفوس ص ٤٠٧ .

٣- المالكي : رياض النفوس ص ٢٨٨ .

٤- محمد محمد زيتون العلاقات الثقافية بين القيروان والمراكز الفكرية في المغرب ص ١٩٩ .

٥- عياض : ترتيب المدارك ج ٢ ص ٦٠٦ .

الرياضة والطب والصيدلة وترجمة الكتب اللاتينية وسمى هذا المعهد ببيت الحكمة^(١). وقد عم اشعاعها أرجاء المغرب كله بل أدرك الأندلس.

فكان من الأطباء الذين رحلوا من الأندلس إلى القيروان لتلقى العلم عن ابن الجزار^(٢)، أبو حفص عمران بن بريق الأندلسي الذي لازم ابن الجزار في القيروان فترة أخذ عنه فيها الطب وروى عنه كل تاليفه في الطب ثم عاد إلى الأندلس فكان في خدمة الأمراء والخلفاء الأمويين وخاصة عبد الرحمن الناصر وقد أدخل ابن بريق كتب أستاذه ابن الجزار إلى الأندلس فتلقيها عنه الاخصائيون في الطب من مسلمين ويهود ونصارى ومنهم سليمان بن جلجل^(٣).

ومن أهم معالم القيروان الفكرية، المسجد الجامع، وهو من أقدم مساجد بلاد المغرب الإسلامي والمصدر العلمي والفكري الأول الذي استقلت منه بلاد المغرب والأندلس معارفها وثقافتها^(٤)، كما كان جامع الزيتونة في تونس من أهم مساجد إفريقية أيضا وذلك لشهرته كجامعة قديمة ما زالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه^(٥).

وإلى جانب المساجد التي ذكرناها، أقيمت في القيروان مساجد أخرى على نفقة بعض الأشخاص الصالحين، كعمل من الأعمال الخيرية، ومنها المسجد الذي أقامه محمد بن خيرون المعافري الأندلس بالقيروان في سنة ٢٥٢هـ وعرف هذا المسجد بذي الأبواب الثلاثة^(٦).

١- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص ١٢٩ .

٢- «وهو أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار من أهل القيروان اشتهر بالطب وخدمة العامة «ابن جلجل» أبو دواد سليمان بن حسان ، الأندلس طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فزاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالاقاهرة سنة ١٩٥٥ ص ١٠٧ .

٣- ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ١٠٧ ، حسن عبد الوهاب ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ص ٣٠٩ إلى ص ٣١٢ ، الحسن السائح ، الحضارة المغربية ص ١٢٩ .

٤- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص ٤٢٩ «عن المسجد الجامع بالقيروان ، انظر أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان مصر سنة ١٩٣٦ ص ٢٣ ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٦٥ ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ .

٥- G. Marcais, L'Architecture Musulmane d'Occident pp. 18, L. 50, 51 .

٥- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص ٤٣٦ .

٦- Jarcias, L'Architecture Musulmane, pp. 24-25, 47 .

فاس :

ومدينة فاس كانت حاضرة المغرب الأقصى وأهم مراكزها الثقافية وقد تأسست مدينة فاس على يد ادريس الثاني (١٧٧هـ - ٢١٣هـ / ٧٩٣-٨٢٨م) وذلك سنة ١٩٢هـ - ٧٢٦م^(١).
كان تأسيس مدينة فاس فاتحة عهد جديد في تاريخ البلاد، فقد أصبحت حاضرة المغرب الأقصى يقصدها العلماء والتجار من كل صوب^(٢).

ويذكر ابن أبي زرع أن الأمير ادريس الثاني لما شرع في بناء مدينة فاس قال «اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها»^(٣).

ويصفها ابن حوقل في القرن الرابع الهجري بقوله وهي «مدينة جليلة يشقها نهر وهي جانبان يليها أميران مختلفان وبين أهل الجانبين الفتنة الدائمة والقتل الذريع المتصل ، ونهرها كبير غزير الماء عليه أرحيه كثيرة وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها ادريس بن ادريس»^(٤).

أصبحت فاس مركزا علميا عظيما زاوجت بين ثقافة القيروان التي حملها القيروانيون الذين وفدوا على المولى ادريس الأول من ١٧٢هـ - ١٧٧هـ^(٥) / ٧٨٨ - ٧٩٣م وعمرها العدو القروية (المنسوبة إليهم والتي عرفت بعدة القرويين) وبين الثقافة الأندلسية التي حملها إليهم الفقهاء والعلماء الذين طردهم الحكم الرضى من قرطبة فلجأوا إلى فاس حيث عمرو العدو (المنسوبة إليهم والتي عرفت باسم عدوة الأندلسيين)^(٦). وقد بنت السيدة مريم أخت فاطمة

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ج١ ص ٦٣ .

٢- الجزنائي : زهرة الأسى : ص ٢٢ ، حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقية ص ١٥٢ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٤٨ .

٤- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٩ .

٥- لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ص ٤٤ .

٦- البكري : المغرب ص ١٥٥ ، سالم (عبد العزيز) تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٢٢٤ ، تاريخ

البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ص ٧٠ ، الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ .

الفهرية^(١) مسجد جامع القرويين الذى تحول فيما بعد إلى معهد دراسى كبير فأخذت الثقافة المغربية فى فاس طابعا جديدا بعد ظهور هذه الجامعة حيث ازدهرت الدراسات الإسلامية فيها وظهرت حركة علمية نشطة فى تصانيف ومؤلفات جديدة وكان طابع هذا الاستقلال يظهر جليا فى استقلال علماء المغرب بالأخذ بالآراء، والمذاهب التى توافق البيئة المغربية الجديدة فاختراروا من المذاهب الفقهية المذهب المالكى^(٢) «ولقد أسست مدينة فاس لتكون دار علم وصلاح فنزلها عدد من الفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء»^(٣).

ويذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أن بفاس «من الفقهاء الأجلة أعيان الأنام مالىس بغيرها»^(٤) ومن هؤلاء العلماء أبو ميمونة دراس بن اسماعيل الحراوى الفاسى، وهو الذى أدخل فقه مالك فى المغرب الأقصى بعد أن كان أهله على مذهب أبى حنيفة وكان من الحفاظ المعدودين، والفقهاء المشهورين، وتوفى بفاس ٣٥٧هـ / ٩٦٧م^(٥).

«وموسى بن يحيى الصدينى من أهل فاس، يكنى أبا هارون، كان فقيها حافظا للمسائل، عالما بالرأى، وله رحلة إلى المشرق لقى فيها أبا جعفر الأسوانى المالكى وغيره، ودخل الأندلس وحدث عنه عبدوس وغيره»^(٦). «توفى موسى ابن يحيى بمدينة فاس سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م^(٧).

١- «مريم وفاطمة الفهرية هما ابنتان لرجل عربى وافد من القيروان اسمه محمد ابن عبدالله الفهرى، فمات وترك أموالا كثيرة ورثتها فاطمة ومريم وأهدت الابنتان رغبة صادقة فى صرف قسم من هذا الارث الكبير فى بناء جامع القرويين فى مستهل رمضان سنة ٢٤٥هـ وذلك بعد أن ضاق جامعا العدوتين بجموع المصلين، انظر سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص ٧٥٤، عن بناء جامع القرويين أنظر ابن أبى زرع: روض القرطاس ص ٢٨، الجزائى ص ٣٥.

٢- الحسن السائح: الحضارة المغربية عبر التاريخ ص ١٢٢.

٣- ابن أبى زرع: روض القرطاس ص ٤٧، الحسن السائح: الحضارة المغربية عبر التاريخ ص ١٢٢.

٤- مؤلف مجهول، مفاخر البربر ص ٧٦.

٥- ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٤٦.

٦- ابن الفرضى: المصدر السابق ص ١٥٠.

٧- ابن الفرضى: المصدر السابق ص ١٥٠.

وأبو عبدالله محمد بن محمود الهوارى قاضى فاس^(١) الذى ضرب به المثل فى عدله وورعه وكانت له تعليقات عميقة على المدونة وتوفى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م .

ولقد كانت الشخصية العلمية المغربية بارزة فى القرويين فى القرن الرابع الهجرى وكان العلماء الذين درسوا فى فاس يرحلون إلى المشرق والمغرب والأندلس ليعطوا وليأخذوا فكان لمدرسة فاس الفقهية أسلوب خاص فى تحليل المدونة على طريقة خاصة تعتمد على المناقشات اللفظية وضبط الروايات وتصحيحها .

تاهرت :

وكانت مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط من أهم المراكز الثقافية ، فقد عمل أئمة الدولة الرسمية منذ انشائها على تشجيع الحركة الثقافية فى بلادهم وكرسوا أنفسهم لنشر العلم والمعرفة بين جميع طبقات الشعب^(٢) ، فشاركت مدينة تاهرت فى تلك الحركة الثقافية التى أظلت المغرب وقتذاك وتوافد طلاب العلم على هذه المدينة فكانوا يتعلمون على علماء الأباضية^(٣) - فيدرسون الشريعة الإسلامية والفقه والعلوم العقلية من رياضيات وطب وكيمياء وتبادلت تاهرت الهجرات العلمية الواسعة مع بلاد الأندلس ، فكانت السفن تتردد بين وهران والمرية حاملة المتاجر والعلماء^(٤) .

ومن علماء تاهرت الراحلين إلى الأندلس لتلقى العلم على أيدي شيوخها وعلمائها ، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن (ابن محمد التميمي) التاهرتي البزاز أبو الفضل ولد بتاهرت وقد كان من جلساء ابن حماد التاهرتي الأديب الشاعر ثم رحل إلى الأندلس ، فسمع من قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأبى بكر الدينورى وتوفى أبو الفضل سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م .

١- أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص ٣٠٠ .

٢- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص ١٢٥ .

٣- دهرز : المغرب الكبير ج٣ ص ٣١٢ ، ص ٣٧٣ ، سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير (المعصر الإسلامى) ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

٤- عن مذهب الأباضية انظر : أهر الربيع سليمان البلرونى ، مختصر تازيغ الأباضية ص ٢٩ ، تونس ١٩٣٨ ، ولنفس المؤلف : أنظر الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الأباضية ، بدون تاريخ .

٥- (عبد العزيز سالم) المغرب الكبير ص ٥٦٩ .

هذا وقد وصف المقدسى مدينة تاهرت فى القرن الرابع الهجرى بقوله « تاهرت هى اسم القصبة ... وهى بلخ المغرب قد أهدت بها الأنهار والتفت بها الأشجار ... وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق ... وعلى قرطبة ، وأظنهم أصابوا ، وهو بلد كبير كثير الخير، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل قديم الوضع»^(١). هذا وقد ظلت مدينة تاهرت وازدهرت طوال حكم الرستميين فى المغرب الأوسط، لكنها فقدت أهميتها بعد أن قضى الفاطميون عليها سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م.

ومن حواضر الأندلس الثقافية التى أسهمت فى هذه النهضة الشاملة وشاركت فى التبادل الفكرى بين القطرين مدينة قرطبة التى كانت من أهم وأعظم الحواضر الثقافية فى القرن الرابع الهجرى، حيث نشطت الحركة العلمية فيها، نشاطا لا مثيل له، حتى غدت بحق قاعة العلوم ومركز الآداب، وأصبح اسمها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلم، بل أصبح العلم من معالمها البارزة التى يتفاخر بها أبناؤها^(٢).

وقد وصفها مؤرخو العرب وجغرافيوهم أبديع وصف، فيصفها الحجارى فى كتابه المسهب نقلا عن المقرئ بقوله «حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة هى كانت المسهب العناية ومركزا الراية وأهم القرى وقرارة أولى الفضل والتقى ووطن أولى العلم والنهى، وقلب الإقليم وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام وحضرة الأنام، ودار صوب العقول ويستبان ثمر الخواطر، وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الأرض، وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها أنشئت التأليفات الرائعة، وصنفت التصنيفات الفائقة، والسبب فى تبرز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقهم القرطبى لم يشتمل قط إلا على البحث والطلب لأنواع العلم والأدب»^(٣).
ومما يروى عن شهرة قرطبة فى مجال العلوم ما قاله ابن رشد^(٤) لابن زهر^(٥) فى تفضيل

١- المقدسى، أحسن التقاسيم ص ٢٨٨.

٢- الحسن السائح، الحضارة المغربية ص ١٢٥.

٣- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ج ٢ ص ١٥٩.

٤- المقرئ: نفح الطيب، ٢، ص ٩.

٥- «هو أبو الوليد بن رشد الفيلسوف المتوفى ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م».

٦- «هو أبو بكر بن زهر الطبيب المتوفى ٥٩٥ هـ».

قرطبة على أشبيلية ، إذ قال : « ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم بأسبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى أشبيلية ^(١) .

هذا وقد شهدت قرطبة في عصر الخلافة وخاصة عصر الخليفة الحكم المستنصر نهضة علمية واسعة إذ كان هذا الخليفة من أشهر الملوك والخلفاء اهتماما بالكتب وأشد الناس احتراماً للعلم والعلماء ويجمل ابن الخطيب صفات الحكم العلمية بقوله « كان رحمه الله عالماً فقيهاً بالمذاهب ، إماماً في معرفة الأنساب ، حفاظاً للتاريخ ، جماعاً للكتب ، مميّزاً للرجال من كل عالم وجيل وفي كل مصر وألوان ، تجرد لذلك وتهمهم به ، فكان حجة وقودة وأصلاً يوقف عنده ^(٢) .

كان الحكم من كبار علماء الأندلس ، سمع من قاسم بن أصيغ ومحمد ابن عبد السلام والخشني وغيرهم من علماء الأندلس ^(٣) .

« وقلما كان يوجد كتاب من خزائنه إلا وله به قراءة أو نظر أو تعليق مهما كان موضوع الكتاب ، وكان يعتنى بكتابة نسب المؤلف ومولده وتاريخ وفاته ولذلك كان في معرفته برجال العلم والأدب والأخبار والأنساب أحوذ يا نسيج وحده وكان ثقة فيما ينقله ^(٤) .

كذلك كان الحكم المستنصر محباً للعلماء ، مكرماً لهم كما سبق أن ذكرنا كما استطاع الفلاسفة أن ينصرفوا في ظله إلى بحوثهم دون خوف من أن يقتلهم الأتقياء الوريثون ^(٥) .

فكان الحكم يبعث في استقدام العلماء من المشرق ، فيرحب بهم ويكرم مثواهم ^(٦) ، ومن بين علماء المشرق الذين وفدوا إلى قرطبة أيام أبيه أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي اللغوي صاحب كتاب الأمالي ، إذ وفد على قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٠ هـ /

١- المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٤٧ .

٢- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٤١ .

٣- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ١٦٣ .

٤- المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٣٧١ .

٥- Dozy : Histoire des Musul. d'Espagne vol. II, p. 189 .

٦- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ج٢ ص ١٦٤ .

٩٤١م، فأمر الناصر ابنه الحكم باستقباله عند نزوله بالأندلس واصطحابه معه إلى قرطبة ، هذا وقد عهد إليه الخليفة الناصر بتأديب الحكم ولده وولى عهده ^(١) . وأهدى القالى كتابه الأمالى إلى الخليفة الناصر ^(٢) .

كان وفود القالى إلى قرطبة يمثل نهضة علمية كبيرة فى الدراسات اللغوية والأدبية ، فعليه تتلمذ أبوبكر الزبيد والعاصمى وغيرهم .

ومن العلماء المشاركة الذين وفدوا إلى الأندلس فى عهد هشام المؤيد الأديب اللغوى أبو العلاء صاعد الحسن البغدادى ^(٣) .

ومن العلماء المغاربة الذين وفدوا على قرطبة فى عصر الخلافة محمد ابن يوسف الوراق الذى نشأ بالقيروان وتعلم ها ثم رحل إلى قرطبة واستوطنها وألف بالأندلس للخليفة الحكم المستنصر كتابا ضخما فى مسالك أفريقية وممالكها ^(٤) وضم أيضا محمد بن الحارث الخشنى الذى ولد بالقيروان وتلقى العلم بها ثم رحل إلى قرطبة فسمع من شيوخها . وكان حافظا للفقه عالما بالفتيا وقد ولى الشورى بقرطبة حيث قام بتأليف كتب كثيرة وخاصة فى الفقه والتاريخ وتوفى ٣٦١هـ / ٩٧١م ^(٥) .

هذا وقد جمع الخليفة الحكم المستنصر « من الكتب مالا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل أنها أربعمئة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر فى نقلها » ^(٦) واعتنى الحكم المستنصر بهذه الكتب عناية كبرى فجمع فى قصره حذاق النساخين ، والمهرة فى الخط ،

١- جنثالث بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسى، ج١ ص ١٧٣ ترجمة حسين مؤنس .

٢- جنثالث بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ج١ ص ١٧٣ .

٣- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ١٦٤ .

٤- الحميدى: جذوة المقتبس ص ٧ ، الضبى - بغية الملتبس ص ١٤١ ، المرقى والجغرافيين فى الأندلس ص ٨٣ .

٥- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص ١١٣ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ص ٢٥٩ ، أنظر مقدمة كتاب قضاة قرطبة للخشنى ص ٦ ، ص ١١ ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

٦- ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ج١ ص ٤٨٦ ، تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٥م، المرقى: نفع الطيب ج١ ص ٣٧١ .

والمجيدين فى التجليد صيانة لكتبه . ولكن هذه المكتبة العظمى التى اجتهد الحكم فى تكوينها لم تلبث أن بددت عند حصار البربر لقرطبة فى سنة ٤٠٠هـ (١) / ١٠٠٩ م .

وقد اشتهر علماء الأندلس وفقهاؤها بكثرة التأليف (٢) . كما أصبحت الكتب فى الأندلس عامة وفى قرطبة خاصة موردا رائعا وسوقها نافقا (٣) .

وكثرت فى حوانيت قرطبة الكتب وغدت أسواقها حافلة ، بالحركة كما كثرت فى المساجد التى كانت بمثابة دور للعلم المكتبات الزاهرة بمختلف الكتب والمؤلفات المختلفة ليستعملها الطلبة فى دراستهم (٥) .

هذا ولم تنشأ عند الأندلسيين مدارس خاصة ، بل ظل المسجد (٦) هو المكان المخصص للدراسة . فإن لم يكن المسجد ، فبيت الأستاذ نفسه .

وقد تحدث ابن بشكوال فى كتابه الصلة عن « أستاذ كان يقصده الطلبة فى داره وهم نيف على أربعين تلميذا » (٧) .

ومن أشهر شعراء قرطبة فى عصر الخلافة الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون القرطبى المعروف بالرمادى المتوفى ٤٠٣هـ (٨) .

١- عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ١٦٤ .

٢- عبد الرحمن الحجى : الكتب والمكتبات فى الأندلس ، فصله من مجلة كلية ، الدراسات الإسلامية (بغداد) ص ٣٦٦ ، العدد الرابع ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م .

٣- الحجى : المرجع السابق ص ٣٦٨ .

٤- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ج٢ ص ٥٠٦ ، الحجى : الكتب والمكتبات ص ٣٧٨ .

٥- الحجى : المرجع السابق ص ٣٧٨ ، عن الكتب والمكتبات فى الأندلس ومبلغ اهتمام الأندلسيين بها ، انظر مقالة للأستاذ خوليان رابيرا ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مدريد مجلد ٤ ج١ ، ج٢ ، ترجمة جمال محرز .

٦- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ج١ ط الثانية ، دار الثقافة بيروت ص ٣٨ .

٧- ابن بشكوال : الصلة ج١ ص ٤١ ، ط القاهرة سنة ١٩٥٥ .

٨- ابن بشكوال : الصلة قسم ٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٦٧٤ ، جنشال بالنيثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ص ٦٨ .

وأقدم من اشتهر من أدباء قرطبة أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد، الذي يعتبر ركنا من أركان الأدب الأندلسي^(١).

كذلك اهتمت مدرسة قرطبة بالعلوم الدينية كالحديث وعلوم القرآن والتفسير وصنف العلماء فيها الكتب الكثيرة .

كما ألحقت قرطبة عددا من كبار المؤرخين في الأندلس من أشهرهم أحمد ابن محمد بن موسى الرازي الملقب بالتاريخي (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٥م)^(٢).

كما ازدهرت الطب والصيدلة بالمدينة أيضا ازدهارا دعا الحكم المستنصر إلى انشاء ديوان للأطباء ، يقيد فيه اسم كل طبيب يحترف مهنة الطب والصيدلة ويزاولها ، فإذا ما ارتكب خطأ يتوجب العقاب أسقط اسمه من الديوان^(٣)، كما حدث بالنسبة للطبيب أحمد بن حكيم بن حفصون «الذي لازم الحاجب جعفر الصقلبي، فلما سجن جعفر وسقطت منزلته ثم مات ، أسقط صاحبه الطبيب» من ديوان الأطباء ، وبقي مخمولا إلى أن توفي^(٤).

وهكذا ازدهرت العلوم والفنون والآداب في قرطبة ازدهارا عظيما جعلها من أعظم الحواضر الثقافية في عالم المغرب الإسلامي .

أشبيلية^(٥) :

وكانت أشبيلية أيضا من أهم حواضر الأندلس التي ازدهرت بها الحياة الثقافية ، فكثرت الشعراء والأدباء والمغنون ، كما انتشرت بها المكتبات العامة^(٦) انتشارا واسعا كما أقبل أهل المدينة على اقتناء الكتب والمصنفات النادرة مثلهم في ذلك مثل جميع أهل الأندلس في ذلك الوقت .

١- الضبي : بغية الملتصص ص ١٤٨ ، (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٦٨ ، لطفى عبد البديع ، الاسلام في أسبانيا ص ٧٥ .

٢- المقرئ : نفع الطبيب ج ٤ ص ١٦٦ .

٣- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ٢٠٨ .

٤- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٩٤ .

٥- العذري : نصوص عن الأندلس ص ٩٥ وابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ١٤٠ .

٦- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ص ٣٩ .

هذا وقد بلغت عصر النهضة الأدبية أوجها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري في عهد ملوك الطوائف في فترة حكم بني عباد في أشبيلية بالذات^(١).

ومن أشهر شعراء عصر الخلافة في أشبيلية الشاعر محمد بن هانيء الأشبيلي^(٢) وقد عاش هذا الشاعر في أشبيلية حياة استهتار واتهم بالزندقة فنقم عليه أهل المدينة فخرج إلى المغرب حيث لقي جوهرا مولى المنصور فامتدحه ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني على وكانا بالمسيلة - وبالغا في اكرامه والاحسان إليه ثم رحل المعز إلى مصر فشيعه ابن هانيء، وعاد إلى المغرب لأخذ عياله واللاحاق به ولكنه لقي حتفه عند برقة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م^(٣).

ومن أديباء أشبيلية المشهورين بسعة العلم، الأديب محمد بن حسن ابن عبد الله الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م^(٤)، وكان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة واستأدبه الخليفة الحكم المستنصر لابنه هشام^(٥) حيث قام بتعليمه وتأديبه، فعلمه علم الحساب والعربية^(٦).

وكان الزبيدي هذا شاعرا يميل إلى الحكمة والزهد، فيذكر الخوف من الله، وخلود الروح، فيتحدث عن ثواب الآخرة وعقابها^(٧).

وكذلك أحمد بن عبد الملك بن هشام الأشبيلي المتوفى سنة ٤٠١هـ - ١٠١٠م^(٨).

١- عن استقلال أشبيلية في القرن الخامس الهجري، انظر صلاح خالص، أشبيلية في القرن الخامس الهجري، المكتبة الأندلسية ص ١٠٩، ص ١١٨.

٢- الحميدي: جذوة المقتبس: ص ٩٦، عن ابن هانيء انظر فصل العلاقات السياسية.

٣- جنثالث بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص ٦٤.

٤- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ص ٩٠، الضبي، بغية الملتبس ص ٦٦.

٥- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ص ٩٠، الضبي، بغية الملتبس ص ٦٦. (عبد العزيز سالم)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ج ٢ ص ١١٧، احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٧٠.

٦- جانثالث بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٦٤.

٧- جانثالث بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٦٥.

٨- الضبي: بغية الملتبس ص ١٣٢.

وأحمد بن محمد الخولاني المعروف بابن الأبار^(١) وهو من شعراء أشبيلية المعروفين «وهو كثير الشعر حسن التعبير»^(٢) توفي سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م.

وعرفت أشبيلية في تاريخ الحياة الأندلسية بأنها مدينة الأدب واللمه والطرب^(٣). فقد اشتهر أهلها بحبهم للهم حتى «ضرب بهم المثل في الخلاعش وانتهاز فرصة الزمن ساعة بعد ساعة»^(٤). وشغفوا بالغناء الذي توارثوه عن زرباب مغنى الأندلس المشهور زمن الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني.

ويتحدث المقرئ عن شهرة أشبيلية في الغناء فيقول «اشتغل أبو القاسم ابن محمد المليح أول أمره بالزهد وكتب التصوف ، فنصحه أبوه بأن يعاشر الظرفاء وأهل الأدب ، ويأخذ نفسه بقول الشعر ، ومطالعة كتب الأدب ، فلما عاشرهم زينوا له الراح ، فتتهتك في الخلافة ، وفر إلى أشبيلية وتزوج بامرأة لاتليق بحاله ، وصار يضرب معها بالدف»^(٥).

وقد ازدهرت النهضة الأدبية في أشبيلية ازدهارا كبيرا في عهد بنى عباد^(٦).

طليطلة :

ولايفوتنا أن نذكر أن طليطلة أيضا كانت من أهم حواضر الأندلس الثقافية حيث انتشرت بها المكتبات^(٧) العامة والخاصة واشتهرت بصناعة الورق^(٨) «فكان يضرب بها المثل» ويعمل بها الورق الذي لاتظير له^(٩).

١- الضبي : بغية الملتبس ص ١٦٤ .

٢- الضبي : بغية الملتبس ص ١٦٤ ، صلاح خالص : أشبيلية في القرن الخامس .

٣- عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٠١ .

٤- المقرئ : نفع الطيب : ج ٢ ص ١٥١ .

٥- المقرئ : نفع الطيب ج ٥ ص ٢١١ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٠٢ .

٦- صلاح خالص : أشبيلية في القرن الخامس ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ ، عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٠٢ .

٧- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ص ٣٩ .

٨- هبد الرحمن على الحجى : الكتب والمكتبات في الأندلس ص ٣٦٢ .

٩- المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٦٦ .

وقد رحل إلى القيروان بعض علماء طليطلة منهم حزم بن غالب الرعيني وكان يستغنى ببلده وولى الصلاة وأحكام القضاء^(١) وزكريا بن قطام الذى ولى قضاء طليطلة^(٢).

ومن فقهاء طليطلة المشهورين بسعة العلم الفقيه محمد بن سعيد المعروف بأن الأعرج أبو عبد الله صاحب الصلاة بطليطلة ، وكان فقيها محدثا مشهورا^(٣). ومحمد بن أحمد بن اسماعيل أبو عامر القاضى الطليطلى^(٤) ، وهو فقيه مشهور روى عن أبى المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ابن البيروله^(٥) وأحمد بن سهل بن الحداد الطليطلى كان فقيها مقرنا ، توفى ٣٨٧هـ / ٩٩٧م^(٦).

ومن أدباء طليطلة أبو العباس الزعمى «وهو أديب وشاعر محسن»^(٧) ، وصاعد بن أحمد بن صاعد أبو القاسم الطليطلى القاضى الفقيه المشهور المتوفى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م^(٨).

هذا وقد استقلت بطليطلة بعد سقوط الخلافة الأموية أسرة بربرية أندلسية كانت فى خدمة الحاجب محمد بن أبى عامر وهى أسرة ذى النون^(٩) وقد بلغت هذه الأسرة من البخل والترفع الغاية ، وأقام ملوكها القصور المنبعا كما شجع هؤلاء الملوك الأدباء والشعراء فصارت طليطلة من أكبر حواضر الأندلس الثقافية فى عهدهم .

وقد توثقت الصلات بين هذه المدارس على النحو الذى رأيناه عند حديثنا عن الرحلات المتبادلة بين البلدين. فما تفاصيل هذه العلاقات ؟

تفاصيل العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب

- ١- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص ١١٧ .
- ٢- ابن الفرضى : البغية ص ٦٦ .
- ٣- الضبى : البغية ص ٥٢ .
- ٤- الضبى : البغية ص ٥٢ .
- ٥- الضبى : البغية ، ص ١٨٣ .
- ٦- الضبى : بغية ، ص ١٨٣ .
- ٧- الضبى : بغية الملتبس ، ص ١٨٦ .
- ٨- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٣٢٣ .
- ٩- عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٠٥ .

تجلت هذه العلاقات فى النواحي الآتية :

الفقه : انتشار مذهب مالك فى المغرب والأندلس

من المعروف أن الإسلام والثقافة العربية الإسلامية قد امتدتا إلى بلاد الأندلس عن طريق بلاد المغرب التى لعبت دورا عظيم فى نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى تلك البلاد منذ أن افتتحها موسى بن نصير عامل أفريقية ومولاه البربري طارق بن زياد سنة ٩١هـ - ٧٠٩م .

وكان أهم تطور ثقافى شهدته بلاد المغرب والأندلس هو انتشار مذهب مالك وتفشيده فى القسم الغربى من العالم الإسلامى^(١)، فغلبيت على ثقافة البلدين التقاليد المالكية التى تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الأخرى التى تخدم هذا الفقه وتساعد على فهمه^(٢) .

هذا وقد ذهب مالك إلى القيروان قادما من مصر حيث رحل كثيرون من طلاب العلم وفقهاء البلاد إلى مصر أو الحجاز طلبا للمزيد من فقه عالم دار الهجرة^(٣) .

ولكن هؤلاء لم يكن لهم أثر يذكر حتى جاء أسد بن الفرات العالم الشهير فى تاريخ أفريقية^(٤)، وهو نيسابورى الأصل قيروانى الدار^(٥)، رحل إلى مصر فسمع من إمام المالكية بها على بن القاسم فتأثر به ، ثم رحل إلى المدينة حيث درس موطأ مالك ثم رحل إلى العراق وعاد إلى القيروان فدون خلاصة مشاهداته وتجاريده^(٦) فى كتاب أسماه «الأسدية فازداد الناس معرفة بفقه مالك وتقاليده فزاد هذا من رغبة طلاب العلم والفقهاء المغاربة فى السفر والرحلة طلبا للاستزادة من فقه مالك وتعاليمه .

١- حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص ١٥٤ .

٢- الشيخ الأمينك العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين مالى وسنغى «رسالة ماجستير مطبوعة ص ١٦٧ .

٣- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص ١٥٥ .

٤- المالكى : رياض النفوس ، تحقيق حسين مزنس ص ١٨١ ، حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ كان أسد ابن الفرات ، على مذهب أبى حنيفة مذهب أهل العراق ثم درس فقه مالك وتأثر به وأصبح من أكبر فقهاء المالكية أحمد أمين ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٩٨ .

٥- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٩٨ .

٦- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٥٥ ، أحمد أمين ضحى الإسلام ، ج ١ ص ٢٩٨ .

ثم جاء بعد أسد بن الفرات فقيه المغرب المشهور سحنون بن سعيد تلقى العلم على يد علماء القيروان أولاً، ثم رحل إلى مصر فأخذ العلم عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم وأقام في الفسطاط زمناً حتى تشرب المذهب وجمع خلاصة دراساته وقراءاته المالكية^(١) في كتاب أسماه المدونة^(٢)، فأقبل عليه طلاب العلم والفقهاء من المغرب والأندلس وذاعت شهرته هناك وأقبل عليه علماء قرطبة قرطبة يسمعون منه ويتلمذون عليه^(٣).

وبحدثنا القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك عن كثير من العلماء والفقهاء الأندلسيين الذين أتوا لتلقي العلم والاستزادة من فقه مالك على يد فقيه المغرب المشهور سحنون بن سعيد ومنهم محمد بن خالد بن مرتيل القرطبي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) سمع من سحنون في القيروان وعاد إلى الأندلس فكان رأس المالكية بها والمدافع عن المذهب المالكي هناك^(٤).

وعثمان بن أيوب بن أبي الصلت (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م) الذي يرجع إليه الفضل في إدخال المدونة إلى الأندلس^(٥).

ومنذ ذلك الوقت بدأ مذهب مالك يدخل الأندلس وينتشر فيها حيث تمكنت تقاليد المالكية من تلك البلاد. وما يدل على مبلغ اقتناع الأندلسيين بمذهب مالك وتفضيلهم إياه ما رواه القاضي عياض عن الخليفة الحكم، إذ قال المستنصر^(٦) «نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نرى في مذهب من المذاهب أسلم منه، كان فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والشيعة إلا مذهب مالك، فإننا ماسمعنا أخذ تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع»^(٧).

١- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ١٥٥ .

٢- الدباغ : معالم الإيمان ج ٢ ص ٥٠ .

٣- حسن أحمد محمود ، نفس المرجع ص ١٥٥ .

٤- القاضي عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ١٣٤ .

٥- القاضي عياض : ترتيب المدارك ج ٣ ص ١٣٧ .

٦- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٥٦ .

٧- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٩٤ .

ومن أشهر فقهاء القيروان بعد سحنون بن سعيد أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن اللباد، واشتهر بالحفظ والاتقان وسعة العلم، وسعيه لنشر المذهب المالكي في المغرب، وإعداد علماء حملوا علمه وأفاد منهم الناس. وقد اضطهد، الفاطميون أيام سطوتهم لأنه لم يتابعهم في آرائهم، فسجنوه ومات سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م^(١).

ثم أبو ميمونة دراس بن اسماعيل الحراوي الفاسي، وهو الذي أدخل فقه مالك إلى المغرب وكانت له رحلة إلى القيروان والأندلس كما سبق أن ذكرنا.

أما فقهاء المالكية في الأندلس فكان عددهم لا يحصى لما كان للمذهب من قوة في الأندلس، وقد عنى أهل الأندلس بالمعلومات الدينية كالحديث والقراءات وعلوم القرآن والتفسير، وصنفوا فيها الكتب.

وقد ألحقت الأندلس في علم أصول الفقه علماء مشهورين بالفضل وسعة العلم، منهم الفقيه العالم يحيى بن يحيى الليثي المتوفى (٢٣٤هـ / ٨٤٨م^(٢)) وأستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون أول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس^(٣).

أما فقهاء المالكية في عصر الخلافة قاسم بن أصبغ البيانى تلميذ بقى ابن مخلد ومحمد بن وضاح، وكان بصيرا بالحديث والرجال وصنف على نهج كتاب السفن لأبى داود كتابا في الحديث سماه المجتنى^(٤).

ومحمد بن يحيى بن عمر لبابه المعروف بالبوجون وقد توفى ٣٣٣هـ / ٩٤٢م^(٥)، ومحمد بن يبتقى بن محمد زرب المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م. وكان أحفظ أهل عصره للمسائل على مذهب مالك وأصحابه^(٦).

١- أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص ٢٩٨، ٣٠٠.

٢- ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص ١٨٠.

٣- المقرئ: نفح الطيب ج٢ ص ٢١٨، ص ٢١٩، ص ٢٥١.

٤- المقرئ: نفح الطيب ج٢ ص ٢٠٤، ج٣ ص ٢٠٤، ج٤ ص ٢٠٤.

٥- ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص ٩٤.

٦- ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص ٩٤.

هذا وقد تمكنت تقاليد المالكية من نفوس المغاربة والأندلسيين فوقفوا للمذاهب الأخرى بالمرصاد يهاجمونها ويدافعون عن مذهبهم ويتعصبون له فلما انتشرت في بلاد المغرب محنة خلق القرآن وآراء المعتزلة كان الملكيون أشد الناس عنفا في مقاومتهم^(١) ولم يزدهر هذا إلا تعصبا وتمسكا بالكتاب والسنة.

انتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب وامتداده إلى الأندلس :

وعلى أثر قيام الخلافة الفاطمية الشيعية في بلاد المغرب سنة ٢٩٦هـ ٩٠٨م حاولت تلك الخلافة نشر مذهبها الشيعي ودعوتها الشيعة في بلاد المغرب والأندلس أيضا وفرض هذا المذهب على أهل البلاد، فجلبوا أئمة المالكية وأخذوا يجادلونهم وينظرونهم، فلم يتقنعوا^(٢)، فأغدقوا عليهم الأموال فرقصوا ولم يزددهم هذا إلا تعصبا لمذهبهم، انقلب عليهم الفاطميون وقاموا بتعذيب الفقهاء والعلماء وضربهم بالسياط ومصادرة أموالهم فقتلوا في وقعة أبي يزيد مخلد بن كيداد خمسة وثمانين من نخبة علماء القيروان^(٣) «ومن هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا للتعذيب والسجن الفقيه المالكي أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن اللباد حيث قاموا بتعديبه وسجنه حتى توفي سنة ٣٣٣ / ٩٤٤م^(٤)».

وعلى أثر هذا الاضطهاد من جانب الفاطميين هاجر كثير من قهاء المالكية من المغرب إلى الأندلس ومن هؤلاء الفقهاء حكم بن محمد القيرواني القرشي الذي سجنه عبيد الله المهدي بسبب مهاجمته للفاطميين وكان يتردد بين قرطبة والقيروان^(٥).

وعلى الرغم من انتشار مذهب مالك في المغرب والأندلس وتعلق المغاربة والأندلسيين به، إلا أن هذا لم يمنع من انتشار بعض المذاهب الأخرى كالمذهب الاسماعيلي وآراء المعتزلة والخوارج .

١- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ١٥٦ .

٢- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٥٨ .

٣- أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٠٠ .

٤- أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٩٩ .

٥- ابن الفريسي : تاريخ علماء الأندلس ص ١٢١ .

ومن أشهر الفقهاء الذين قاموا بنشر مذهب الشيعة وآراء المعتزلة في المغرب والأندلس أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج الجبلى قرطبى ولد سنة ٢٦٩هـ / ٨٨٢م وتلمذ على يد أبيه ومحمد بن وضاح والخشنى^(١).

استطاع ابن مسرة أن يؤسس سرا مدرسة شيعية في الأندلس حيث جاهر ببعض الآراء الدينية المغرقة في التأويل^(٢) فاتهم^(٣) بالزندقة فغادر الأندلس فارا إلى المشرق وقضى بضعة أعوام حيث تفقه على أيدي المعتزلة والكلاميين وأهل الجدل^(٤)، ثم رحل إلى القيروان حيث قضى فترة من حياته الدراسية هناك وهي الفترة التي بلغ نشاط الدولة الفاطمية في بلاد المغرب أوجه من الناحية السياسية والدعائية ، فكان التشيع مصدرا من تعاليم ابن مسرة مثل قوله عن اكتساب النبوة وأنها ليست اختصاصا أصلا وهي فكرة تشبه فكرة المهدي عن الباطنية والتي قاربوا بها مرتبة نبوة النساء^(٥).

عاد ابن مسرة مرة أخرى إلى الأندلس فاختفى آراءه ومحلته الحقيقية تحت ستار من النسك والورع وكان ذلك في بداية عهد الناصر، فاختلف إليه الطلاب من كل مكان ، فكان يستهويهم بغزير علمه وسحر بيانه^(٦) حتى التف حوله جمهرة كبيرة من الطلاب والأتباع وانتشر مذهبهم في الأندلس إلى درجة دفعت الناصر إلى تتبع أصحابه وأصدر في سنة ٣٤٠هـ / ٩٤٩م كتابا قريء في جميع البلاد أذان فيها ابن مسرة ومدرسته وأمر أن يتتبع أنصاره ويؤتى بهم إلى قرطبة^(٧).

١- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص ٣٩ ، ص ٤٠ ، ترجمة ١٢٠٤ .

٢- عنان : دولة الإسلام في الأندلس ج ١ قسم ٢ ص ٤٣١ .

٣- عن ابن مسرة وحركته انظر محمود على مكى ، التشيع في الأندلس ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد ١٩٥٤ .

٤- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ج ٣٩ ، ص ٤٠ ، رقم ١٢٠٤ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ ، عنان دولة الإسلام في الأندلس ج ١ قسم ٢ ص ٤٣١ .

٥- محمود مكى : التشيع في الأندلس - مدريد م ١٠٨ سنة ١٩٥٤ .

٦- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ص ٣٤ .

٧- ابن حيان : المقتبس : السفر الخامس ، لوحة ١٣ وما بعدها ، عن عنان : دولة الإسلام في الأندلس قسم ٢ ص ٤٠٨ إلى ص ٧١٠ .

ومن أشهر تلاميذ ابن مسرة الذين صحبوه وامنوا به ومذهبه أيوب بن سليمان اسماعيل الطليطلى (توفى ٣٤٣هـ / ٩٥٤م) وكان قديم الجوار لابن مسرة طويل الملازمة له^(١). وخلييل بن عبد الملك المتوفى ٣٢٣هـ / ٩٣٤م الذى تفقه بكتب ابن مسرة وضبطها وكان غاية فى الورع والزهد^(٢). والقاضى منذر بن سعيد البلوطى المتوفى سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م^(٣) الذى أصبح قاضى الجماعة بقرطبة وقد خالف منذر جمهور علماء عصره فى مذهبه الفقهي، فبينما كانت الدولة تدين بمذهب مالك نراه ينزع إلى المذهب الظاهري ويؤلف فى الدفاع عنه كتاباً. على أنه كان حريصاً برغم ذلك على احترام وحدة الدولة من الناحية المذهبية، فكان إذا جلس للقضاء لا يحكم إلا بمذهب مالك، هذا ولم يحاول منذر أن يفرض تشيعه على الناس بل احتفظ به لنفسه. ولم يجعل له أثراً فى حياته الرسمية^(٤)، كما تأثر بمدرسة ابن مسرة حكم وسعيد ابنا منذر^(٥) ابن سعيد القاضى وابن أخيه أيضا^(٦).

هذا وقد قام فريق من الفقهاء المشاركة والأندلسيين بالرد على ابن مسرة. ومن الأندلسيين الذين قاموا بالرد على ابن مسرة القاضى محمد بن يبيى بن زرب الذى ولى القضاء سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م فألف كتاباً فى الرد على ابن مسرة واعتنى بتتبع أصحابه وأحرق كتبهم^(٧). وعلى الرغم من انتشار مذاهب الشيعة وآراء المعتزلة فى كل من المغرب والأندلس، إلا أن نجاح الدعاية الفاطمية الشيعية كان محدوداً وذلك لما كان للمذهب السنى من قوة متأصلة فى نفوس الأندلسيين^(٨) والمغاربة على حد سواء.

١- ابن الآبار : التكملة ، ط سنة ١٩٥٥ ، ص ١٩٩ .

٢- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص ٣٥ .

٣- ابن الفرضى ك تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص ١٤٤ إلى ص ١٤٥ ترجمة رقم ١٤٥٤ .

٤- محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ص ١٠٩ .

٥- ابن حزم : طوق الحمامة ص ٤٩ .

٦- ابن الآبار : التكملة م ١١٣ ترجمة رقم ٣٨٩ .

٧- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص ٩٤ إلى ص ٩٥ ترجمة رقم ١٣٦٣ .

٨- محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ص ١١٥ .

ففى المغرب انتشرت المقاومة المالكية ضد الفاطميين كما سبق أن ذكرنا وفشل الفاطميون فى القضاء على المالكية وكان هذا سببا من أسباب توجه الفاطميين إلى مصر^(١) بعد أن رأوا استحالة القضاء على المالكية وإحلال المذهب الشيعى فى البلاد .

وقد انتشرت المالكية فى بلاد المغرب سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م حين أعلن أمير أفريقية المعز بن باديس قطع الدعوة للفاطميين والدعاء للخلافة العباسية وأصبحت بلاد المغرب مالكية سنية المذهب^(٢) .

وعلى الجملة كانت الحركة الدينية الفقهية فى المغرب حركة قوية نشيطة خدمت أكثر من خدمت فقه الإمام مالك^(٣) .

الدراسات اللغوية والأدبية :

أما فى مجال دراسة اللغة والنحو فقد نشأت أول مدرسة منظمة فى الأندلس بعد وفود أبى على القالى على بلاد الأندلس سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م حيث أخذ يقرئ كتاب الأمالى ويتخذ نصوصه مجالا لتعلم اللغة والنحو ، فزلف المقصور والمدود وفعلت وأفعلت فى علوم النحو^(٤) وأول من أدخل كتب الكسائى الكوفى فى علم اللغة والنحو إلى المغرب والأندلس جودى بن عثمان الطليطلى المتوفى سنة ١٩٨هـ^(٥) ، ثم شرحه مفرج بن مالك النحوى المعروف بالبغل الذى توفى زمن المستنصر وكان نحويا لغويا عالما يعانى الشعر^(٦) .

ثم دخل كتاب سيبويه بعد ذلك إلى الأندلس والمغرب وصرف المغاربة والأندلسيون اهتمامهم لدراسة كتب سيبويه والأخفشى والكسائى حتى كونوا مدرسة نحوية مغربية أندلسية استفادت من مدرستى البصرة والكوفة^(٧) .

١- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ .

٢- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٥٩ .

٣- أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٠٠ .

٤- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص ١٢٦ ، ص ١٢٧ .

٥- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص ١٢٧ ، سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٩٦ .

٦- ابن الفرضى ج ١ تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص ٧٩ ترجمة رقم ١٣٢٥ .

٧- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص ١٢٧ .

أما فى مجال الأدب والشعر فقد ازدهر ازدهارا عظيما فى كل من الأندلس والمغرب. ففى الأندلس لم تبدأ الحركة الأدبية نشاطها الحقيقى إلا منذ أن دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأندلس واتخذها مقرا لدولة بنى أمية وذلك لانشغال المسلمين فى عهد الولاة بالفتوح فيما وراء البرتات، وبالفتن الداخلية بين العرب من ناحية وبين اليمانية والقيسية من ناحية أخرى^(١).

كان لجمال الطبيعة فى الأندلس وسهولها الخضراء وغياضها الملتفة أثره فى اسراف شعرائها فى تعلقهم بها خلال تاريخها الإسلامى الطويل^(٢)، ووصفهم للرياض والبساتين .

ومن أشهر شعراء قرطبة وأدبائها أحمد بن محمد بن عبد ربه «كان من أهل العلم والأدب والشعر»^(٣) وله عدة مؤلفات من أشهرها كتابه الكبير المسمى كتاب «العقد» فى الأخبار وهو مقسم على معان وقد سمى كل قسم منها باسم من أسماء نظام العقد كالواسطة^(٤).

وقد مدح الأمير محمد والمنذر ، وعبد الله ، والخليفة عبد الرحمن الناصر حيث برع فى شعر الغزل والزهد فى أواخر أيامه .

عاش ابن عبد ربه فى أيام الناصر ثمانية وعشرين عاما لم يتوقف فيها عن الانتاج حتى آخر عمره، وهى أكثر فترات حياته غنى بالشعر واهتماما به^(٥)، فقد افتتح عهد الناصر بمدحه باشعار كثيرة^(٦)، وتوفى ابن عبد ربه سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩هـ^(٧).

ومن أعظم شعراء الأندلس أيضا أحمد بن دراج القسطل^(٨) وهو أول من مدح المنصور ابن أبى عامر^(٩) وتوفى ابن دراج قريبا من سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م.

١- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ١٦٧ .

٢- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ١٦٨ .

٣- الحميدى : جذوة المقتبس ص ١٤٨ .

٤- انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد .

٥- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٢٢-١٢٤ .

٦- مدونة من عصر الناصر ص ٤٠ ، ص ٤١ ، ابن عذارى : البيان ج٢ ص ٢٣٦ . عن مدح ابن عبد ربه للخليفة عبد الرحمن ، انظر : العقد ج٢ ص ٤٩٩ ، ص ٥٠٣ .

٧- الحميدى : جذوة المقتبس ص ١٤٨ .

٨- الحميدى : الجذوة ، ص ١٥٨ .

٩- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ج٢ ص ٦٠ ، احسان عباس ، عن شعر ابن دراج فى مدح المنصور ، انظر : ديوان ابن دراج ص ٤٨ . القسطل : تحقيق الدكتور محمود على مكى : دمشق سنة ١٩٦١ .

ومن فحول شعراء عصر الخلافة أيضا أبو عمر يوسف بن هارون القرطبي المعروف بالرمادي^(١).

ويروى ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة أنه أحب جارية اسمها خلوة من أول نظرة وتفزل فيها^(٢).

هذا وقد ظهر فى الأندلس شعر الزهد كرد فعل طبيعى لهذا الاستغراق فى التمتع والركون إلى حياة اللهو الذى يعبر عنه الشعر الغنائى الوصفى والخمرىات^(٣)، فظهر بقرطبة شعراء زهاد منهم الشاعر أبو عبدالله محمد بن أبى من ٣٢٤هـ - ٣٩٨هـ / ٩٣٥ - ١٠٠٧م الذى غلب على شعره طابع الزهد والتشاؤم^(٤).

والشاعر عبد الرحمن بن مروان الأنصارى القنازعى^(٥) وأبو الوليد عبد الله ابن محمد بن نصر الأزدى القرطبي المعروف بابن القرضى صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس .

أما فى بلاد المغرب فكان حظهم من الشعر والأدب كبيرا ولكنه لم يصل إلى ما وصلت إليه الأندلس من الرقى والازدهار ، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى النزعة المالكية الدينية التى غلبت على المغاربة بوجه خاص فجعلتهم لا يعرفون من الدراسات اللغوية والأدبية إلا هذه الناحية يتعصبون لها، فلم يجد الأدب العربى له سوقا رائجة فى بلاد المغرب، حتى التواليف التاريخية والجغرافية كلها تظهر هذا الطابع الدينى الضيق المتزمت^(٦). ومع هذا فقد ألحقت بلاد المغرب شعراء وأدباء كانوا لا يقلون من ناحية الاجادة عن شعراء الأندلس ، وقد ازدهر نمو الشعر والأدب فى بلاد المغرب فى عهد الدولة الأغلبية والدولة الفاطمية والدولة الزيرية .

١- ابن بشكوال : كتاب الصلة قسم ٢ ص ٦٧٤ ، سنة ١٩٦٦ ، جنثالث بالنشيا تاريخ الفكر الأندلسى ص ٦٨ ، سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ص ١٧٤ ، احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص ٢٠٥ .

٢- ابن حزم : طوق الحمامة ص ٣٦ ، ٣٧ ، المجلد ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

٣- سالم (عبد العزيز) ج ٢ ص ١٦٩ .

٤- جنثالث بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٧١ .

٥- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١٦٦ .

٦- جنثالث بالنشيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٧١ .

٧- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص ١٥٧ ، ص ١٦٠ .

ومن شعراء الدولة الفاطمية ابن هانيء ويلقب بأبى الحسن محمد ابن هانيء^(١) وكان من قبيلة الأزد، ولد فى أشبيلية فى بلاد الأندلس قضى بها أيام صباه^(٢) وكان أبوه هانيء من قرية من قرى المهدي فى بلاد المغرب، خرج عن الأندلس بعد أن اتهم بالتشيع بعد أن ظهرت ميوله الاسماعيلية^(٣). وكان ابن هانيء شاعرا مجيدا بزم من حوله من شعراء المغرب أمثال أبو الحسن على بن محمد ابن الأيادى التونسى^(٤)، وقد كان شاعرا كبيرا اتصل بالفاطميين أيام القائم والمنصور والمعز^(٥) وكذلك على بن عبد الله التونسى وتوفى ابن هانيء ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م^(٦).

وفى عهد الدولة الصنهاجية كان العمران قد استحكم والصلة بين المغرب والأندلس قد تمكنت والحضارة قد ازدهرت، وفى عهد المعز بن باديس ازدهرت دولة الشعر فى بلاد المغرب، وكان المعز محبا للعلماء والشعراء مقربا لهم فقليل «أنه اجتمع بحضرته من أفاضل العلماء والشعراء مالم يجتمع إلا بباب الصاحب بن عباد»^(٧).

ومن أشهر شعراء عصره الحسن بن رشيق أحد البلغاء الأفاضل. ولد بالمسيلة وتأدب بها ثم رحل إلى القيروان ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م، وتوفى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م^(٨).

١- الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٩٦ .

٢- حسن ابراهيم حسم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٤٠ .

٣- الحميدى : الجذوة ، ص ٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢٢ ، ديوان ابن هانيء ، ص ١٨٢ ، ص ٧٢٢ عن ابن هانيء انظر ، فصل العلاقات السياسية .

٤- ابن رشيق القيروانى : العمدة فى محاسن الشعر وأدابه ص ١١٠ - دار الجيل .

٥- أحمد أمين ك ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٠٣ .

٦- الحميدى : جذوة المقتبس ص ٩٦ .

٧- أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٠٤ .

٨- ابن رشيق : العمدة : ترجمة المؤلف ص ٣ ، ص ١١ تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٦ ، تحقيق محبى الدين عبد الحميد .

ومن الشعراء والأدباء النابغين الذين ظهروا فى تلك الفترة الشاعر الأديب عبد الكريم النهشلى وكان شاعرا ناقدا عارفا باللغة خبيرا بأيام العرب وأشعارها وتوفى سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م وقد أكثر ابن رشيقي من النقل عنه فى العمدة^(١).

والشاعر على بن أبى الرجال رئيس ديوان الانشاء فى الدولة الصنهاجية واشتهر بالكرم وتشجيع الأدب وهو الذى قام بتربية المعز بن باديس وحبيب إليه الأدب وهو الذى ألف له ابن رشيقي كتاب العمدة فوصفه ابن رشيقي كعادة أكثر العلماء بالكرم وسعة العلم، وأبو الحسن فى نظر ابن رشيقي «قد جمع الخلال الحميدة وزاد عليها» سلامة طبع واندفاعه، وقرب لفظ واتساعه، ورقة معان وأرهاقها^(٢)، وابن أبى الرجال شاعر عظيم، وابن رشيقي مفتون بهو وبأدبه، وقلما يخلو باب من أبواب كتابه من غير أن يختار من شعره ما يناسب هذا الباب^(٣).

ومن كبار المؤلفين فى الأدب أبو اسحاق الحصرى ابراهيم بن على بن تيم القيروانى وهو صاحب كتاب زهر الآداب وثمرة الألباب، توفى سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م وقد كان شباب القيروان يجتمعون عنده وبأخذون عنه وأهم ما يتصف به كتابه زهر الآداب إلى جانب الشعر أنه يذكر كثيرا من الآداب الاجتماعية التى كان يألّفها الناس فى عهده، فيذكر ما يجمل فى معاملة الملوك، ويتحدث عن فضل الليل والحرص على الآداب وواجب النساخ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات، وماله من الحقوق^(٤).

وأبو الحسن الحصرى القيروانى^(٥) توفى بطنجة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م كن عالما بالقراءات وطرقها وأنه أقرأ الناس القرآن الكريم بسبّعة وغيرها، رحل إلى الأندلس فى منتصف طرقها الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه فى القيروان حيث كانت دولة الشعر فى عصر ملوك

١- ابن رشيقي : العمدة : ص ١٤ ، ص ٢٤ ، ص ٥٦ ، ص ١٤٣ ، ج ٢ ص ٢٨١ .

٢- ابن رشيقي : العمدة ك المقدمة ص ٣ ، ج ٢ ص ٢٢٨ .

٣- انظر ابن رشيقي العمدة : ص ١١٢ ، ص ١١٣ ، من الجزء الأول وص ١٠٦ ، ص ١٠٧ ج ٢ .

٤- ابن اسحاق القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب ص ١٣ ، ص ١٤ ، ص ١٥ ، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد - دار الجيل .

٥- هو ابن خالة لأبى اسحاق الحصرى : زهرة الآداب ص ١٢ .

الطوائف مزدهرة ، « فتهاذاه ملوك الطوائف ، تهادى النسيم ، وتنافسوا عليه ، ولكنه لم يطمئن هناك فعاد إلى طنجة وبها توفى »^(١).

والشاعر حميد بن سعيد بن يحيى الخزرجى من ندماء المعز بن باديس وشعرائه المجيدين^(٢).

وعلى الجملة ظهرت فى بلاد المغرب حركة جيدة فى النقد الأدبى ويثل كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى قمة النقد الأدبى فى تلك البلاد ، الشعراء وطريقتهم فى الشعر^(٣).

العلوم فى المغرب والأندلس :

يعتبر عصر الخلافة الأموية فى الأندلس من أزهى العصور التى نمت فيها العلوم العقلية من طب وصيدلة ورياضة وفلك وغيرها . ومن أقدم علماء عصر الخلافة يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه القرطبى توفى (٣١٥هـ / ٩٢٧م) وكان بصيرا بالحساب والنجوم والطب متصرفا فى العلوم^(٤).

ومن أعظم علماء الرياضة فى الأندلس فى عصر الخلافة أبو القاسم مسلمة ابن أحمد المجريطى القرطبى المتوفى سنة ٣٩٨هـ وقد صنف عددا من الكتب منها تاب فى علم العدد المعروف فى الأندلس باسم المعاملات^(٥). ومن أشهر تلاميذه اصبغ بن السمع البارغ فى النجوم والهندسة ، وأبو القاسم بن الصغار أستاذ الرياضيات فى قرطبة ، وأبو الحسن الزهراوى^(٦) الطبيب المشهور.

وفى عهد الناصر والمستنصر تألف عدد كبير من الأطباء ، ومن هؤلاء يحيى ابن اسحاق

١- ابن اسحاق الحصرى القيروانى : زهرة الآداب ج١ ص ٧ ، ص ٨ .

٢- العماد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر قسم ٤ ج١ تحقيق عمر الدسوقي وعلى عهد العظيم : دار نهضة مصر للطبع والنشر - الفجالة مصر .

٣- انظر ابن رشيق : العمدة ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام ج١ ص ٣٠٦ ، ص ٣٠٧ .

٤- ابن أبى اصبيحة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٨٢ .

٥- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ٢١٠ .

٦- أحمد لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ص ٥٧ .

النصراني^(١) وقد حظى بشقة الناصر وألف كتابا فى الطب يشتمل على خمسة أسفار يسمى الأبرشم^(٢).

وفى عصر الحكم المستنصر برز الطبيب العالم أحمد بن يونس الحرانى حيث اتخذته الحكم طبيبه الخاص وكان أحمد هذا بصيرا بالأدوية المفردة وصانعا للأشربة والمعجونات^(٣).

وفى عصر الحكم أيضا ذاعت شهرة الطبيب الجراح أبى القاسم الزهراوى^(٤).

أما فى بلاد المغرب فكان من أشهر أطبائها الطبيب المغربى أحمد ابن ابراهيم بن الجزار من أهل القيروان، اشتهر بالطب وخدمة العامة، وكان عنده ما يزن خمسة وعشرين قنطارا من الكتب الطبية، وغيرها. وقد رحل إليه من الأندلس لتلقى العلم على يديه الطبيب الأندلسى أبو حفص عمران بن هريق الأندلسى، وقد لازم ابن حفص أستاذه ابن الجزار فى القيروان فترة أخذ عنه فيها الطب وروى عنه كل تأليفه فى الطب، ثم عاد إلى الأندلس فكان فى خدمة الأمراء الأمويين وخاصة الخليفة عبد الرحمن الناصر فتلقاها عنه الاخصائيون فى الطب من المسلمين ويهود ونصارى ومنهم سليمان بن جليل^(٥).

وكان ابن الجزار إلى جانب اشتغاله بالطب مولفا فى التاريخ، فألف فى علماء زمانه وفى أخبار الدولة الفاطمية^(٦).

واسحاق بن سليمان الاسرائيلى، أصله من مصر، لكنه استوطن القيروان وكان ابن اسحاق ذا فضل فى صناعة الطب وقد ألف فى الطب والحكمة والمنطق وقد خدم الأغالبة والفاطميين وتوفى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م^(٧).

من هذا يتبين كيف أن عصر الخلافة الذى وثق بين الأندلس والمغرب فى الحياة السياسية والاقتصادية قد قدح زناد الفكر وأظلت البلدين فى هذا العصر نهضة فكرية حقيقية أشرنا إلى طرف منها.

١- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة ج٢ ص ٢١٢.

٢- ابن جليل، طبقات الأطباء، ابن أبى أصيبعة ص ٤٨٨.

٣- ابن جليل، طبقات الأطباء، ص ١١٣، ابن أبى أصيبعة ص ٤٨١.

٤- ابن أبى أصيبعة طبقات الأطباء ص ٥٠١.

٥- ابن جليل، طبقات الأطباء ص ١٠٧.

٦- أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص ٣٠١.

٧- أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص ٣٠١.

الخاتمة

توفى الأمير عبدالله سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م وخلفه حفيده عبد الرحمن ابن محمد وكان جده الأمير عبدالله قد قام بتعليمه وتربيته كأحسن ما يكون وكانت الأندلس عند ولاية الأمير عبد الرحمن بن محمد تعاني من الضعف والانحلال نتيجة للفتن والثورات الداخلية التي أحدثت بالبلاد فشملت عهود ثلاثة من أمراء البيت الأموي قبيل تولى عبد الرحمن بن محمد الامارة الأموية في الأندلس وهم محمد الأول والمنذر وعبدالله .

كان عبد الرحمن بن محمد على قدر كبير من الكفاءة السياسية والادارية فقد قضى على الفتن والثورات الداخلية وأعاد الأمن والاستقرار الى ربوع البلاد ، ومد نفوذه إلى بلاد المغرب وصد عدوان الممالك النصرانية في شمال البلاد وفرض احترامه عليها .

هذا وقد دلت النقوش والعملات بالإضافة إلى المصادر التاريخية على عدم اتخاذ الأمراء الأمويين ألقاب الخلافة حتى سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م، ولكن بعد هذا التاريخ أعلن الأمير عبد الرحمن بن محمد الخلافة وحمل ألقابها واستمر الخلفاء الأمويون يحملون ألقاب الخلافة حتى سقطت دولتهم سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م.

وعلى الرغم مما شهده عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر من حروب وغزوات ، فإنه كنا عصر رخاء وسرا استقرت فيه الأوضاع الاقتصادية وبدت الأندلس قطرا غنيا بموارده ، فريدا في ثرائه .

ولم تحل مهام الملك والسياسة دون قيام الخليفة عبد الرحمن بأعمال الانشاء والعمران، فقام بانشاء عاصمة جديدة إلى جانب حاضرة الخلافة فاخطط مدينة الزهراء شمالي غرب مدينة قرطبة.

كما عنى أيضا بالجيش والأسطول لأن قوة الدولة الأموية في الأندلس كانت تعتمد أساسا على قدرتها العسكرية وكفاءتها الحربية، فحرص عبد الرحمن الناصر وخلفاؤه من بعده على تقوية الجيش والأسطول وتدعيم وحداته المختلفة.

هذا وقد توفى الخليفة عبد الرحمن الناصر في رمضان سنة ٣٥٠هـ / أكتوبر ٩٦١م.

تولى الحكم الخلافة بعد وفاة والده عبد الرحمن سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م وتلقب «بالمستنصر»

وأخذت له البيعة من أخوته وسائر الوزراء ورجال الدولة. وأكابر الفتيان الصقالبة وأكابر الجند. سار المحكم على نفس سياسة أبيه سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية وقام بمسئوليياته كاملة وبأمر مهام الملك أحسن مباشرة ، حتى ليذكر بعض المؤرخين « أنه لم يعدم من الناصر إلا شخصه ».

فكانت الخلافة الأموية في الأندلس في عهده قوية متماسكة ، فرضت سلطانها على بلاد المغرب ، وفرضت احترامها على الممالك النصرانية في شمال البلاد.

هذا وقد توفي الخليفة المحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م بعد أن أخذ البيعة لابنه هشام قبل بلوغه سن الرشد .

تمت البيعة لهشام ولقب بالمؤيد وذلك في صفر من سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٨م واتخذ الخليفة جعفر المصحفي حاجبا له ، كما عين محمد بن أبي عامر في خطة الوزارة.

أخذ نفوذ محمد بن أبي عامر يزداد ويقوى وذاع صيته ، فقام الخليفة هشام بترقيته رلى خطة الوزارة ، فزاد نفوذه وارتفعت منزلته لدى الخليفة.

أخذ المنصور بن أبي عامر يدبر المؤامرات لمنافسة جعفر المصحفي ، حتى نجح في الاطاحة بالحاجب جعفر ، فقام الخليفة هشام المؤيد بعزله من منصبه .

هذا وقد أصبحت مقاليد السلطة كلها في يد المنصور بعد أن نجح في القضاء على منافسة جعفر المصحفي.

وضعت الخلافة في عهد هشام المؤيد فقد جمع الحاجب المنصور جميع السلطات العسكرية والمدنية في يده وقام بالحجر على الخليفة هشام ، حتى غدا شبه معتقل أو سجين .

ثم توفي الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م وتولى منصب الحجابة من بعده ابنه عبد الملك .

سار عبد الملك على نفس سياسة أبيه من الاستبداد وجمع السلطة في يده والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فكان هذا مظهرا من مظاهر ضعف الخلافة الأموية وقتذاك .

وما زاد من ضعف الخلافة الأموية ، تقلد عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر منصب الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ولاية العهد وقد هز هذا العمل

الأندلس هزة عنيفة أدت إلى وقوع الفتن وانتشار الفوضى وزوال السلطة العامرية، فأصبحت الظروف مهيأة ليقوم الأمويون بالقضاء على العامريين ووقف أطماعهم وطفيانهم مستعنيين بالبربر تارة وبنصارى الشمال تارة أخرى حتى وقعت الأندلس فريسة فى أيدي البربر وهو ما عرف باسم الفتنة البربرية التى أدت فى النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م وانقسام الأندلس إلى دويلات صغيرة عرفت باسم دول الطوائف .

أما بلاد المغرب فقد أقام بها الفاطميون خلافة فاطمية شيعية سنة ٢٩٧هـ / ويرجع الفضل فى نشر الدعوة الشيعية فى بلاد المغرب إلى رجل يدعى أبو عبد الله الشيعى الذى قام بنشر الدعوة للرضا من آل محمد بين قبائل البربر وخاصة قبيلة كتامة من صنهاجة .

قوى أمر أبى عبد الله الشيعى وازداد خطره، ولم يستطع آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله الثالث الصمود أمام أبى عبد الله الشيعى وجيوشه ، ففر من رقادة عاصمة الأغالبة، حيث نهبت قصوره ودخل أبو عبد الله الشيعى القيروان فى رجب سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ثم توجه أبو عبد الله الشيعى من رقادة إلى سجلماسة بعد أن علم بقدوم عبيد الله المهدي الذى هرب من سلمية فى أرض حمص بعد أن وصله كتاب أبى عبد الله الشيعى يخبره بالفتح، متنكرا فى زى التجار، ولما وصل سجلماسة علم اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة بأمر عبيد الله المهدي فسجنه ، فتوجه أبو عبد الله الشيعى إلى سجلماسة فحاصرها ودخلها ، فأخرج المهدي، ثم قام باعلان امامة عبيد الله المهدي .

ولما علم اليسع بن مدرار أمير سجلماسة بوصول أبى عبد الله الشيعى سعى إلى الهرب من سجلماسة ليلا ولكنه قتل .

وفى رقادة أمر عبيد الله المهدي بذكر اسمه فى الخطبة على جميع منابر بلاد المغرب وتلقب بالمهدي بالله أمير المؤمنين .

قام عبد الله المهدي بتوطيد دعائم دولته الجديدة فأسند المناصب الكبرى إلى رجال يثق فيهم. ودون الدواوين وبعث بالعمال إلى الولايات المختلفة لجباية الأموال، وضبط شئونها حتى تم له اخضاع القبائل التى لم تكن قد دخلت فى طاعته .

رأى عبيد الله المهدي ضرورة بناء حاضرة جديدة فى تونس يتخذها عاصمة له فوق اختياره على مكان يقع على بعد ستين ميلا جنوبى القيروان وأسماها المهدية.

هذا وقد اهتم عبيدالله المهدي وخلفاؤه من بعده بإنشاء أسطول بحرى قوى لحماية دولتهم
فالى جانب المهدي اهتم الفاطميون ببناء المنشآت البحرية واصلاحها .

توفى عبيدالله المهدي سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م فاشتعلت بلاد المغرب بالفتن والثورات
الداخلية، إذ وجدت قبائل البربر الفرصة سانحة للخروج على طاعة الفاطميين .

استهل الخليفة القائم بأمر الله حكمه بمحاولة القضاء على تلك الفتن والثورات . على أن
أهم هذه الثورات وأكبرها خطرا على الخلافة الفاطميين فى بلاد المغرب كانت ثورة أبى يزيد
مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى، وقد شغلت هذه الثورة عصر القائم كله، وعامين من عهد ابنه
أبى العباس اسماعيل المنصور الذى نجح فى القضاء على تلك الثورة .

هذا وقد استطاع الخلفاء الفاطميون فى بلاد المغرب اخضاع أجزاد كبيرة من بلاد المغرب
الأوسط والرقصى بالإضافة إلى المغرب الأدنى، فأصبحت بذلك تشمل المنطقة الممتدة من حدود
برقة شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسى غربا .

لم يقنع الفاطميون بما أحرزوه من نصر، بسيطرتهم على بلاد المغرب فبدأوا يتجهون
بابصارهم نحو المشرق الإسلامى وبدأوا فى تحقيق هذا الهدف بمحاولة الاستيلاء على مصر
لادراكهم أن هذه البلاد عظيمة الأهمية من النواحي السياسية والحربية والاقتصادية والدينية.

وقبل أن يرحل المعز لدين الله الفاطمى إلى مصر أراد أن يبقى على النفوذ الفاطمى فى
بلاد المغرب. فاستخلف عليها أحد قواده وهو أبى الفتح يوسف ابن زبرى بن مناد
الصنهاجى.

هذا وقد حكم بنو زبرى بلاد المغرب الأدنى، كما استقل بنو حماد بالمغرب الأوسط أما قبيلة
زناتة من مغراوة وبنى يفرن فقد استقلوا بحكم المغرب الأقصى بذلك تحت طاعة الأمويين فى
الأندلس.

استمرت الإمارات المغربية تحكم بلاد المغرب فأقسامها الثلاثة إلى أن نكبت بغارات عرب
بنى هلال .

أما عن علاقة الأندلس ببلاد المغرب فى عصر الخلافة الأموية فقد ارتبطت الأندلس ببلاد
المغرب بعلاقات سياسية واقتصادية وثقافية .

على أنه كان قيام الخلافة الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب والأموية السنية فى الأندلس
من شأنه أن يحدث صداما بين هاتين القوتين المختلفتين مذهبيا .

وقد يبدو هذا الصراع فى ظاهرة صراعا بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب، ولكنه كان فى حقيقة أمره صراعا بين السنة والشيعية ، هذا وقد حالفت قبيلة صنهاجة البرنسية الخلافة الفاطمية فى صراعها ضد الأمويين فى الأندلس بينما حالفت قبيلة زناتة البثرية الأموية فى الأندلس فى صراعهم ضد الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب.

هذا وقد اتخذ العداء بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب أشكالا عدة، فحاول كل من الطرفين ارسال دعااته ورجاله للتعرف على مواطن الضعف كل فى بلد الآخر.

كما عمل كل من الطرفين أيضا على تشجيع الثائرين فى البلدين، فشجع الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدي الثائر الأندلسى عمرو بن حفصون فرد الخليفة عبد الرحمن الناصر على هذا العمل بأنه قام بتشجيع ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليغرنى على الفاطميين فى بلاد المغرب. كما فتحت كل من المهديّة وقرطبة أبوابها للاجئين السياسيين من البلدين.

لم يقف العداء بين الفاطميين فى بلاد المغرب والأمويين فى الأندلس عند هذا الحد من التحدى بين الطرفين بل تطرق هذا العداء إلى مرحلة الصدام المسلح فقد قام الأسطول الأندلسى بشن هجوم على السفن الفاطمين وأغرق سفينة تابعة للفاطميين ، فقابل الفاطميون هذا العمل بأن قاموا بشن هجوم مفاجئ على ميناء المرية الأندلسى وتحطيم عدد من وحدات الأسطول الأندلسى.

هذا وقد استمر النزاع بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس إلى أن انتقلت الخلافة الفاطمية إلى مصر، فأصبح الميدان خاليا أمام الأمويين فى الأندلس ، لبسط نفوذهم كاملا على بلاد المغربين الأوسط والأقصى .

استمرت قبائل زناتة الموالية للأمويين فى الأندلس تحكم بلاد المغرب الأقصى باسم الأمويين حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م.

هذا وكانت العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب رابطة من أقوى الروابط التى جمعت بين القطرين، فكانت المراكز التجارية وأسواقها محور هذه العلاقات إذ نشطت فيها الحركة التجارية نتيجة للازدهار الزراعى والصناعى والتقدم الحضارى الذى ظهر خلال القرن الرابع الهجرى ، فصارت أسواق الأندلس والمغرب تزدهم بالمنتجات الأندلسية والمغربية ونشطت هذه الأسواق نشاطا عظيما.

كما لعبت البحرية التجارية دورا بارزا فى نقل فائض الانتاج من بلد إلى آخر كما لعب التكامل الاقتصادى بين القطرين دوره أيضا ، فكان فائض الانتاج هنا يصدر إلى هناك وهكذا .

كما ارتبطت بلاد المغرب ببلاد الأندلس بشبكة هائلة من الطرق البحرية ربطت القطرين بعضهما البعض فكانت السفن التجارية الأندلسية تنتقل بحرية بين ثغور وموانئ بلاد المغرب والأندلس حاملة التجار والبضائع المختلفة .

فلا عجب أن حظى القطران بذلك الازدهار الاقتصادى الذى عرضنا لبعض مظاهره .

كما كانت العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب والأندلس من أهم مظاهر العلاقات بين هذين القطرين وساعد على ذلك القرب الجغرافى والرحلات المتبادلة بين أبناء المغرب والأندلس عبر المضيق الذى كان من السهل عبوره واجتيازه .

فكانت الرحلات المتتالية لأبناء الأندلس من مختلف أرجائه وبقاعة تفد إلى بلاد المغرب للتزود من علمائها .

كما كان أهل الأندلس يقدمون إلى بلاد المغرب لطلب العلم وكان بعض العلماء من أبناء المغرب يرحلون إلى الأندلس فيستوطنون هناك حيث يبتشون علمهم ومعارفهم ويأخذون عن شيوخها وعلمائها .

ولقد كان لكثرة تلقى طلاب الأندلس علمهم فى بلاد المغرب على يد فقيه المغرب المشهور سحنون بن سعيد أثر فى انتشار المذهب المالكى فى الأندلس .

هذا وبجانب العلاقات عن طريق الرحلات المتبادلة بين أبناء القطرين كانت هناك علاقات فكرية بين بلاد المغرب والأندلس عن طريق المراسلة ، فكان هناك اتصال دائم بين قاضى القيروان وقاضى قرطبة .

هذا وقد كان لهذا الامتزاج الفكرى بين بلاد الأندلس والمغرب ، أن ظلت بالبلدين نهضة فكرية حقيقية ، سواء فى الفقه أو الدراسات اللغوية والأدبية والعلمية .

قائمة المصادر

أولا : المخطوطات

١- مؤلف مجهول:

« شرح لمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر » مخطوط
بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٢ .

٢- النعمان : (أبو حنيفة بن حيون المغربي ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) «المجالس والمسائرات ،
مخطوط ، ثلاثة أجزاء» مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٦٠ .

٣- النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م) «نهاية الأرب
في فنون الأدب ج٢٦» دار الكتب رقم ٥٥٩ ، معارف عامة .

ثانيا : المؤلفات العربية القديمة :

١- ابن الأبار : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي) (ت ٦٥٨هـ /
١٢٦٠م) . الحلة السيرة : جزآن ، تحقيق حسين مؤنس ١٩٦٣م
التكملة لكتاب الصلة : طبعة القاهرة ١٩٥٦م .

٢- ابن الأثير : (علي بن أحمد بن أبي الكرم) (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م) . الكامل في
التاريخ ، طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ ، الجزء الثامن .

٣- الأدرسي : (محمد بن عبدالله بن أدريس الشريف) (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٣م) صفة
المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، نشر دوزي ودي غوية ، طبعة
ليدن ١٨٦٦م .

٤- أبو اسحاق القيرواني : (ت في أواخر القرن الخامس الهجري) زهر الآداب وثمر
الألباب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل .

٥- ابن أبي أصيبعة : (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس
الصفدي الخزرجي) . (ت ٦٦٧هـ / ١٢٧٠م) . عيون الأنباء في طبقات
الأطباء ، نشر نزار رضا بيروت ١٩٦٥ .

٦- ابن بسام : (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) . «الذخيرة

فى محاسن أهل الجزيرة» القسم الأول- المجلد الأول، القاهرة ١٩٣٦ .
القسم الأول - المجلد الثانى، القاهرة ١٩٤٢ . القسم الرابع - المجلد
الأول، القاهرة ١٩٤٥ .

٧- ابن بسام : (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب) (ت فى القرن التاسع الهجرى)
«نهاية الرتبة فى طلب الحسبة» . تحقيق حسام الدين السامرائى -
مطبعة دار المعارف . بغداد ١٩٦٨م.

٨- ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) . «الصلة فى
تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم» القاهرة
١٩٦٦م .

٩- البكرى : (أبو عبدالله بن عبد العزيز) (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٧م) «كتاب المغرب فى ذكر
بلاد أفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك» . نشر دى سنان الجزائر
١٩٩١ م . «جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك» .
تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨م.

١٠- ابن تغرى بردى : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) (ت ٨٧٤هـ /
١٤٦٩م) «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة» . القاهرة ١٩٣٢م.

١١- ابن تيمية : «الحسبة فى الإسلام» ، دمشق ١٩٦٧م.

١٢- التيجانى : (أبو محمد عبدالله) (توفى أوائل القرن الثامن الهجرى) «رحلة
التيجانى، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب» تونس ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

١٣- الجزنائى : (أبو الحسن على الجزنائى) زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، طبع باعتماد
الفريد بيل الجزائر ١٢٤٠هـ / ١٩٩٢م .

١٤- ابن جلجل : (أبو داود سليمان بن حسان الأندلس ت أواخر القرن الرابع الهجرى)
«طبقات الأطباء والحكماء» ، تحقيق فؤاد السيد . القاهرة ١٩٥٥م.

١٥- الجوزى : (أبو على منصور العزيزى الجوزى) (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) «سيرة
الأستاذ جوزر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين» تقديم وتحقيق محمد كامل
حسين، محمد عبد الهادى شعيرة دار الفكر العربى ١٣٧٤هـ .

١٦- ابن هزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم) (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) نطق العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف: مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، مجلد ٢ ديسمبر ١٩٥١ القاهرة العدد ١٣ . «جمهرة أنساب العرب» . تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف «طوق الحمامة فى الألف والآلاف» ليدن ١٩١٤م. «الرد على ابن التفريلة اليهودى» ورسائل أخرى تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٠ .

١٧- الحسن على بن يوسف : «الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة» نشر حسين مؤنس - مدريد ١٩٦٠م.

١٨- الحميدى: (أبو عبدالله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله الأزدي) (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) . «جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس» ضمن المكتبة الأندلسية ١٩٦٦م.

١٩- الحميرى: (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد العظيم) (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م) «الروض المعطار» قطعة مأخوذة من كتاب صفة جزيرة الأندلس تحقيق ليفى بروفنسال - القاهرة ١٩٣٧م .

٢٠- ابن حوقل النصيبى : (أبو القاسم محمد بن على ت فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى) «كتاب صورة الأرض» نشر مكتبة دار الحياة- بيروت .

٢١- ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى) (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) «المقتبس فى أخبار بلد الأندلس» (يختص هذا القسم بخمس سنوات فقط من عهد الخليفة الحكم المستنصر ٣٦٠هـ ٣٦٤هـ . تحقيق عبد الرحمن الحجى - دار الثقافة بيروت ١٩٦٥ «المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس» تحقيق ملشور أنطونيا - باريس ١٩٣٧ .

٢٢- ابن خاقان : (الفتح بن خاقان) (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م) «مطعم الأنفس ومسرح التانس فى ملح أهل الأندلس» القسنطينة ١٣٠٢ . «قلائد العقيان فى محاسن الأعيان» طبعة القاهرة ١٣٢٠هـ.

٢٣- ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبدالله بن أحمد) (ت ٣٠٠هـ / ١٩١٢م) «المسالك والممالك» طبعة ليدن ١٨٦٧م .

٢٤- الخشنى : (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى القيروانى الأندلسى)
(ت ٣٦١هـ / ٩٧١م) «قضاة قرطبة وعلماء أفريقية» نشر الدار المصرية
للتأليف والنشر ١٩٦٦م.

٢٥- ابن الخطيب : (لسان الدين بن الخطيب السلماني) (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) «أعمال
الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام». القسم الثانى
تحقيق ليفى بروفنسال. الطبعة الثانية ١٩٥٦ «أعمال الأعمال، القسم
الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادى ومحم ابراهيم الكتانى تحت عنوان
«تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط» ١٩٦٤. «الاحاطة فى
أخبار غرناطة»، المجلد الأول. تحقيق محمد عبد الله عنان. «معيار
الاختيار فى ذكر المعاهد والديار» فاس ١٣٢٥هـ. «اللمحة البدرية فى
الدولة النصرية» القاهرة ١٣٧٤هـ.

٢٦- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربى) (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر». ٧ أجزاء طبعة بولاق. «المقدمة». طبعة
بيروت وطبعة دار الشعب.

٢٧- ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) (ت ٦٨١هـ /
١٢٨٢م) «وفيات الأعيان» تحقيق احسان عباس - ٨ مجلدات نشر دار
الثقافة. بيروت، وتحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨م.

٢٨- الدهاغ : (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى) (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م)
«معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان» - ٤ أجزاء تونس ١٣٢٠هـ.

٢٩- ابن دراج القسطلى : (أبو عمر أحمد بن محمد) (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) «ديوان ابن
دراج» تحقيق محمود على مكى. دمشق ١٩٦١.

٣٠- ابن أبى ديمار القيروانى : (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبى القاسم الرعينى
القيروانى) (ت ١١١٠هـ - ١٦٩٨م). المؤنس فى أخبار افريقية وتونس.
طبعة تونس ١٢٦٨هـ.

٣١- الذهبي : (الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد) (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) «العبر في خبر من غبر» الجزء الثاني تحقيق فؤاد سيد ، الكويت سلسلة التراث العربي.

٣٢- ابن رسته : (أبو علي أحمد بن عمر) «الأعلاق النفيسة» . نشره دي غويه- ليدن ١٨٨١-١٨٨٢ .

٣٣- ابن رشيق القيرواني : (ت أواخر القرن الخامس الهجري) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل.

٣٤- ابن أبي زرع : (علي بن محمد الفاسي) (ت ٧٢٦هـ) «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» نشره تورنبرج Tornberg أسال ١٨٤٣ .

٣٥- ابن السراج : (محمد بن محمد الأندلسي الوزير) (ت ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م) «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» ج١ قسم٤ تحقيق محمد الحبيب الهيلة. تونس .

٣٦- ابن سعيد : (محمد الصفاقسي) (ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) «نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار» تونس ١٣٣١هـ.

٣٧- ابن سعيد : (المغربي الأندلسي) (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) «المغرب في حلى المغرب» جزءان. تحقيق شوقي ضيف دار المعارف مصر ، ١٩٦٤ «كتاب بسط الأرض في الطول والعرض» تطوان ١٩٥٨ «الجغرافيا» تحقيق اسماعيل العربي. بيروت ١٩٧٠ .

٣٨- السقطي : (أبو عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي المالكي الأندلسي) (ت ٦٣١هـ / ١٢٣٤م) . «آداب الحسبة» نشر ج.س كولان وليفي برونسفال.

٣٩- السلاوي : (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» الدار البيضاء ١٩٥٢ .

٤٠- الشيزي : (عبد الرحمن بن نصر) (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م) «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» تحقيق الباز العريني ١٣٦٥ / ١٩٤٩ .

- ٤١- ابن شهيد : (أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد) (ت ٥٢٤هـ / ١١٢٩م) «الديوان» تحقيق يعقوب ذكى .
- ٤٢- الاصطخرى : (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى المعروف بالكرخي) (ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) «المسالك والممالك» نشر دى غوية ليدن ١٨٦٧م .
- ٤٣- الضبى : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) (ت ٥٥٩هـ / ١٢٠٢م) «بغية الملتبس فى تاريخ رجال الأندلس» المكتبة الأندلسية . مصر ١٩٦٧ .
- ٤٤- عبيدالله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب نشر ليفى بروفنسال . تعليق حسين مؤنس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٤ .
- ٤٥- ابن أبى الضياف : (أحمد) (ت ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م) «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك وعهد الزمان» تونس ١٩٦٣ .
- ٤٦- ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه) (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) «العقد الفريد» طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ٤٧- ابن عبد الرؤوف : (أحمد بن عبد الله) «فى آداب الحسبة والمحتسب» (ضمن مجموعة ثلاث رسائل فى الحسبة) تحقيق ليفى بروفنسال مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ .
- ٤٨- ابن عهون : «فى القضاء والحسبة» (ضمن مجموعة ثلاثة رسائل فى الحسبة تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٥٥ .
- ٤٩- ابن عذارى المراكشى : (ت فى أواخر القرن السابع الهجرى) «كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب» الجزء الأول والثانى. تحقيق ج. س كولان وليفى بروفنسال دار الثقافة ببيروت . الجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة ببيروت .
- ٥٠- العلى : (أحمد بن عمر بن أنس العلى المعروف بابن الدلائى) (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) . «نصوص عن الأندلس» من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار . والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك . مطبعة معهد الدراسات الإسلامية . مدريد ١٩٦٥ .

- ٥١- العماد الأصفهاني : (أبو عبدالله محمد بن محمد بن ماجد بن عبدالله علي) (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) «كتاب خريدة القصر وجريدة العصر» القسم الرابع . تحقيق عمر الدسوقي، وعلى عبد العظيم. دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٦٤م.
- ٥٢- ابن عمر : (يحيى) (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م) «كتاب أحكام السوق» . تحقيق محمود على مكى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية . العدد ١-٢ مجلد٤ مدريد ١٩٥٦ .
- ٥٣- ابن غالب : (محمد بن أيوب الأندلسي) (ت القرن السادس الهجري) «قطعة من كتاب فرحة الأنفس» تحقيق لطفى عبد البديع . مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١ جزء ٢ نوفمبر ١٩٥٥ .
- ٥٤- الطرطوسي : «الحوادث والبدع» تحقيق محمد الطالبي
- ٥٥- أبو الفدا : (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه) (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) «المختصر في أخبار البشر» طبعة بيروت.
- ٥٦- ابن فرحون : (برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون المدني المالكي) (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» مصر ١٩٢٣م.
- ٥٧- ابن الفرصى : (أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي) (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) «تاريخ علماء الأندلس» ضمن المكتبة الأندلسية . القاهرة ١٩٦٦ .
- ٥٨- ابن فضل الله العمري : (شهاب الدين أحمد بن يحيى الكاتب الدمشقي العمري) (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» «وصف أفريقية والمغرب والأندلس» تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب . تونس.
- ٥٩- ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق الهمداني) (ألف كتابه ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) مختصر كتاب البلدان . ليدن ١٨٨٥ .
- ٦٠- ابن القاضي : (أحمد بن محمد) «جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس» ١٣٠٩هـ.

- ٦١- القزوينى : (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) (ت ٦٨٢هـ / ١٢٣٨م)
«عجائب المخلوقات» بيروت ١٩٦٠ .
- ٦٢- القلقشندي: (أبو العباس أحمد) (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» الجزء الخامس القاهرة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م
- ٦٣- ابن القوطية : (محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبوبكر) «تاريخ افتتاح الأندلس» تحقيق عبدالله أنيس الطباع ، بيروت ١٩٥٧ .
- ٦٤- ابن الكردوبوس : (أبومروان عبد الملك) (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٣م) «تاريخ الأندلس، ووصفه لابن الشباط» نسان جديان . تحقيق أحمد مختار العبادى . مطبعة معهد الدراسات الإسلامية . مدريد ١٩٧١ .
- ٦٥- المالكى : (أبو بكر عبدالله بن أبى عبيد) «رياض النفوس فى طبقات علماء أفريقية وزهادهم وعبادهم ونساکهم وسير من أخبارهم» . نشر وتعليق حسين مؤنس . القاهرة ١٩٥١م .
- ٦٦- الماوردى : (أبو الحسن على بن محمد البغدادى بن حبيب البصرى البغدادى) (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧م) «الأحكام السلطانية» مصر ١٩٢٨ .
- ٦٧- المجيللى : (أحمد بن سعيد) (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٣م) «التيسير فى أحكام التسعير» تحقيق موسى لقبال . الجزائر ١٩٧٠م .
- ٦٨- المراكشى : (عبد الواحد بن علمى) (ت فى القرن السابع الهجرى) «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى الناصرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .
- ٦٩- المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسن بن على) (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» مصر ١٣٠٦هـ . «التنبيه والإشراف» ليدن ١٩٦٧ .
- ٧٠- المقدسى : (شمس الدين أبو عبدالله) (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ليدن ١٩٠٦م .
- ٧١- المقرئى : (تقى الدين أحمد بن على) (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) «اتعاظ الحنفا بأخبار

الأئمة الفاطميين الخلفاء» نشر جمال الدين الشيال . طبعة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

٧٢- المقرئ : (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني) (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٨م) «أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض» تحقيق مصطفى السقا وآخرون القاهرة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» تحقيق إحسان عباس ٧ أجزاء بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م . وتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م.

٧٣- ابن منظور : (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى) (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) «لسان العرب» طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٢٠ مجلدا المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- سلسلة تراثنا .

٧٤- مؤلف مجهول : (أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم) تحقيق ونشر E. Lafuente مجرى ١٩٦٧ .

٧٥- مؤلف مجهول : (نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى) (ألف ٧١٢هـ / ١٣١٢م) تحقيق ليفى بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ م .

٧٦- مؤلف مجهول : (وصف جديد لقرطبة الإسلامية) تحقيق حسين مؤنس . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلد الثالث عشر . مدريد ١٩٦٥م.

٧٧- مؤلف مجهول : (الخلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية) عنى بتصحيحه البشير الفورتى. الطبعة الأولى- تونس . وأحمد علوش . الرباط ١٩٣٦ م .

٧٨- مؤلف مجهول : (الاستبصار فى عجائب الأمصار) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد) مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٨م .

٧٩- مؤلف مجهول : «العيون والحدائق فى أخبار الحقائق» الجزء الرابع / القسم الأول تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ساعدت جامعة بغداد على طبعة عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٨٠- مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدني الله نشرها وقام

بدراستها وترجمتها إلى الأسبانية الاستاذان ليفى بروفنسال وغريه غوس
بعنوان :

Una Cronica anonima de Abd al Rahman III al - Nasit,
Madrid , Granada, 1950 .

٨١- النباهى : (أبو الحسن عبدالله بن الحسن) (ت ٧١٣هـ / ١٣٦٣م) «تاريخ قضاة
الأندلس، المسمى، المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا . تحقيق
ليفى بروفنسال ١٩٣٧ .

٨٢- النعمان : (أبو حنيفة بن أبى عبدالله بن محمد بن حيون المغربى) (٣٦٣هـ / ٩٧٣م).
«كتاب افتتاح الدعوة» تحقيق فرحات الدشرداوى . تونس .

٨٣- ابن هانىء : (أبو الحسن محمد) (ت ٣٦٢هـ / ٩٧٣م) «ديوان ابن هانىء» بيروت
١٣٢٦هـ.

٨٤- ابن الوردى : (سراج الدين بن حفص عمر أبو الفوارس) (ت ٨٦١هـ / ١٤٥٧م)
«كتاب خريدة العجائب» نشر ليدن ١٨٢٣م .

٨٥- ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت عبد الله الحموى الرومى
البغدادى) (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) «كتاب معجم البلدان» طبع ونشر.
دار صادر بيروت .

٨٦- اليعقوبى : (أحمد بن يعقوب بن واضح) ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) «كتاب البلدان» نشر
دى غريه . المجموعة الجغرافية العربية ليدن ١٨٩١ / ١٨٩٢م .

ثالثا : الكتب العربية الحديثة :

١- ابراهيم أحمد العدوى: «الأساطيل العربية فى البحر المتوسط» القاهرة ١٩٥٧ .

٢- إحسان عباس : «تاريخ الأدب الأندلسى، عصر سيادة قرطبة» الطبعة الثانية .

٣- أحمد أمين : «ظهر الإسلام» ج١ . القاهرة ١٩٤٥ .

٤- أحمد فكري : «المسجد الجامع فى القيروان» القاهرة ١٩٣٦ .

٥- آدم ميعز : «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى» طبعة بيروت .

٦- أرشيبالد لويس : « القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط » ترجمة أحمد عيسى. القاهرة ١٩٦٠ .

٧- أنخل جنثالث بالنتيا : « تاريخ الفكر الأندلسى » ترجمة حسين مؤنس- القاهرة ١٩٥٥

٨- أحمد مختار العبادى : « الصقالية فى أسبانيا » المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م . « تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام » بالاشتراك مع عبد العزيز سالم جامعة بيروت العربية ١٩٧٢ .
« دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس » الاسكندرية ١٩٦٨م .

٩- حسن إبراهيم حسن : « المعز لدين الله الفاطمى » بالاشتراك مع طه شرف ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ . « عبيدالله المهدي » بالاشتراك مع طه شر ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ . « تاريخ الدولة الفاطمية » الطبعة الثانية. مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ . « تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ج٣ الطبعة الثالثة ١٩٥٥ ، الطبعة السابعة ١٩٥٦ .

١٠- حسن أحمد محمود : « قيام دولة المرابطين » مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ . « الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية » ج ١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

١١- حسن حسنى عبد الوهاب : « ورقات من الحضارة الغربية بأفريقية » قسم ٢ . تونس ١٩٦٦ .

١٢- حسن السائح : « الحضارة المغربية عبر التاريخ » ١٩٧٥ .

١٣- حسين مؤنس : فجر الأندلس » القاهرة ١٩٥٩ « رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود » القاهرة ١٩٦٤ . « الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس » مدريد ١٩٦٧ .

١٤- خير الدين الزركلى : « فهرس الأعلام » القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٩ .

١٥- ديمومين : « النظم الإسلامية » .

- ١٦- زكى محمد حسن : « فنون الإسلام » .
- ١٧- ستانلى لين بول : « تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة » ترجمة أحمد السعيد سليمان. القاهرة ١٩٦٩ .
- ١٨- سعاد ماهر : « البحرية فى مصر الإسلامية » القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٩- سعيد عبد الفتاح عاشور : « أوربا العصور الوسطى » ج١ ١٩٥٨ .
- ٢٠- سليمان مصطفى زبيس : « بين الآثار الإسلامية فى تونس » تونس ١٩٦٣ .
- ٢١- شكيب أرسلان : « الحلل السندسية فى الآثار والأخبار الأندلسية » القاهرة ١٩٣٦ .
- ٢٢- الشيخ الأمين : « العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين مالى وسنغى . بيروت ١٩٧٠ .
- ٢٣- صلاح خالص : « أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى » المكتبة الأندلسية - بيروت ١٩٦٥ .
- ٢٤- صابر محمد دياب : « سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط » ١٩٧٣ .
- ٢٥- عبد الرحمن على الحجي : « التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة » ٩٢هـ - ٨٩٧م ، ٧١١هـ / ١٤٩٢م . « الكتب والمكتبات فى الأندلس » فصله من مجلة كلية الدراسات الإسلامية بغداد العدد الرابع ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٦- عبد الرحمن فهمى : « موسوعة النقود الإسلامية وعلم النميات » دار الكتب ١٩٦٥ .
- ٢٧- عبد العزيز سالم (السيد) « تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس » بيروت ١٩٦٢م . « المغرب الكبير » (العصر الإسلامى) الاسكندرية ١٩٦٦ . « تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الإسلامى » ١٩٦١ - ١٩٦٩م . « تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس » بيروت ١٩٦٩ . « المربة قاعدة الأسطول الأندلسى » بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٨- عبد المنعم ماجد : « تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى » « الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى » بالاشتراك مع على البناء . دار الفكر العربى ١٩٦٠م .

- ٢٩- عثمان الكمال : « الحضارة العربية فى البحر المتوسط » .
- ٣٠- عطية مشرفة : « القضاء فى الإسلام » الطبعة الأولى مصر ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ م .
- ٣١- لطفى عبد البديع : « الإسلام فى أسبانيا » المكتبة التاريخية ١٩٥٨ .
- ٣٢- ليفى بروفنسال : « الإسلام فى المغرب والأندلس » ترجمة عبد العزيز سالم ، صلاح الدين حلى . القاهرة ١٩٥٨ .
- ٣٣- محمد جمال الدين سرور : « سياسة الفاطميين الخارجية » القاهرة ١٣٨٦ / ١٩٦٧ م . « الدولة الفاطمية فى مصر » القاهرة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م . « تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق » (من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى) القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ ك .
- ٣٤- محمد عبد الله عنان : « الآثار الأندلسية الباقية » الطبعة الثانية . « دولة الإسلام فى الأندلس » الجزء الأول - العصر الأول ، الجزء الأول - العصر الثانى .
- ٣٥- محمد على دهب : « تاريخ المغرب الكبير » القاهرة ١٩٦٣ .
- ٣٦- مورنيو : « الفن الإسلامى فى أسبانيا » ترجمة لطفى عبد البديع - عبد العزيز سالم القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٣٧- ميشيل أمارى : « المكتبة العربية الصقلية » طبعة معادة بالأرغست عن مطبعة ليبسك ١٨٥٧ م .
- رابعاً : الرسائل الجامعية :
- ١- رجب محمد عبد الحليم : « دولة بنى حمود فى مالقة » رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٧٦ جامعة القاهرة .
- ٢- عبد الحميد محمود الشرقاوى : « الحياة الاقتصادية فى الأندلس الإسلامية » فى القرن الرابع الهجرى » رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٥٠ . جامعة القاهرة .
- ٣- عفيفى محمود ابراهيم : « أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية » رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٧٦ م جامعة القاهرة .

٤- محمد على هيدر : «الأرضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق» رسالة ماجستير غير منشور ، جامعة القاهرة .

٥- مصطفى عبدالله الهمشوى : «الأعمال المصرفية فى الإسلام» رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة .

خامسا : الدوريات :

١- أحمد مختار العبادى : «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس» صحيفة معهد الدراسات الإسلامية . مدريد ١٩٥٧ .

٢- حسين مؤنس : «المسلمون فى حوض البحر المتوسط» المجلة التاريخية مجلد ١ - مايو ١٩٥٤ .

٣- سعد زغللول عبد الحميد : «الآثار الإسلامية بالمغرب» المؤتمر الثالث للبلاد العربية المنعقد فى فاس نوفمبر ١٩٥٩ م.

٥- محمد محمد زيتون : «العلاقات الثقافية بين القيروان وبن المراكز الفكرية فى المغرب فى منتصف القرن الرابع الهجرى» مجلة كلية الآداب العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثالث ١٣٩١ هـ / ١٩٧٩ م .

٦- محمد بن تاويت الطنجى : «بين أموى الأندلس والأدارسة» بحث فى مجلة تطوان المغربية الأندلسية العدد الثامن ١٩٦٣ م .

٧- محمد المنونى : «العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين» تطوان ١٩٥٠ .

٨- محمود على مكى : «التشيع فى الأندلس» صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٤ .

دائرة المعارف الإسلامية :

REFERENGCEA

Ayman Fouad Sayed :

Lumieres nouvelles sur quelques sources de l'histoire islamique en Egypt. Annales islamiques, T. XIII, 1977 p. 3 .

Bovill, E.A :

The golden trade of the moors London 1950 .

Carlos - Sarthou Carreras: Castillos d'Espena , Madrid , 1952 .

Conde :

History of the Dominion of the Arabs in Spain . London 1898 .

Derek Hill ,

Islamic architecture in North Africa.

Dozy, R. P.A.

Histoire des Musulmanes d'Espagne (Paris) .

_____ : Spanish Islam .

_____ : Dictionaire De Tailloa, des Nims des vetments Chez les Arabes, Amesterdam, 1845 .

Coitein :

Studies in Islamic History Leyden (1966) .

Heyd (W) :

Histoire du commerce du levant au Moyen Age (Leipzig 1923) .

Fulien (A) :

History of North Africa London (1950) .

La fuente (M) :

Histoire General d'Espana Tom I Barcelona 1877 .

Lane Pool (S) :

The Moors in Spain , London , 1897 , Catalogue of the collections of Oriental coins, London 1897 .

Laviox (H) :

Catalogues des monnais musulmanes Paris (1891) .

Levi Provencal (E) :

Inscriptions Arabes d'Espagne Paris (1931) .

_____ :

Histoire de L'Espagne Musulmane La Califat Umayyade de Cordone I II paris (1950) .

_____ :

L'Espagne Musulmane au Xieme siecle paris (1951) .

Marcais (G) :

La Berberie Orientale Paris (1946) .

_____ :

L'architecture musulmane d'occident Paris (1954) .

Miles (G.C.) :

The coin age of the Umayyades of Spain 2 vols Nw York 1950 .

Murphy :

History of the Mohammadan Empire .

Rabis (F.G):

Malga Musulmane (1880) .

۲۲۷

Scott :

History of the Moorish Empire, Philadelphia (1904) .

Serjeant R.R :

Islamic textiles material for a history up to the Mongol Conquest.

Simponet F.J .:

Historia de los Mosarslies d'Espana Madrid (1903) .

Terrasse H :

Histoire de Maroc 2 Volumes Casablanca (1949) .

Van Berchem M.V.:

Titres Colifiens d'occident Journal Asiatique, T IX , Mars - Avril 1976 .



General Organization of the Alexandria Library (GOL)
القائمة العامة للمكتبة

رقم الإيداع ٩٩/١٤٦٤٥

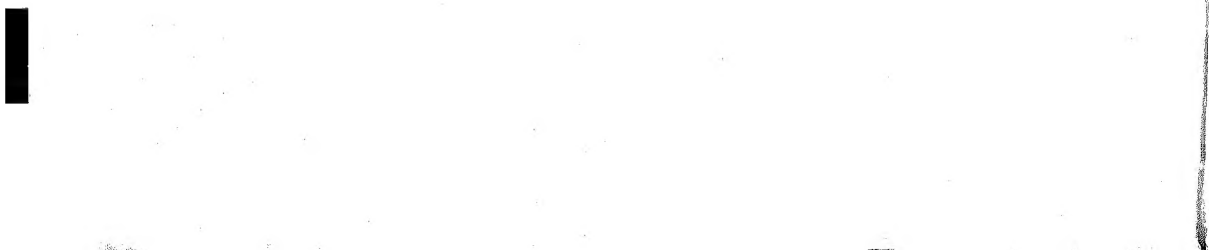
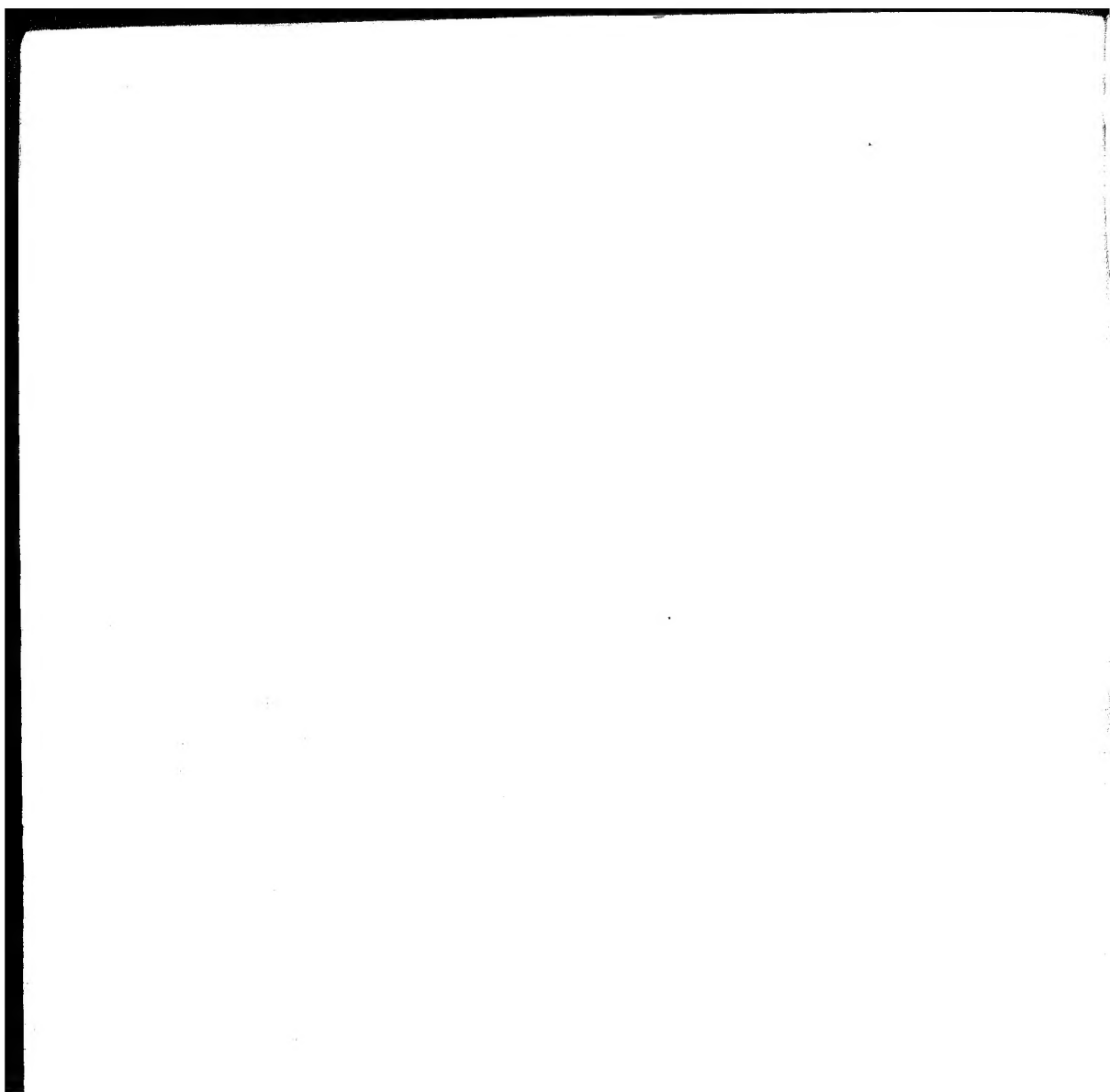
الترقيم الدولي 4 - 018 - 322 - 977

دار روتاهريت للطباعة: ٣٥٥٢٣٦٢ - ٣٥٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق



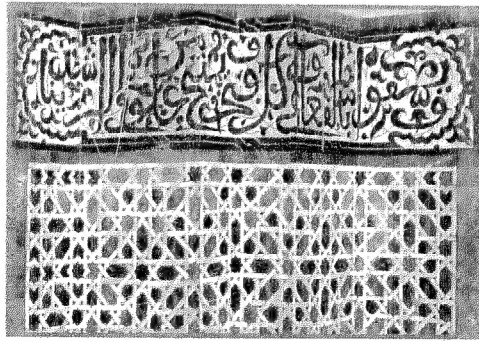
تاریخ - تاریخ - تاریخ
تاریخ - تاریخ - تاریخ
تاریخ - تاریخ - تاریخ
تاریخ - تاریخ - تاریخ

تاریخ - تاریخ - تاریخ
تاریخ - تاریخ - تاریخ





د. سامية مصطفى مسعد



العلاقات بين المغرب والاندلس
في عصر الخلافة الأموية



للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES